هذا ما حدث معي



أسامة المسلم

هذا ما حدث معي



الروائي

أسامة المسلم

@osamahalmuslim

@osamahalmuslim

komontage

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

هذا ما حدث معي

"الراغبون في الحديث والمشاركة أكثر بكثير ممن هم مستعدون للاستماع والإنصات .."

أسامة المسلم



«الأسئلةُ في هذا العالمِ أكثرُ من الأجوبةِ فلا
تحرص على المساهمةِ في فائضٍ وتهمل التعويضَ
في نقص ..»

المذيع



أهلاً بك .. تفضل ..



عرفنا بنفسك ..

نحن منصتون ..

ثقوب الغربال



جرس شقة صغيرة في الطابق الثالث لعمارة سكنية متداعية بحي قديم يُقرع عدة مرات يصاحبه طرقات ونداء : «افتح أعرف أنك في الداخل ..»

يفتح الباب رجل بدت عليه مظاهر التعب والإرهاق بلحية كثيفة تتدلى من شفته سيجارة نصف مستهلكة ..

نظر الطارق إليه بخيبة ثم هز رأسه متقدماً لوسط الشقة قائلاً :

«تبدو بحالة مزرية كالعادة .. هل استيقظت للتو؟»

- أنا لم أنم من الأساس .. قالها صاحب الشقة وهو يغلق الباب ..

جلس الرجل على أريكة ممزقة ونظر لصاحبه وقال: «أنا لم أرَ شخصاً يتقن تدمير نفسه مثلك ..»

- ماذا تريد يا (جمال)؟ .. هل قطعت كل هذه المسافة لتقول لي هذه الكلمات

(جمال): لا .. أتيت لأمنحك فرصة عاشرة ..

توجه الرجل للمطبخ وبدأ يغلي بعض الماء قائلاً: كم ملعقة تريد؟

(جمال) من وسط غرفة المعيشة وهو يتأمل الشقة القذرة: لا أريد شيئًا .. كم إيجار هذه المزبلة في الشهر؟

- رخيصة جدًا وسوف أطرد منها قريباً لأني لم أسدد مستحقاتها ..

(جمال) ناهضاً من مكانه مقترباً من مدخل المطبخ: يمكنك امتلاك منزل .. بل عدة منازل لو تخلصت فقط من عنادك

وضع الرجل كوب القهوة الذي أعده على صينية معدنية متسخة وقال ورماد سيجارته يتساقط على سطحها: «لن أعمل معك في الاتجار بالبشر ..»

(جمال) مستنكراً: الاتجار بالبشر؟ .. أنا أدير مكتب توظيف محترماً

سار الرجل متجاوزاً صاحبه لغرفة المعيشة وجلس مشعلاً سيجارة بعد ما رمى الأخرى على الأرض: «لا فرق ..»

(جمال) ملتفتاً نحوه مشيراً بسبابته: ولدي وظيفة لك!

بدأ الرجل باحتساء قهوته وتدخين سيجارته غير مكترثٍ لحديث صاحبه ولم يرد عليه ..

تقدم (جمال) عدة خطوات داس خلالها على السيجارة المشتعلة ثم وقف أمام صديقه وقال: ما قولك؟

- قولي في ماذا؟

(جمال) زافراً: في الوظيفة .. إنها مناسبة لمؤهلاتك .. لقد بذلت مجهوداً كبيراً لأحصل لك على موافقة لدخول المقابلة الشخصية وتقديم الاختبار المطلوب

وضع الرجل ساقاً على ساق مقرباً سيجارته عند شفتيه وبنبرة متهكمة:

«مقابلة واختبار؟ .. لا، شكراً، ليس لدي وقت للتوسل لأحد ..»

(جمال) بحنق: ستذهب! .. حتى لو اضطررت لجرك بنفسي إلى هناك!

- حسناً .. حسناً .. لا تغضب .. اجلس بجانبي وحدثني أكثر عن هذه الوظيفة التي يبدو أنك متحمس لها أكثر مني

ابتهج (جمال) لبوادر موافقة صاحبه على الوظيفة فجلس على الأريكة المجاورة له وقال بحماس : «هذه الوظيفة تناسبك صدقني .. معد برامج في الإذاعة .. راتبها مجزٍ جداً وليس عليك سوى تجهيز المادة الإعلامية للمذيع الذي سيقدم البرنامج ..»

- برنامج ماذا؟ .. لا تقل لي بأنه برنامج للمنوعات الغنائية

(جمال) : لا أعرف أي تفاصيل أخرى عنه .. ثم ما شأنك أنت عن فحوى البرنامج .. قم بعملك فقط أياً كان

- أولاً أنا لم أقبل بهذه الوظيفة كي تسميها «عملي» .. ثانياً ممارسة عمل لا أحبه وأجد ثقلاً في التوجه إليه كل يوم هو جحيم لن أضع نفسي فيه

(جمال) : وهل ترى أن هذه الشقة العفنة جنة؟

- على الأقل نفسيتي مرتاحة فيها ..

(جمال) : وكيف ستكون نفسيتك عندما يطردك صاحبها وتبات على الرصيف .. كيف ستكون حالتك وقتها؟

صمت الرجل وأخذ نفساً من سيجارته محدقاً بكوب قهوته الذي بدأ يبرد ..

(جمال) : اسمع .. اعتبر الأمر بداية .. تجربة .. تسلية .. أي شيء .. لكن لا تضيع هذه الفرصة

- فرصة وضع نفسي تحت مجهر التقييم تقصد ..

(جمال) باسماً : بعقليتك هذه سيعينونك مديرًا للمحطة .. فقط اذهب في الموعد

- ومتى هذا الموعد؟ .. قالها وهو يطفىء سيجارته على سطح الطاولة أمامه

(جمال) : غداً تمام الثامنة صباحاً سأعرج بك لأقلك إلى هناك .. المقابلة ستكون في التاسعة ولن تستغرق طويلاً وبعدها سنحتفل بحصولك على الوظيفة

- ثقتك بي ليست في محلها ..

(جمال) : فقط استحم والبس ملابسَ نظيفة واحلق هذه اللحية الشائكة وستسير الأمور على ما يرام صدقني

- هل أنا مقبل على وظيفة مُعد برامج أم عارض أزياء؟ .. قالها متهكماً

(جمال): وشيء آخر نسيت أن أخبرك به .. خلال المقابلة .. استخدم عقلك وليس عقليتك واترك حذلقتك المعهودة لحواراتك معي فقط .. مفهوم؟

ضحك الرجل وقال: حاضر يا أمي .. هل هناك ملاحظات أخرى؟

(جمال) باسماً: بعض الابتسام لن يضرك أيضاً

- أعطني سبباً للابتسام قبلها ..

في صباح اليوم التالي حضر (جمال) على الموعد المتفق عليه وقبل أن يركن سيارته عند مبنى صاحبه وجده ينتظره أمام بابه فأطلق نفير سيارته ولوح له بيده ليركب معه ففعل.

- لقد تأخرت ..

(جمال) ناظراً لساعة يده: أنا على الموعد

- الساعة الآن تجاوزت الثامنة بسبع دقائق

(جمال) وهو يحرك السيارة: بدأنا بالحديث بشكل مستفز .. لا تتحدث بهذه الطريقة مع من سيقابلونك وإلا فلن تحصل على الوظيفة

- أي طريقة؟ .. أنا أثرت نقطة منطقية ولا يعارضها سوى شخص بفكر معطوب مثلك



(جمال) : أنت آخر شخص يتحدث عن التفكير المعطوب فلست أنا من يؤمن ويهتم بالسحر والشعوذة

- اسمها روحانيات يا جاهل ..

(جمال) : كلها خزعبلات

وصل الاثنان عند مبنى الإذاعة وصعدا للطابق المخصص لبث البرامج الإذاعية وقام (جمال) بتعريف صاحبه على بعض الموظفين والمسؤولين هناك وجلسا في غرفة انتظار خصصت للمتقدمين على عدة وظائف مختلفة وخلال انتظارهما قال (جمال) :

«لم أعتقد أن عدد المتقدمين على الوظائف هنا سيكون كبيراً ..»

- هل هذا ما تسميه وظيفة مضمونة؟ .. أنا كالإبرة في كومة قش ولن يروني

(جمال) : ابهرهم إذاً وأحرق الكومة كي لا يبقى سواك

- ما رأيك بأن نحرق المحطة ونخرج من هنا .. قالها متهكماً

(جمال) ممعناً النظر في المتقدمين الداخلين والخارجين من أحد المكاتب :

«سنخرج بعد ما ننتهي ..»

- أنا لا أحب التجمعات المزدحمة

(جمال) : أنت لا تحب شيئاً سوى سجائرك

بعد مضي ما يقارب الساعة خرج رجل متأنق من غرفة المقابلات ونادى على صاحب (جمال) الذي قال متحمساً : «هيا .. لقد حان دورك!»

- أخيراً سننتهي من هذا اليوم .. قالها متململاً وهو يسير تجاه غرفة المقابلات

بعد مضي أقل من نصف ساعة خرج الرجل وتوجه نحو (جمال) الذي نهض من مكانه حال رؤيته وقال له بنبرة مترقبة : «هل حصلت على الوظيفة؟!»

- لا ..

(جمال) بخليط من التعجب والاستغراب : كيف؟ .. كيف لم تحصل عليها؟

- لا أعرف .. اذهب واسألهم .. قالها وهو يخرج علبة السجائر من جيبه

(جمال) خاطفاً العلبة من يده : التدخين ممنوع هنا!

- لنخرج إذاً كي أشعل واحدة ..

(جمال) ساخطاً : كيف لم يوظفوك؟!

- وما أدراني أنا .. هيا لنرحل من هنا .. لقد نفذت طلبك

خرج الاثنان وتوجها لمطعم قريب من مبنى الإذاعة لتناول الإفطار ومناقشة ما دار في المقابلة ..

(جمال) قاضماً فطيرة سارحاً : كيف لم يوافقوا عليك؟ .. كيف؟

- لِمَ أنت مستغرب؟ .. ألم ترَ العدد الكبير الذي دخل قبلي؟ .. لعلهم وجدوا ضالتهم في أحدهم قبل حتى أن أدخل عليهم وكان قرارهم قد حسم .. قالها وهو يحتسي بعض القهوة السوداء

(جمال) : أنا متيقن من أنك قلت شيئاً أغضبهم وإلا لما كانوا قد أهدروا فرصة تعيينك

- ولِمَ كل هذه الثقة؟

(جمال) : ثقتي بك وليست بهم .. وأنت لو كنت تريد إثارة إعجابهم ليوظفوك لفعلت لكن فيما يبدو أنك تعمدت تخريب المقابلة

تبسم الرجل وأخذ رشفة من قهوته بصمت ..

(جمال) بنظرة مشككة ونبرة حانقة قليلاً : ماذا فعلت؟ .. أنا محق أليس كذلك؟!

- في الحقيقة بلى .. لقد حاولت



(جمال) بغضب: كنت أعرف ذلك! . لَمَ تدمر كل شيء؟! .. لَمَ تركل الفرص التي تأتيك بلا اكتراث؟! .. هذه آخر مرة سأساعدك فيها ولن ..

قاطع الرجل صاحبه برفع كفه أمام وجهه قائلاً: «هدئ من روعك .. دعني أنتهِ من كلامي ثم يمكنك أن تنفعل كما تشاء ..»

(جمال) زافراً بخيبة: تفضل أكمل ..

أشعل صاحبه سيجارة ونفخ سحابة من الدخان متأملاً المارة وقال:

«حضر المقابلة أربعة أشخاص .. امرأة وثلاثة رجال .. ناقشوني في أمور شخصية في البداية ثم تحولوا للكلام عن أشياء تخص وظيفة المعد والتي كنت ملمّاً بها بالكامل وأجبت على كل سؤال رموه تجاهي بالرغم من أني لاحظت أنهم تعمدوا في بعض الأحيان تعقيد الأسئلة عمداً ..»

(جمال): ثم ماذا حدث؟

- جميعهم وجهوا لي عدداً من الأسئلة ما عدا رجلاً من بينهم بقي صامتاً يراقب المناقشة بهدوء وعندما أخبرتني المرأة أنه قد لا يكون لي نصيب معهم في هذه الوظيفة أثار ذلك حفيظتي ليس رغبة بالوظيفة بل لاستخدامها كلمة «نصيب» وكأني تقدمت لخطبتها متجاهلة تفوقي في المقابلة

(جمال) واضعاً كفه على رأسه قائلاً بحسرة: وتصادمت معها ومع البقية كعادتك..

- بل وضحت لها بكل بساطة مدى تفاهة ما يقومون به وكيف أنهم أضاعوا وقتي ووقتهم في مسرحية الغرض منها إراحة ضمائرهم وأن من سيحصل على الوظيفة غالباً نائمٌ في منزله وسيصله خبر التعيين برسالة نصية.. وبعض الكلام الذي كان متراكماً على صدري لشعوري بالغثيان من ضحالة تفكيرهم

(جمال) زافراً بحسرة: حسناً لا بأس.. سنجد لك فرصة أخرى..

- لم أكمل حديثي..

(جمال): ماذا بقي أيضاً.. هل صفعت المرأة؟

- لا.. الرجل الصامت الذي أخبرتك عنه هو من صفعها بعبارة قالها عندما همت بطردي من المكان

(جمال): ماذا قال؟

- اتضح أنه صاحب المحطة وفيما يبدو أنه اتفق معي في حديثي مع موظفيه غير الأكفاء وقال: «هذا الرجل عراكم.»

(جمال): فقط؟.. هذا ما قاله؟

- نعم .. سار معي بعدها نحو باب الخروج وصافحني وشد من قبضته على كفي وقال لي: « لدي وظيفة أخرى مناسبة لك لو كنت مهتماً ..»

- (جمال) : وظيفة ماذا؟

- في الحقيقة لم يخبرني لكني وافقت دون تردد .. وطلب مني الاجتماع معه غداً في مكتبه لمناقشة التفاصيل

(جمال) متعجباً : وافقت على وظيفة لا تعرف عنها شيئًا؟

- ما عرفت عنها بشكل سريع كان كافياً لأن أقبلها مهما كانت .. أخبرني بأنه عمل لمدة أربع ساعات مرة واحدة في الأسبوع فقط والراتب كان مغرياً جدّاً والأجمل من ذلك مواعيد العمل

(جمال) : ومتى هذه المواعيد؟

- بعد منتصف الليل حتى الرابعة فجراً ..

صرخات عبر الأثير



قام (جمال) بإيصال صاحبه في اليوم التالي لحضور اجتماعه مع مدير المحطة وعندما ترجل من سيارته قال له : « هل تريد مني مرافقتك؟ »

أشعل سيجارة وقال : لا .. سأتصل بك الليلة لنخرج معاً لتناول العشاء وسنتحدث وقتها عن تفاصيل الاجتماع

(جمال) : لا تفسد هذه الفرصة أيضاً أرجوك

- إن كان مقدراً لها أن تفسد فستفسد مهما حاولت ..

(جمال) : فقط حاول أن تكون لبقاً .. هذا مديرك الآن وليس شخصاً عادياً

رامياً بعقب السيجارة تحت قدمه داعسًا عليها والدخان يخرج من فمه ومنخاره : «الخنوع ليس من طبعي لكني سأحاول أن أجاريه إلى أقصى حد أستطيع فقط لأني بحاجة ماسة للمال ..»

(جمال) : بالتوفيق .. سأكون بانتظار اتصالك اليوم

قاد (جمال) سيارته تاركاً صديقه يسير نحو مدخل مبنى الإذاعة ..

بعد انتظار لم يدم طويلاً في مكتب السكرتيرة الخاصة دخل الرجل وجلس على طاولة اجتماع كبيرة في المكتب الواسع بعد ما استقبله صاحب ومدير المحطة مرحباً : «مرحباً بمذيعنا الجديد!»

- مذيع؟ .. قالها مستنكراً

(مدير المحطة) : نعم مذيع .. لدي برنامج أعد له منذ فترة ولكني لم أتمكن من إيجاد الشخص المناسب ليقوم بتقديمه بسبب حساسية وغرابة فكرته

- برنامج ماذا؟

(مدير المحطة) : برنامج استوحيته بعد أن حكى صديق لي عن قصة غريبة حدثت له .. كنت مشدوهاً ومنشدّاً معه وهو يتحدث عن

تفاصيلها ولم أعرف السبب لأني في العادة لا أهتم لمثل هذه القصص خاصة تلك التي يكون فيها العقل والمنطق غائبين لكن تلك القصة شدت انتباهي لآخر حرف وكنت أريد نقل الإحساس والتجربة أنفسهما للمستمعين لكن كان يجب عليّ قبلها معرفة سر جاذبية القصة

- وهل عرفت سبب اندهاشك واهتمامك بها؟

(مدير المحطة) : نعم .. إيمان صديقي الشديد خلال روايتها بأنها قد حدثت معه بالفعل وذلك اليقين انتقل لي وغشاني وأثر بي وجعلني مندمجاً معه ومصدقاً لما يقول بالرغم من استحالته .. سر فشل أي راو في جذب من ينصتون له هو أنه في الأصل لا يصدق ما يقوله والإنسان غالباً يستطيع الإحساس بمن يكذب عليه أو يخدعه لذا من الصعب جدّاً أن تجد راوياً متمكناً في سرد القصص لعدم قدرته على إقناع من حوله بحقيقتها لأن أغلب الرواة متصنعون كاذبون يحاولون التذاكي على الناس

- أتفق معك .. الحقيقة تحتاج وعاءً نقياً لنقلها وإلا تعكرت وأصبحت حكاية ممجوجة تثير الغثيان والضحك أحياناً

(مدير المحطة) محركاً كفه في الهواء بشكل دائري : لذلك قررت بث برنامج تحت مسمى «صرخات عبر الأثير» .. برنامج لرواية

القصص الحقيقية التي حدثت مع الناس وقد اخترتك أنت لتكون مسؤولاً عنه

- أنا أسوأ شخص يمكن أن يشرف على برنامج من هذا النوع

(مدير المحطة) : لماذا؟

- لسببين .. أولهما أني لا أملك قصصًا كثيرة لأرويها على الناس .. ثانياً وهو الأهم أني لا أستطيع المجاملة أو التصنع أو التظاهر بمشاعر لا تخالجني فعلاً .. لو غضبت فسأغضب .. لو فرحت فسأفرح .. لست دبلوماسيّاً أبداً

(مدير المحطة) : بالنسبة للنقطة الأولى فأنا لا أريدك أن تحكي قصصك الخاصة .. أريدك منصتاً فقط .. تنصت لقصص الناس .. الناس هم من سيكونون وقود البرنامج .. هم من سيحكون وأنت سوف تكون فقط محاوراً لهم .. وبالنسبة للنقطة الثانية فهي أساس اختياري لك فأنا لا أريدك أن تصفق للذين سيشاركون قصصهم معك .. بل على العكس تماماً .. أريدك أن تكون صريحاً في حال شعرت بأنهم كاذبون فيما يقولون

- غالباً معظم الاتصالات التي سترد للبرنامج ستكون من وحي الخيال لمجرد المشاركة ولن أتدخل في ذلك إلا إذا



استدعى الأمر .. وإن كان ليس لديك مشكلة في هذا فنحن متفقان

(مدير المحطة) : لا مشكلة عندي على الإطلاق .. اتفقنا .. البرنامج سينطلق ابتداءً من هذا الأسبوع .. بعد منتصف الليل يوم الجمعة

- سيكون يوم السبت إذاً ..

(مدير المحطة) متفكراً : نعم .. فعليّاً سيكون بداية صباح يوم السبت ولمدة أربع ساعات سيتخللها بعض الوقفات الإعلانية لكن لا تشغل بالك بها فسوف يكون معك معدة لتنسيق تلك الأمور .. الآنسة (نور) .. من أفضل المعدين بالمحطة وقد اخترتها خصيصاً لتكون معك

- لدي استفسار ..

(مدير المحطة) : تفضل اسأل ما تشاء

- إلى أي مدى أملك حرية التصرف بالبرنامج؟

(مدير المحطة) : ماذا تعني؟

- أنت تريد نجاح البرنامج لأغراض تجارية بالطبع ولا يهمك ما سيدور فيه

(مدير المحطة) : لا شك .. فنحن في النهاية قطاع خاص ومصدر

دخلنا هو الإعلانات التجارية والبرامج ذات الشعبية العالية تجذب معلنين أكثر مما يعني دخلاً أكبر للمحطة

- وعناصر النجاح تلك .. من يحددها؟

(مدير المحطة) : هناك لجنة برئاستي تقيّم البرامج من وقتٍ لآخر لتقديم الاقتراحات والتعديلات اللازمة لتطويرها وتحسين أدائها إن كانت نسبة المستمعين منخفضة

- أريد استثناء برنامجي من هذه اللجنة .. أريدك أن تمنحني حرية التصرف في كل شيء

(مدير المحطة) : لكن ذلك مخالف لسياسة المحطة

- إن كنت ستقيدني بمجموعة من الناس الذين يعبدون المال ويمجدون البيروقراطية فلن ينجح برنامجك لأني لن أقدمه بالشكل الذي أرتئيه له

(مدير المحطة) : اسمع .. سأمنحك فرصة في البداية لتختار مسار البرنامج .. ولو نجحت فلن يتدخل أحد لكن لو فشلت فسـ..

- لو فشلت فسوف أستقيل ..

(مدير المحطة) : لم أقصد ذلك



- أنا قصدت ذلك .. لن أبقى في مكان لا أستطيع تحقيق شيء فيه

(مدير المحطة) : دعنا لا نستبق الأحداث ونرى ما سيحدث بعد بث الحلقة الأولى .. البرامج التجريبية تعطى فرصة لأربع حلقات ومن بعدها تعرض للتقييم

- أنا سوف أقيم نفسي والبرنامج منذ أول يوم وسأعلمك عن جدوى استمراره من عدمها

(مدير المحطة) : لا بأس . .هل لديك استفسار آخر؟

- لا .. لكن لدي طلب

(مدير المحطة) : ما هو ؟

- اسم البرنامج ..

(مدير المحطة) باسماً بفخر : .. «صرخات عبر الأثير» .. اسم جذاب أليس كذلك؟ .. أنا من اختاره بنفسي بالمناسبة ولم يساعدني فيه أحد

- لذلك يجب تغييره ..

(مدير المحطة) بتعجب : لماذا؟

- بصراحة الاسم سخيف وكأنه عنوان لفلم رعب رخيص .. ما نحتاجه هو اسم بسيط ومباشر .. لا يعطي

وعوداً أو التزامات .. يشرح الهدف منه بكل بساطة وشفافية

(مدير المحطة) : ما رأيك بـ «ألف صرخة وصرخة ..»؟

- اقتراح أسوأ من سابقه ..

(مدير المحطة) : وماذا تقترح يا سيدي المذيع؟

- «هذا ما حدث معي ..» .. فقط

(مدير المحطة) وهو يمد يده لمصافحة المذيع الجديد :

«بالرغم من أني أجد أن الاسم بارد وغير جذاب لكني لن أعترض وسأعطيك مبدئيًا فرصة إبداء الرأي على الأقل كما اتفقنا .. »

هذا ما حدث معي



يوم الجمعة وقبل منتصف الليل بنصف ساعة ترجل المذيع الجديد من سيارة صديقه (جمال) الذي أقله وقال له بعد ما أغلق الباب خلفه أمام بوابة المحطة :

«سوف أستمع للبرنامج من سيارتي وسأكون بانتظارك في مواقف المحطة عندما تنتهي أيها المذيع ..»

(المذيع) باسماً متكئاً بساعديه على طرف النافذة المفتوحة : «شكراً على كل شيء ..»

(جمال) ضاحكاً: لا تظن أني سأوصلك كل أسبوع .. غداً سنخرج لنبتاع لك سيارة بالأقساط!

(المذيع): هذا لو بقيت في هذه الوظيفة ..

(جمال) محركاً سيارته نحو المواقف: لا تقلق ستبلي بلاءً حسناً أيها «المذيع» ..

دخل (المذيع) المبنى حيث كان في استقباله رجل الأمن الذي طلب بطاقته التعريفية التي مُنحت له سابقاً وبعد ما تحقق من هويته توجه للطابق السابع حيث كانت معظم الاستوديوهات الخاصة بالبث المباشر متمركزة وعند وصوله للمكان المخصص لبث برنامجه الجديد شاهد إنارة حمراء منارة فوق الباب مشيرة إلى أن هناك تسجيلاً قائماً حالياً فلم يتمكن من الدخول وقرر التوجه لغرفة خصصت لتناول الشاي والقهوة وبعض الوجبات الخفيفة وأعد لنفسه كوبًا من القهوة السوداء وجلس على كرسي في إحدى الزوايا يدخن.

بينما كان ينتظر دخلت فتاة بدت في منتصف العشرين ممسكة كراسة بين يديها وضعتها تحت إبطها عندما أرادت إعداد كوبٍ من الشاي لنفسها وخلال قيامها بذلك خاطبته دون أن تلتفت إليه قائلة: «التدخين ممنوع هنا ..»

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : أعرف .. رأيت اللافتة المعلقة

تبسمت الفتاة وهي تضع بعض السكر في كوبها وقالت : أنا (نور) .. معدة البرنامج الذي ستقدمه بعد قليل

(المذيع) : تشرفنا آنسة (نور) ..

(نور) ممسكة بمقبض الكوب نافخة على سطحه : هل أنت متحمس مثلي؟

(المذيع) بنبرة متهكمة قليلاً : الحماس ليس الكلمة التي يمكن أن أصف بها شعوري الآن

(نور) : هذا رابع برنامج أقوم بالإشراف عليه منذ تعييني هنا وجميع البرامج التي أشرفت عليها سابقاً حققت نجاحات كبيرة

(المذيع) : هل كانت برامج مماثلة لما سوف نقدمه اليوم؟

(نور) : ممم في الواقع لا .. كل شيء مختلف هذه المرة حتى الموعد المتأخر .. فلم أعتد على السهر لهذا الوقت لكن للضرورة أحكام

(المذيع) : لستِ مجبرة على قبول شيء لا تريدينه

(نور) باسمة : لا لا لم أقصد ذلك .. على العكس تماماً أنا أحب تجربة أشياء جديدة وتحديات مختلفة لأنها سوف تصقل خبراتي أكثر

(المذيع) : ما نوع البرامج التي أشرفتِ على إعدادها سابقاً؟

(نور) : برنامجان للطبخ وقت الظهيرة وبرنامج للمنوعات كان يُبث صباحاً

(المذيع) : برنامجنا مختلف تماماً عن ذلك

(نور) : أعرف وهذا سبب حماسي

(المذيع) : أليس من المفترض أن ندخل الاستديو قبل وقت بدء البرنامج؟

(نور) : السيد (لؤي) سينتهي قبل منتصف الليل بعشر دقائق وهذا وقت كافٍ لنا للاستعداد .. هل تريد مراجعة شيء قبل البث؟

(المذيع) : هل هناك شيء يستحق الاستعداد؟

سارت (نور) نحوه وجلست على الكرسي بجانبه قائلة :

«سوف أفتتح البث بمقدمة سأقرؤها أنا ثم أنقل تقديم البرنامج لك كي تُعرف به المستمعين بطريقتك الخاصة تتحدث فيها عن الهدف منه وحاول أن تحث الناس على الاتصال والمشاركة لأن هذا هو أساس البرنامج وطاقته المحركة وأنا سوف أقوم بتنسيق الاتصالات وتنظيمها وعندما يحين وقت الخروج لفاصل إعلاني سوف أعطيك إشارة صامتة قبلها بدقائق ..»

(المذيع) : هل يمكنني سماع نبذتكِ التي ستلقينها؟

(نور) وهي تفتح كراستها باسمة : بالطبع .. «هل لديك قصة غريبة لا يصدقها أحد؟ .. هل وقع لك أمر جعلك تتساءل؟ .. كذَّبت عينيك لكن قلبك يُلح عليك بالتشكيك .. نحن نصدقك من قبل أن تحكي حكايتك .. لا تبقَ في الظلمة وحيداً .. اتصل وتواصل معنا على الرقم التالي ..»

(المذيع) : مقدمة غريبة ..

(نور) : ما الغرابة فيها يا سيدي؟

(المذيع) : شعرت بأننا نروج لمنتج ما

(نور) مخرجة ورقة من وسط الكراسة : آه صحيح تذكرت .. لدينا مجموعة من الإعلانات نريد منك قراءتها خلال البرنامج

(المذيع) : إعلانات؟ .. البرنامج لم يبدأ وحصلنا على إعلانات؟

(نور) : هؤلاء معلنون من الفئة الثالثة .. إعلاناتهم تنشر في البرامج غير المشهورة وفي أوقات متأخرة من اليوم مقابل تخفيض يحصلون عليه في سعر الإعلان لكنها تبقى شركات مهمة ومصدر دخل ثابت لنا

(المذيع) : شركات مثل ماذا؟

(نور) ممعنة النظر بالورقة : دعني أرَ .. شركة للعطورات .. شركة منظفات منزلية.. شركة مقرمشات ..

(المذيع) : مقرمشات؟

(نور) : نعم وكذلك شرك..

(المذيع) مقاطعاً : كفى كفى .. لن نعلن لأي من هذه الشركات وبالتأكيد لن أقرأ شيئاً بصوتي

(نور) : لكننا أخذنا منهم مقابلاً .. لا نستطيع التراجع عن عقودنا المبرمة معهم وإلا دفعنا شروطًا جزائية مكلفة

(المذيع) : لا يهم .. حولوهم لبرامج أخرى .. برنامجي لن يذاع فيه إعلانات البقالة هذه

(نور) : لدينا تسجيلات جاهزة لهذه المنتجات لو أحببت أن نبثها خلال الفاصل لكن فكرة ألّا نبثها على الإطلاق ليست بالفكرة الحسنة

(المذيع) : هذا قراري وسأتحمل مسؤوليته

(نور) : لكن ..

(المذيع) : لا يوجد لكن .. أي مصداقية تتوقعين أن نحظى بها أمام المستمعين ونحن نتحدث عن المقرمشات والمنظفات؟

(نور) : المحطة تحتاج دعماً ماديّاً كي تستمر

(المذيع) : لكن ليس على حساب شكل البرنامج وجديته في



الطرح .. لا تقلقي بهذا الشأن ركزي فقط على استقبال المكالمات وتحويلها لي وأنا سأتحدث مع مدير المحطة بهذا الخصوص .. ولن نحتاج لمقدمتين .. سوف أقدم أنا البرنامج وصوتكِ يجب أن يبقى في تحت الهواء كي يشعر المشاركون بالاطمئنان أكثر وأنهم يتحدثون معي فقط

(نور) : حاضر .. كما تأمر .. هل لديك أي ملاحظات أخرى؟

(المذيع) : لو احتجت إنهاء اتصالٍ ما أو أن أوقف البث المباشر .. فكيف أقوم بذلك؟

(نور) : في أي وقت تحتاجني سوف أكون بالمنصة المقابلة لمنصتك .. فقط أعطني الإشارة وسأنفذ في الحال

(المذيع) : وهل سنتواصل بالإشارة فقط؟

(نور) : أنت فقط ستتواصل معي بالإشارة لأن صوتك سيكون مسموعاً للجمهور لكن أنا سأتمكن من الحديث معك عبر السماعات التي ستلبسها ولن يكون صوتي مسموعاً إلا لك أنت فقط

(المذيع) : هل التدخين مسموح داخل الاستديو؟

(نور) : قطعاً لا .. قوانين المحطة تمنع ذلك

(المذيع) وهو ينهض من مكانه متوجهاً لباب الخروج : هذا شيء آخر سيتغير كذلك ..



دخل الاثنان الاستديو وجلسا في أماكنهما قبل منتصف الليل بعدة دقائق وخلال ذلك أشعل المذيع سيجارة وأخذ يدخنها بصمت بينما قامت (نور) بإنهاء كافة التجهيزات الصوتية للانتقال على الهواء وقبل البث بدقيقة أشارت له بأخذ السماعات المستقرة على الطاولة أمامه ووضعها على أذنيه والاقتراب من الميكرفون أكثر.

رفعت (نور) يدها وحركت أصابعها بثلاث حركات وكأنها تعد تنازلياً في إشارة للمذيع بالبدء..

(المذيع): آه.. صباح الخير.. أهلاً بكم في برنامجنا الأسبوعي الجديد «هذا ما حدث معي».. سنطل عليكم كل أسبوع في التوقيت نفسه إلى أن يتم إلغاء البرنامج

نظرت (نور) له بتعجب لكنها لم تعلق..

(المذيع) مستأنفاً كلامه: «هذا البرنامج تتمحور فكرته على مشاركاتكم.. مشاركتكم لنا بقصصكم.. لكن.. ليس أي قصة.. قصة لو رويتها لأحد فلن يصدقك.. نحن هنا لننصت لك فقط.. ليس من الضروري أننا سنصدقك لكننا لن نكذبك إذا كنت صادقاً أو على الأقل تصدق نفسك..»

تبع تلك المقدمة صمت قصير من المذيع الذي شعر بأن شرحه لم

يكن واضحاً فقرر الإضافة بقوله : « إلى حين أن نتشرف بالاتصال الأول سوف أحكي لكم أنا قصة حدثت معي .. »

أشارت (نور) له بإبهامها بأنها فكرة جيدة ..

(المذيع) بعد ما أخذ نفساً عميقاً من سيجارته :

«كنت وقتها قد تخرجت للتو من الجامعة .. شاباً في مقتبل عمره مفعماً بالحماس والحيوية .. راغباً في العمل والإنجاز .. عملت لكني لم أنجز ولم أحقق شيئاً يستحق الذكر .. عملي في البداية تمثل في التجول كل يوم من الصباح حتى المساء بحثاً عن وظيفة. حفظت كل ردود الرفض وتذوقت جميع نكهات الخيبة .. لكني لم أنكسر ولم أهتز وكنت متيقنًا بأن البذل والإصرار لا بد وأن ينجم عنهما نتيجة ما مهما طالت المدة وامتدت .. وقد حدث ذلك .. وجدت عملاً .. لم يكن كما رغبت أو طمحت لكنه عمل .. عملي اضطرني لمواجهة ومقابلة الكثير من الناس .. ليس لخدمتهم بقدر تنظيم صفوفهم للدخول على مزود الخدمة نفسه ولكم أن تتخيلوا النوعيات التي اضطررت للتعامل معها والتبسم لها بالرغم من فظاظتها وحمقها المتفجر من عقولها وأفواهها .. لكنه عملي ولم أكن سأسمح لمشاعري بالدخول بيني وبين المهام المناطة بي حتى حل ذلك اليوم الفاصل .. أو لا .. كان يوماً يمكن تسميته مفترق

الطرق في حياتي .. حين قابلته .. أو هو من انتبه لي .. بالرغم من تبسمي له كما أفعل مع جميع مرتادي المؤسسة التي عملت فيها إلا أنه وبطريقة ما شاهد ما في قلبي وقال لي: «لِمَ لا تزال تعمل هنا وأنت تشعر بكل هذا الضيق؟» .. لم أتمكن من الرد واكتفيت بالصمت لأن رغبة غريبة في البكاء باغتتني لكنه تداركني وقال:

«ما رأيك بأن تصبح تلميذاً عندي .. و»

في تلك اللحظة قاطعت (نور) المذيع بإشارة صامتة من يدها مشيرة إلى أن هناك اتصالاً على الخط ..



المتصل الأول



«تفضل .. أهلاً بك ..

عرفنا بنفسك ..

نحن منصتون ..»

قالها المذيع مرحباً بأول متصل على برنامجه والذي رد بقول :

- أنا (جمال) وأريد المشاركة ..

(المذيع) وقد تغيرت ملامح وجهه لخليط من العجب والتبسم بعد ما تعرف على صوت صاحبه وقال : «نعم يا سيد (جمال) ما هي مشاركتك؟»

(جمال) : في الحقيقة لدي صديق أحمق .. لا يعرف مصلحته ولا يعرف متى يسكت ..

(المذيع) مشعلاً سيجارة وبنبرة متهكمة : ماذا تقصد؟

(جمال) : يتحدث كثيراً عن أمور خيالية حدثت في رأسه في الماضي وفي كل مرة يتحدث عنها يجلب لنفسه المشكلات والمصائب ويدمر حياته

(المذيع) : وكيف تعرف أنها خيالية؟

(جمال) : لأنه لا وجود لشيء اسمه شياطين وجن يتدخلون بحياتنا وفوق ذلك لا يوجد شيء اسمه قدرات على إيقافهم والتصدي لهم ..

(المذيع) : حدد ما لا تؤمن به .. وجودهم أو عدم القدرة على التعامل معهم والتصدي لهم

(جمال) : كلها خزعبلات! .. وصديقي الساذج تأثر بها بسبب دجال لعب وتلاعب بعقله في الماضي وأوهمه بأنه يملك طاقة تجعله مختلفاً عن غيره وأقنعه بأمور وهمية حولت حياته لفوضى لم يتمكن من ترتيبها حتى هذا اليوم

(المذيع) ببرود : اسمها هالة وليس طاقة ..

(جمال) وقد بدأت نبرة صوته تحتد: «أياً كانت فجميعها هرطقات!..

ملأ ذلك المشعوذ رأسه بها بحجة أنه أحد تلاميذه وهو لم يكن سوى دمية تحكم بها واستخدمه كخادم بالسخرة ليقوم بمهامه الدنيئة

(المذيع) وهو يشير لـ(نور) بقطع الاتصال: «شكراً لمشاركتك سيد (جمال)

(جمال): سوف يخسر صديقي هذا كل شيء جيد بحياته إذا لم يستيقظ ويدرك أن ذلك الدجال المدعو (خو..

انقطع الاتصال قبل أن يكمل (جمال) كلامه..

(المذيع): يبدو أن المشارك تعرض لمشكلة في الاتصال.. نحثه على محاولة التواصل بنا مرة أخرى

(نور) تشير إلى أنها ستفصل البث..

(المذيع) مقرباً فمه من الميكرفون أمامه: «سنتوقف قليلاً لوجود خلل فني بسيط ثم سنعود لكم..»

بعد ما أنهت المعدة البث المباشر نهضت من مكانها وسارت نحو المذيع الذي هم بإشعال سيجارة وهو متجهم وقالت له: «لمَ طلبت مني قطع الاتصال؟»

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان بوجه محتقن: «وما دخلك؟.. هذا قراري وليس قرارك..»

(جمال) وقد بدأت نبرة صوته تحتد: أياً كانت فجميعها هرطقات!.. ملأ ذلك المشعوذ رأسه بها بحجة أنه أحد تلاميذه وهو لم يكن سوى دمية تحكم بها واستخدمه كخادم بالسخرة ليقوم بمهامه الدنيئة

(الشيخ) وهو يشير لـ(نور) بقطع الاتصال: «شكراً لمشاركتك سيد (جمال)

(جمال): سوف يخسر صديقي هذا كل شيء جيد بحياته إذا لم يستيقظ ويدرك أن ذلك الدجال المدعو (خو..

انقطع الاتصال قبل أن يكمل (جمال) كلامه..

(الشيخ): يبدو أن المشارك تعرض لمشكلة في الاتصال.. نحثه على محاولة التواصل بنا مرة أخرى

(نور) تشير إلى أنها ستفصل البث..

(الشيخ) مقرباً فمه من الميكرفون أمامه: «ستوقف قليلاً لوجود خلل فني بسيط ثم سنعود لكم..»

بعد ما أنهت المعدة البث المباشر نهضت من مكانها وسارت نحو الشيخ الذي هم بإشعال سيجارة وهو متجهم وقالت له: «لمَ طلبت مني قطع الاتصال؟»

(الشيخ) نافخاً سحابة من الدخان بوجه محتقن: «وما دخلك؟.. هذا قراري وليس قرارك..»

(نور) : من واجبي تقديم النصح لك عندما أراك تقترف خطأ

(المذيع) : خطأ؟! .. عن أي خطأ تتحدثين يا سعادة المعدة؟!

(نور) بهدوء : قطع الاتصالات على الناس بهذا الشكل سوف يقلل من مصداقية البرنامج وسنشهد انخفاضًا في الاتصالات التي ستتلقاها مع مرور الوقت .. يجب أن تحاور المستمعين لا أن تقصيهم عندما لا يعجبك كلامهم

(المذيع) : «علاج التخلف لا يكون بالحديث مع المتشبثين به ..»

(نور) : لقد كنت فظًّا مع المتصل .. لا تحاول المراوغة

(المذيع) متهكماً : حكمتِ عليّ بهذه السرعة من اتصال واحد؟

(نور) : ليس أي اتصال .. أول اتصال يصلنا .. وتعاملك معه لم يكن احترافياً أبدًا .. يجب أن تتحلى بالصبر أكثر لو أردت لهذا البرنامج النهوض والاستمرار

(المذيع) : أنا من سوف ينهض إذا لم تعودي لمكانك وتقومي بعملكِ دون التدخل في عملي

(نور) : أنا أقوم بعملي الآن .. لكن .. كما تشاء

عادت المعدة لمكانها وأشارت للمذيع بأنهما عادا على الهواء ..

(المذيع) معتدلاً في جلسته مستمرّاً في تدخين ما تبقى من سيجارته :

(نور): من واجبي تقديم النصح لك عندما أراك تقترف خطأ

(المذيع): خطأ؟! .. عن أي خطأ تتحدثين يا سعادة المعدة؟!

(نور) بهدوء: قطع الاتصالات على الناس بهذا الشكل سوف يقلل من مصداقية البرنامج وسنشهد انخفاضًا في الاتصالات التي ستلقاها مع مرور الوقت .. يجب أن تحاور المستمعين لا أن تقصيهم عندما لا يعجبك كلامهم

(المذيع): «علاج التخلف لا يكون بالحديث مع المتشبثين به ..»

(نور): لقد كنت فظًّا مع المتصل .. لا تحاول المراوغة

(المذيع) متهكماً: حكمتِ عليّ بهذه السرعة من اتصال واحد؟

(نور): ليس أي اتصال .. أول اتصال يصلنا .. وتعاملك معه لم يكن احترافياً أبدًا .. يجب أن تتحلى بالصبر أكثر لو أردت لهذا البرنامج النهوض والاستمرار

(المذيع): أنا من سوف ينهض إذا لم تعودي لمكانك وتقومي بعملكِ دون التدخل في عملي

(نور): أنا أقوم بعملي الآن .. لكن .. كما تشاء

عادت المعدة لمكانها وأشارت للمذيع بأنهما عادا على الهواء ..

(المذيع) معتدلاً في جلسته مستمرّاً في تدخين ما تبقى من سيجارته:

«عدنا لكم ولاتصالاتكم .. تفضل من معنا ..؟»

تشير (نور) له بأنه لا يوجد أي اتصالات قيد الانتظار ..

تجهم (المذيع) واقترب من الميكرفون وقال: «حسناً .. دعونا نتحدث بشيء من الصراحة .. أعرف أنكم خائفون .. خائفون من فتح قلوبكم .. البحث في ذكرياتكم .. لقد تعرضتم للسخرية أو النبذ عندما حكيتم تلك الحكاية أول مرة .. الحكاية التي حدثت لكم .. ولم تصدقوا أعينكم أو آذانكم .. ظننتم أن حواسكم قد خانتكم وخدعتكم .. لكنها لم تفعل .. وما رأيتموه قد حدث بالفعل .. وأنا أصدقكم من قبل أن أسمعكم .. ولن أسخر منكم مطلقًا مثلما فعل معي الكثير .. أنا هنا لأني واحد منكم ومع كل اتصال سنبني أسرتنا ومجموعتنا الخاصة .. إن كنا مجانين فليكن لكننا لن نكون مجانين صامتين .. أنتظر اتصالكم وتواصلكم ..»

صمت المذيع وأسند ظهره للكرسي محدقاً بالميكرفون ولم يضف شيئًا آخر بالرغم من أنهما لم يخرجا لفاصل إعلاني ..

بقي الصمت عبر الأثير حاضراً لأكثر من دقيقة حتى أشارت (نور) بأن هناك اتصالاً فاعتدل المذيع في جلسته وقال: «معنا اتصال جديد .. تفضل نحن منصتون ..»

لم يرد عليه أحد فأشار المذيع لـ (نور) متسائلاً فأكدت له أنه يوجد

«عدنا لكم ولاتصالاتكم .. تفضل من معنا ..؟»

تشير (نور) له بأنه لا يوجد أي اتصالات قيد الانتظار ..

تجهم (المذيع) واقترب من الميكرفون وقال : «حسناً .. دعونا نتحدث بشيء من الصراحة .. أعرف أنكم خائفون .. خائفون من فتح قلوبكم .. البحث في ذكرياتكم .. لقد تعرضتم للسخرية أو النبذ عندما حكيتم تلك الحكاية أول مرة .. الحكاية التي حدثت لكم .. ولم تصدقوا أعينكم أو آذانكم .. ظننتم أن حواسكم قد خانتكم وخدعتكم .. لكنها لم تفعل .. وما رأيتموه قد حدث بالفعل .. وأنا أصدقكم من قبل أن أسمعكم .. ولن أسخر منكم مطلقًا مثلما فعل معي الكثير .. أنا هنا لأني واحد منكم ومع كل اتصال سنبني أسرتنا ومجموعتنا الخاصة .. إن كنا مجانين فليكن لكننا لن نكون مجانين صامتين .. أنتظر اتصالكم وتواصلكم ..»

صمت المذيع وأسند ظهره للكرسي محدقاً بالميكرفون ولم يضف شيئًا آخر بالرغم من أنهما لم يخرجا لفاصل إعلاني ..

بقي الصمت عبر الأثير حاضراً لأكثر من دقيقة حتى أشارت (نور) بأن هناك اتصالاً فاعتدل المذيع في جلسته وقال : «معنا اتصال جديد .. تفضل نحن منصتون ..»

لم يرد عليه أحد فأشار المذيع لـ (نور) متسائلاً فأكدت له أنه يوجد

شخص في الطرف الآخر فحاول مجدداً وقال :

«يمكنك التحدث وقتما تشاء نحن هنا بانتظارك ..»

بعد عدة ثوانٍ تحدث صوت أنثوي خفيض وقال : « أنا .. أنا لا أعرف من أين أبدأ ..»

(المذيع) : ابدئي بالتعريف بنفسك ..

- اسمي (قوت) ..

(المذيع) : اسم جميل يا (قوت)

(قوت) : شكراً ..

(المذيع) : وبماذا تريدين مشاركتنا اليوم يا (قوت)؟

(قوت) : أشعر بأن أحداً يراقبني ..

(المذيع) : مجرد شعور أم أنه شخص يراقبكِ بالفعل؟

(قوت) : شعور .. لكنه في الوقت نفسه يقين مؤكد .. مشكلتي هي أني لا أستطيع إثبات ذلك

(المذيع) : ألم يخالجك الظن بأنك قد تكونين واهمة؟

(قوت) بعصبية : هل ستكذبني أنت أيضاً؟!

(المذيع) : لا أبداً لكن البينة على من ادعى .. ونحن نحتاج ولو



شخص في الطرف الآخر فحاول مجدداً وقال :

«يمكنك التحدث وقتما تشاء نحن هنا بانتظارك ..»

بعد عدة ثوانٍ تحدث صوت أنثوي خفيض وقال : « أنا .. أنا لا أعرف من أين أبدأ ..»

(المذيع) : ابدئي بالتعريف بنفسك ..

- اسمي (قوت) ..

(المذيع) : اسم جميل يا (قوت)

(قوت) : شكراً ..

(المذيع) : وبماذا تريدين مشاركتنا اليوم يا (قوت)؟

(قوت) : أشعر بأن أحداً يراقبني ..

(المذيع) : مجرد شعور أم أنه شخص يراقبكِ بالفعل؟

(قوت) : شعور .. لكنه في الوقت نفسه يقين مؤكد .. مشكلتي هي أني لا أستطيع إثبات ذلك

(المذيع) : ألم يخالجك الظن بأنك قد تكونين واهمة؟

(قوت) بعصبية : هل ستكذبني أنت أيضاً؟!

(المذيع) : لا أبداً لكن البينة على من ادعى .. ونحن نحتاج ولو



مؤشراً بسيطاً على حقيقة ما تقولين حتى لو لم يرقَ لمستوى دليل

(قوت) : لا أعرف كيف أشرح لك .. شعور خانق بأن هناك أعيناً تحدق بي خاصة عندما أخلد للنوم

(المذيع) : يقال إن الإنسان غريزياً يشعر بمن يراقبه حتى لو لم تلتقِ أعينهم ..

(قوت) : وهذا هو إحساسي تماماً

(المذيع) : إحساس دائم أم متقطع؟

(قوت) : دائم لكن متذبذب .. يزداد كما أخبرتك وقت نومي ووقت ..

(المذيع) : وقت ماذا؟

(قوت) : وقت استحمامي ..

(المذيع) : هل عانيتِ من أي مشكلات نفسية في السابق؟

(قوت) : لا تبدو لي كشخص يريد التصديق

(المذيع) : أنا أطرح أسئلة قد تطرأ على بال المستمعين وليسوا جميعهم مستعدين للتصديق لكني أنا أصدقكِ

(قوت) : حقّاً؟

(المذيع) : نعم ..



مؤشراً بسيطاً على حقيقة ما تقولين حتى لو لم يرقَ لمستوى دليل

(قوت) : لا أعرف كيف أشرح لك .. شعور خانق بأن هناك أعيناً تحدق بي خاصة عندما أخلد للنوم

(المذيع) : يقال إن الإنسان غريزياً يشعر بمن يراقبه حتى لو لم تلتقِ أعينهم ..

(قوت) : وهذا هو إحساسي تماماً

(المذيع) : إحساس دائم أم متقطع؟

(قوت) : دائم لكن متذبذب .. يزداد كما أخبرتك وقت نومي ووقت ..

(المذيع) : وقت ماذا؟

(قوت) : وقت استحمامي ..

(المذيع) : هل عانيتِ من أي مشكلات نفسية في السابق؟

(قوت) : لا تبدو لي كشخص يريد التصديق

(المذيع) : أنا أطرح أسئلة قد تطرأ على بال المستمعين وليسوا جميعهم مستعدين للتصديق لكني أنا أصدقكِ

(قوت) : حقّاً؟

(المذيع) : نعم ..



شكراً لك .. شكراً لتصديقي
(قوت) : شكراً لك .. شكراً لتصديقي

(المذيع) : أكملي .. بمَ تشعرين أيضاً؟

أشارت (نور) له بأن المتصلة أنهت الاتصال وأن هناك اتصالاً آخر في الانتظار ..

(المذيع) : شكراً لاتصالك (قوت) ولنأخذ اتصالاً آخر .. تفضل

- صباح الخير

(المذيع) : صباح النور .. تفضل عرفنا بنفسك وأخبرنا بمشاركتك

- لدي مشكلة مع مديري بالعمل

(المذيع) : مديرك؟

- نعم .. ولا أحد يريد تصديقي

(المذيع) : مشكلة من أي نوع؟

- يقوم بتدوين اسمي ضمن المتأخرين بالرغم من أني أحضر قبل الموعد بفترة طويلة

(المذيع) : لم أفهم .. ما الغريب في الموضوع؟

- الغريب أنه يتقصدني دون بقية زملائي

(المذيع) : عفواً هذا البرنامج ليس لمثل هذه المشكلات .. يمكنك التواصل مع من هم أعلى منه ونقل شكواك لهم

- لا أحد يصدقني لذلك اتصلت بكم لتجدوا لي حلاً

(المذيع) : نحن لا نقدم حلولاً

- ماذا تقدمون إذاً؟

(المذيع) مشيراً لـ (نور) بقطع الاتصال بوجه محبط : نقدم التسلية فيما يبدو .. لنأخذ اتصالاً آخر

- آلو ..

(المذيع) : تفضل ..

- هل أنا على الهواء؟

(المذيع) زافراً : نعم .. تفضل

- حسناً .. أنا أعاني من الأرق ولا أستطيع النوم

(المذيع) : هل تعاني من كوابيس معينة أو تشاهد أموراً غريبة؟

- لا أبداً ..

(المذيع) : ما المشكلة إذاً؟

- لا أعرف لذا اتصلت بك

(المذيع) : أنت تحتاج للتواصل مع طبيب وليس مع برنامج إذاعي

- الأطباء تكلفتهم عالية هذه الأيام وأنا أريد الحل منك يا دكتور

(المذيع) : نحن لا نقدم حلولاً

- ماذا تقدمون إذاً؟

(المذيع) مشيراً لـ (نور) بقطع الاتصال بوجه محبط : نقدم التسلية فيما يبدو .. لنأخذ اتصالاً آخر

- آلو ..

(المذيع) : تفضل ..

- هل أنا على الهواء؟

(المذيع) زافراً : نعم .. تفضل

- حسناً .. أنا أعاني من الأرق ولا أستطيع النوم

(المذيع) : هل تعاني من كوابيس معينة أو تشاهد أموراً غريبة؟

- لا أبداً ..

(المذيع) : ما المشكلة إذاً؟

- لا أعرف لذا اتصلت بك

(المذيع) : أنت تحتاج للتواصل مع طبيب وليس مع برنامج إذاعي

- الأطباء تكلفتهم عالية هذه الأيام وأنا أريد الحل منك يا دكتور

(المذيع) : أنا لست دكتورًا أو طبيبًا

- ماذا تكون إذًا؟

(المذيع) وهو يشير مجدداً لمعدته بقطع الاتصال : شخصاً يقضي ليلة سيئة .. سنأخذ فاصلاً إعلانياً ونعود لكم

فصلت (نور) الصوت عن البث الحي وقالت : ليس لدينا إعلانات لننتقل إليها حسب توجيهاتك

خلع المذيع السماعات ونهض مديراً ظهره لها مشعلاً سيجارة :

«ضعي إعلان المقرمشات .. ضعي أي شيء .. أحتاج وقتاً مستقطعاً مع نفسي ..»

(نور) وهي تضغط على زر الإعلان المسجل مسبقاً : كما تشاء ..

خلال دوران شريط الإعلانات قالت (نور) : الأمر سيأخذ وقتًا قبل أن يفهم الناس مضمون البرنامج .. لا تقلق ..

(المذيع) مكملاً تدخين السيجارة متأملاً الجدار دون أن يلتفت إليها :

«أنا لا أملك الصبر للتعامل مع هذه النوعية من البشر ..»

(نور) : هذا جزء من عملنا

(المذيع) : لا أظن أني سأستمر أكثر ..

(نور) : ما زلنا في الساعة الأولى وبقي ثلاث ساعات أخرى .. اترك حكمك إلى نهاية حلقة اليوم على الأقل

استدار (المذيع) وجلس على كرسيه معيداً السماعات على أذنيه :

«هيا لننتهي من هذا اليوم المزعج ..»

بعد ما وضعت (نور) هي الأخرى سماعاتها أشارت له بأنهما عادا على الهواء وهناك اتصال على الخط في انتظاره ..

(المذيع) بتضجر : تفضل .. عرفنا بنفسك ..

- أنا (إدريس) ..

(المذيع) : وما هي مشاركتك؟

(إدريس) : قصتي غريبة نوعا ما

(المذيع) بتململ : وما الغريب فيها يا سيد (إدريس)؟

(إدريس) : منذ صغري وأنا أرغب في اقتناء كلب

(المذيع) : كلب؟

(إدريس) : نعم .. لكن أبي كان رافضاً تماماً للفكرة بحجة أني لن أستطيع تحمل مسؤولية تربيته والاعتناء به وسوف أهمله بعد فترة ..

كنت وقتها في العاشرة من عمري وبعد إلحاح مستمر وافق بشرط أن يخضعني لاختبار

(المذيع) : اختبار من أي نوع؟

(إدريس) : أن يشتري لي سمكة في البداية ولو تمكنت من العناية بها لمدة شهر فسوف يفكر بأمر الكلب

(المذيع) : وهل نجحت في اختباره؟

(إدريس) : السمكة ماتت بعد أسبوع لكني تحججت له بأن عمر الأسماك قصير وهو قد تحايل عليّ بذلك لكنه أثبت وجهة نظره بعدها وابتاع لي عصفوراً صغيراً ولم يدم اقتنائي له طويلا كذلك فقد هرب مني خلال إطعامي له يوماً من الأيام لأني نسيت باب القفص مفتوحاً وتكرر الأمر مع قطة جلبها لي عندما خرجت من المنزل ودعستها سيارة .. حينها لم أملك أي حجج أخرى تبرر امتلاك كلب فتناسيت الفكرة تماماً لكني لم أنسَها وبقيت حلماً خاصّاً بي حتى وصلت لعمر يمكنني من شراء واحد من مالي الخاص .. كنت في سنواتي الأولى بالجامعة وقررت شراء كلبٍ مدربٍ كي لا أواجه معاناة في تربيته بالرغم من أن ذلك سيرفع من سعره كثيراً لكني لم أهتم وكنت أريد أن أحقق حلم طفولتي بأي شكل وبأي ثمن

(المذيع) : تربية الحيوانات هواية جميلة لكن قد تكون مكلفة أحياناً وتستنزف من أموالنا ووقتنا إذا تحولت لهوس

(إدريس) : المسألة وقتها تجاوزت الهواية .. كانت أمنية أريد تحقيقها حتى لو كان ذلك لأيام معدودة فقط

(المذيع) : وهل وجدت الكلب المناسب؟

(إدريس) : نعم .. وجدت إعلاناً على أحد المواقع المخصصة لبيع الحيوانات لكلب حراسة مدرب وما شدني له هو شكله ولونه الجميل فقد كان هجيناً بين الكلاب وفصيلة من الذئاب وكذلك لفت انتباهي سعره المرتفع بالمقارنة مع غيره من الفصيلة نفسها مما دفعني للاتصال على صاحب الإعلان والاستفسار عن السبب فشرح لي أن هذا الكلب يملك حواس أقوى وأكثر حدة من غيره ويستطيع التعرف على الغرباء ومن يشكلون تهديداً بسرعة وبسهولة لن أجدها في كلب آخر فوضحت له أني أقطن في منطقة سكنية وأن نباحه قد يشكل مشكلة لي مع الجيران فأكد لي أن هذا الكلب لا ينبح أبداً إلا في حالة وجود خطر مؤكد يستدعي تنبيه صاحبه وأنه كذلك لن يؤذي أحدًا إلا بأمر مني ويكتفي بتقويض أي دخيل أو لص يقبض عليه حتى أعطيه الأمر إما بتحريره أو نهشه بسماع كلمه خاصة تدرب عليها

بضاعته

(المذيع) : هذا البائع مسوق جيد لبضاعته

(إدريس) : أحسست أنا أيضاً بأنه يبالغ في مديح ذلك الكلب لكن

ومع ذلك اقتنيته

(المذيع) : وهل كان كما وصفه؟

(إدريس) : لا أعرف هل أقول كان أسوأ أو أفضل مما ظننت .. الكلب فعلاً لم يكن ينبح .. نهائياً .. حتى عندما يدخل عليه أصدقائي أو أقربائي لم يكن يحرك ساكناً ولا يكترث لوجودهم

(المذيع) : ربما لأنه يراهم معك ويدرك أنهم لا يشكلون خطراً

(إدريس) : شككت بذلك واتصلت بمن باعه لي وأخبرته بأن كلبه أخرس ومصاب بعلة ما فأكد لي أن الكلب سليم لكن تدريبه العالي وحواسه الفريدة تجعله لا ينبح إلا في حالات الخطر المؤكدة كما أخبرني سابقاً لكني لم أصدقه وأخذت الكلب للبيطري ليفحص حنجرته

(المذيع) : وماذا أظهرت نتيجة الفحص؟

(إدريس) : أكد لي الطبيب أنه سليم ولا يشكو من أي علة جسدية وعدم نباحه قد يكون بسبب تدريبه بالفعل أو أنه يعاني من مشكلة

نفسية مؤقتة فتقبلت تشخيصه وقررت الاحتفاظ به لأني في الحقيقة وقعت في حبه منذ أول يوم وكنت سأقبله بعيوبه مهما كانت

(المذيع) : قصة جميلة .. شكراً لمشاركتها .. لنأخذ اتصالاً آخر

(إدريس) بنبرة متعجبة من محاولة المذيع إنهاء المكالمة : «القصة لم تبدأ بعد .. أليس هذا البرنامج لاستقبال القصص الغريبة ..؟»

(المذيع) : عذراً ظننت أن هذا هو مجمل القصة .. تفضل أكمل ..

(إدريس) مستأنفاً حديثه :

«استيقظت في إحدى الليالي على صوت نباح .. نباح قوي متواصل .. اعتقدت في بادئ الأمر أنه كلب من الشارع لاستبعادي فكرة أن كلبي هو من ينبح فقد مضت عدة أشهر على اقتنائي له ولم أسمع صوت نباحه قبلها لكني تيقنت بأنه هو من كان ينبح عندما نزلت وخرجت لفناء المنزل حيث كان محجوزاً في قفصه الخاص وما أن شاهدني حتى زادت وتيرة وحدة نباحه ووقف على قوائمه الخلفية وأخذ يزمجر ويعض على القضبان بطريقة أخافتني لأني لم أشاهده بتلك الحالة من قبل .. بحثت في أرجاء المنزل عن وجود دخيل ما فلم أجد أحداً فخرجت للشارع ولم أرَ شيئًا كذلك .. لم أجد مبرراً مقنعاً لنباحه فظننت أنه أصيب بالسعار فلم أطلقه واتصلت بمن

باعه لي وأيقظته من نومه وطلبت منه تفسير ما يحدث لي فأكد لي أن الكلب لم ينبح إلا لوجود خطر ما فأخبرته بأنه لا يوجد شيء وانفعلت عليه خلال المكالمة واتهمته ببيعي كلباً مريضاً نفسيًّا فأغلق الخط في وجهي وعندما حاولت الاتصال به مجدداً وجدت أنه أطفأ هاتفه.»

(المذيع) باهتمام: وماذا فعلت؟

(إدريس): استمر الكلب بالنباح وقد كان مزعجاً جدّاً وكنت واثقاً من أنه سيسبب لي مشكلة مع الجيران ليلتها فقررت فتح باب القفص لعله يخرس

(المذيع): ألم تخشَ على نفسك؟ .. لقد قلت بأنه قد يكون مسعوراً أو مصاباً بخلل نفسي

(إدريس): في الحقيقة نباحه المزعج وقتها سلبني حكمة التفكير المنطقي وكنت أريد إسكاته بأي شكل ففتحت باب القفص دون تردد لينطلق بعدها كالمجنون متوجهاً لسيارتي المركونة وسط المنزل

(المذيع): سيارتك؟

(إدريس): لم يكن يستهدف السيارة بل شيئاً كان مختبئاً خلفها في الظلمة

(المذيع) : قط؟

(إدريس) وقد تغيرت نبرة صوته : لا .. شيء مختلف .. مختلف تماماً

(المذيع) : مختلف كيف؟

(إدريس) : خرج الكلب وهو يجر ويسحب بفكه المطبق على ساق مخلوقٍ غريب .. ظننته صبيّاً صغيراً في بادئ الأمر أو رجلاً قصير القامة لكن مع اقتراب جسده الصغير المسحوب ناحيتي علمت أنه ليس بشراً من الأساس .. مسخ مخيف ونحيل بجلد أسود ومخالب طويلة .. ما زلت أذكر صرير أطرافها على الأرض والكلب يجره نحوي .. حدق بي غاضباً بأعين حمراء كالدم وكان يصدر صوتاً مزعجاً كبكاء الأطفال الرضع وقبل أن أستطيع استيعاب ما يحدث أفلت الكلب عن ساقه ووجه فكه وأنيابه لعنق ذلك الشيء وقوضه منتظراً أمراً مني

(المذيع) : أمر ماذا؟

(إدريس) : بتحريره أو قتله .. تذكرت وقتها الكلمتين الخاصتين بذلك اللتين أعطاني إياهما مدربه لكني ترددت باستخدام كلمة القتل وفي الوقت ذاته لم أكن سأطلق الأمر بتحرير ذلك الكائن المخيف والذي حدق بي بأعين ساخطة ملئت بالحقد والتوعد

(المذيع) : ماذا فعلت إذاً؟

(إدريس) : بقيت أراقب كلبي المزمجر وهو يسيطر على المسخ الصغير بفرك وجهه من وقت لآخر بالأرض وأنا في حيرة انتهت عندما شاهدته يوجه يده الصغيرة نحو أعين كلبي محاولاً فقأها لتخليص نفسه فصرخت بالكلمة في الحال

(المذيع) : أي كلمة منهما؟

(إدريس) : القتل بالطبع .. لم أكن سأسمح لذلك الشيء بإيذاء كلبي المخلص .. وما أن أعطيته الأمر حتى أطبق الكلب على عنقه واستمر بالضغط إلى أن فصل رأسه عن جسده

(المذيع) : هل جثة ذلك الشيء لا تزال موجودة عندك؟

(إدريس) : الحكاية لها عدة سنوات .. قمت وقتها بلفه في خرقة ودفنته في الأرض المقابلة لمنزلي

(المذيع) : والكلب؟

(إدريس) : هو في حجري الآن وأنا أفرك خلف أذنه خلال حديثي معك .. لقد بقي معي ولم أسمع نباحه مجدداً وفي الحقيقة لا أتمنى سماعه مرة أخرى

(المذيع) : شكراً لاتصالك يا (إدريس) .. سنأخذ فاصلاً إعلانياً سريعاً ونعود لكم

أنهت (نور) المكالمة وانتقلت مباشرة للشريط الإعلاني ثم نهضت وسارت نحو المذيع وقالت : «قصة غريبة بالفعل؟ .. هل تظن أنها حقيقية؟»

(المذيع) مشعلاً سيجارة : لا أظن بل متيقن من أنها حقيقية ..

(نور) وهي تجلس على طرف طاولته : وما أدراك؟

(المذيع) : المخلوق الذي تسلل لمنزله يسمى بـ(النقروس) وهو نوع من أنواع الشياطين المؤذية ويدخل للبيوت ليقتات على أصحابها

(نور) باستنكار : يقتات؟

(المذيع) : لا أقصد «يقتات» بالمعنى الدارج لكنه يلحق الأذى وينشر الأمراض المزمنة مثل السرطان وغيره ولا يرحل إلا بعد ما يقتل كل من في المكان الذي يستوطنه .. كينونة نادرة جداً لكنها موجودة وتتسبب بالكثير من العلل الروحانية والجسدية للمنازل غير المحصنة

(نور) باسمة : خيالك واسع ..

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان نحوها : نعم .. خيال

(نور) باسمة : سأجاريك به للتسلية فقط وسأسألك

(المذيع) : تسألينني ماذا؟

(نور) : كيف استطاع الكلب رؤيته؟ .. هل الكلاب تملك خاصية كشف تلك المخلوقات أو الكينونات كما تقول؟

(المذيع) : ليس الكلاب .. الذئاب .. الكلب كان هجيناً .. عرق الذئاب فيه هو من أعطاه القدرة على رؤيته وتلك المخلوقات تصاب بالشلل عندما يحدق بها ذئب

(نور) ضاحكة : هل أنت جاد فيما تقول؟!

(المذيع) مطفئاً السيجارة على سطح الطاولة : لا .. مجرد خيال واسع كما تقولين .. هيا لننتقل للساعة الثانية من البرنامج

(نور) : الفاصل الإعلاني لم ينتهِ بعد .. أخبرني ..

(المذيع) : ماذا؟

(نور) محدقة بأعين المذيع وبنبرة جادة : هل حقّاً تؤمن بوجود مثل هذه الأشياء؟

(المذيع) يبادلها النظر وبالحدة والجدية أنفسهما : أشياء ماذا؟

(نور) : الوحوش والمسوخ والشياطين وغيرها ..

(المذيع) : إيماني بها من عدمه لن يغير الحقيقة

(نور) : وأي حقيقة هذه؟

(المذيع) : أن (إدريس) ليس كاذباً فيما قاله ونقله لما رآه ..

(نور) : تقصد فيما اعتقد أنه رآه .. على أي حال أنصح بألّا ندخل في تفاصيل توضيحية مع المتصلين كي لا نُتهم بالتضليل

(المذيع) باسماً : عودي لمكانكِ لنبدأ الساعة الثانية ..

لنأخذ اتصالاً آخر



جلست (نور) مكانها ورفعت سبابتها مشيرة للمذيع بأنهما عادا للبث الحي ..

(المذيع) : عدنا لكم مع الساعة الثانية من الحلقة الأولى من برنامجنا الجديد «هذا ما حدث معي» ما زالنا في البداية وأمامنا الكثير .. لنأخذ اتصالاً آخر ..

- السلام عليكم

(المذيع) : وعليكم السلام .. تفضل عرفنا بنفسك

- أنا (غسان) .. قصتي قد لا تكون صريحة ومباشرة وربما لا تتعدى كونها مجرد تكهنات رجل يبالغ في تحليله وتوقعاته لكن على أي حال سأرويها والحكم متروك لك

(المذيع) : أريد أن أوضح شيئاً لك أخ (غسان) قبل أن تبدأ .. لك ولجميع المستمعين .. نحن هنا لسنا بصدد الحكم على مصداقية أي قصة ولسنا في محكمة كي تقدم لنا البراهين والدلائل لما تؤمن أنت بوجوده أو على أقل تقدير ما تؤمن بأنك مررت به وكما قلت فالحكم في النهاية لي وللمستمعين لكن حكمنا هذا ليس انتقاصاً لك أو لروايتك فلكل منا حق التصديق دون شواهد مثلما ليس من حقنا تكذيبك دون دليل لذلك تحدث بكل أريحية .. أنت وأي متصل ولا تلقِ بالاً لأي شيء آخر

(غسان) : كلامك هذا سهل عليّ مهمتي .. فعلاً كنت أحاول صياغة حكايتي بشكل يجعلها أكثر قابلية للتصديق لكن وكما قلت سأرويها كما هي وكما عاصرتها وعشتها

(المذيع) : تفضل نحن منصتون ..

(غسان) : لقد أتممت عامي الأربعين قبل عدة أسابيع ..

(المذيع) : عمراً مديداً بإذن الله

(غسان) : شكراً .. يوم ميلاد أي شخص بالعادة يرتبط بذكريات جميلة وهذا كان حالي إلى أن احتفلت بميلادي الحادي والعشرين والذي صادف أيضاً يوم تخرجي من الجامعة لذا قرر مجموعة من أصدقائي الاحتفال بتلك المناسبة بطريقة خاصة وهي الخروج في رحلة بحرية للصيد بحكم أننا جميعاً كنا نمارس تلك الهواية ونعشقها حد الهوس .. كانت فكرة أحد أصدقائي لجعل تلك الرحلة مميزة ومختلفة هي بالصيد في منطقة محظورة على العامة ولا يمكن الدخول إليها إلا بالتسلل ليلاً بالاستعانة بخدمات بعض البحارة المتمرسين والذين يقومون بذلك مقابل المال

(المذيع) : وما المميز في الصيد في تلك المناطق دون غيرها؟

(غسان) : الصيد يكون وفيراً جدّاً هناك ناهيك عن حس المغامرة المصاحب لخطر كسر القوانين .. كنا شباناً صغاراً لا نعي ما نفعله ونبحث عن المغامرة حتى لو كانت ستجلب لنا المتاعب والمشكلات

(المذيع) : وماذا حدث بعدها؟

(غسان) : تعاقدنا مع شخص يملك يختاً صغيراً وعدنا بأنه سيأخذنا لمنطقة جميلة بعيدة وسوف يتمكن من منحنا عدة ساعات للصيد فيها من بعد منتصف الليل إلى قبل الفجر لأن الدوريات البحرية المكثفة التي تجوب تلك المنطقة تكون أقل رصداً للمتسللين في ذلك الوقت

(المذيع) : معذرة على المقاطعة لكن لدي استفسار بسيط .. هل تعرف لَمَ تلك المنطقة محظورة .. كثافة الحراسة التي ذكرتها تثير الريبة .. هل هي منطقة عسكرية؟

(غسان) : من المضحك أنك سألت هذا السؤال لأنه يشبه استفساري تماماً الذي وجهته لقبطاننا بعد ما تحركنا من ساحل المدينة

(المذيع) : وماذا قال لك؟

(غسان) : أخبرني بأن المناطق المحظورة تختلف فبعضها يكون محميات طبيعية للمحافظة على تكاثر الأسماك والبعض الآخر يكون قريباً من مناطق صناعية أو عسكرية حساسة كما ذكرت لكن ما أثار استغرابي هو أني عندما سألته عن المنطقة التي نحن بصدد التوجه إليها وتحت أي الفئات تندرج أخبرني بأنها ليست من أي تلك المناطق وأنها محظورة لسبب آخر وما زاد توتري هو أنه تهرب من ذكر السبب .. لم يقل لا أعرف أو أعطاني سبباً من الأسباب الآنف ذكرها .. بل تحاشى الإجابة وكأنه لا يريد أن يثير قلقنا أو خوفنا

(المذيع) : وهل عرفت السبب لاحقاً؟

(غسان) : سأكمل القصة أولاً .. وصلنا للمنطقة المحظورة وقد كانت تضاريسها غريبة وجميلة في الوقت نفسه فبالرغم من أننا توغلنا وسط البحر إلا أن رؤوساً من الحجارة خرجت من فوق

السطح وكأنها قمم جبال مغمورة تحت الماء وكان القبطان يسير ببطء وحذر بينها خشية الاصطدام بها .. كنا متوترين جداً وطلبنا منه التوقف وعدم التوغل أكثر لكنه قال بأن منطقة الصيد الوفير التي يستهدفها ليست هنا ونحتاج أن نبحر أكثر. في نهاية المطاف وصلنا للموقع وأحاطت بنا الصخور المدببة المرتفعة من كل الجوانب فقام البحار والالتفاف وتوجيه مقدمة السفينة نحو الطريق الذي أتينا منه وكأنه لا يريد إضاعة الوقت عندما يقرر الرحيل ثم قال لنا: «يمكنكم رمي صنانيركم الآن ..» بدأنا بالصيد متجاهلين توترنا الذي تبدد مع أول هزة لرؤوس الصنانير وسحب الأسماك الكبيرة على سطح اليخت. بالفعل كان المكان غنياً جداً بالأسماك الكبيرة والنادرة والتي لا تجدها بسهولة حتى في الأسواق.

(المذيع) : كم أمضيتم هناك؟

(غسان) : ليس كثيراً فقد مُلئت ثلاجتنا سريعاً .. قرابة الساعة فقط .. لكن المثير للريبة هو حالة القبطان خلال صيدنا

(المذيع) : ماذا تقصد؟

(غسان) : لاحظت أنه كان يراقب سطح الماء من وقتٍ لآخر بترقب وتوترٍ شديدين وكأنه يتوقع حدوث شيء سيئ .. تصرفاته منذ وصولنا كلها كانت غريبة فقد نهانا عن إشعال أي ضوء بالرغم من

الظلمة وطلب منا الاعتماد على نور السماء وكشافات هواتفنا ط...
حتى أنه لم ينزل المرساة لتثبيت اليخت .. لم يكن يريد إضاعة ...
ثانية لو اضطر للرحيل بسرعة .. هذا ما شعرت به

(المذيع) : لعله سلوك طبيعي لأي رجل يعمل في خرق القانو...
والتهريب وأنت رأيت أنه سلوك خارج عن المألوف .. هل حدث
شيء سيئ أكد إحساسك هذا؟

(غسان) : ونحن نصطاد لا .. لكن عندما قررنا الرحيل نعم ..

(المذيع) : ماذا حدث؟

(غسان) : ما أن أدار القبطان المحرك وبدأ بالتحرك ببطء لمراوغة
الصخور المحيطة بنا حتى سمعنا جميعاً نداء .. نداء استغاثة قادماً من
وسط الماء على يميننا .. صوتاً أنثوياً .. امرأة أو فتاة كانت تستنجد بنا
لإنقاذها لكنها لم تحدد ما هو الخطر الذي تتعرض له فافترضنا أنها
تغرق فطلبنا من القبطان التوقف للتحقق لكنه نهرنا بقوة وغضب
شديدين قائلاً: «تجاهلوها!» .. استغربنا ردة فعله وحاولنا جاهدين
ثنيه عن ذلك وإيقاف اليخت فما كان منه إلا أن زاد من وتيرة إبحاره
غير آبهٍ لنا ففقد السيطرة واصطدم بإحدى الصخور البارزة فوق
سطح الماء

(المذيع) : لا تقل لي بأنكم علقتم أو أن المحرك توقف عن العمل؟

(غسان) : لا .. لكننا تعطلنا بعض الشيء واستدعى الأمر منه محاولة التراجع للخلف للعودة لمساره وقام بذلك وهو يتذمر ويكيل لنا الشتائم وأذكر أنه قال: «غباؤكم سيتسبب في هلاكنا!» .. الجو العام كان في قمة الفوضى والتوتر بين غضب القبطان واستمرار نداءات تلك المرأة المتكررة بعبارات مثل: «لا تتركوني» .. «لن أنجو لو رحلتم» .. وغيرهما من عبارات التوسل التي وللأسف تمكنت من أحد أصحابي وأثرت به ليقفز في الماء في محاولة للبحث عنها ومساعدتها. وقتها لم نستطع الوقوف جانباً ونحن نرى القبطان مستمراً بالتحرك مبتعداً عن المكان فهجمنا عليه وأوقفنا اليخت عنوة بعد ما قيدناه وهو يصرخ فينا بأننا سنندم على ما نفعله .. ظننا أنه كان يقصد بكلامه تهديدنا لكنه في الواقع كان يحذرنا

(المذيع) : يحذركم من ماذا؟

(غسان) : من تلك المرأة التي وبعد هدوء لم يدم طويلاً خلال ندائنا عليها وعلى صاحبنا في العتمة عاودت الاستنجاد مجدداً وكأن لا شيء حدث فقمنا بإشعال كشاف كبير كان على قمة اليخت وجبنا بنوره حولنا والقبطان يصرخ : «سوف تكشفون مكاننا يا حمقى!» .. تجاهلناه وسلطنا الضوء نحو المكان الذي أتى منه صوت الاستنجاد وحينها رأيناها .. و .. رأيناه ..

(المذيع) : تقصد صاحبكم؟

(غسان) : ما تبقى منه .. من دمه .. على أطراف فمها .. أنا لست مؤمناً بوجود مثل تلك المخلوقات لكني رأيتها بأم عيني مثلما شاهدها كل من كانوا معي .. امرأة بوجه ذو ملامح غريبة اختلط بين القطط والأسماك .. تحدق بنا بخبث بأعين واسعة غلب عليها السواد كأعين الدمى .. لم تمضِ ثوانٍ على تحديقها بنا حتى بدأت تطل بجانبها رؤوس مماثلة لها إلى أن تجاوزت أعدادهم العشرة .. تسمرنا في أماكننا عاجزين عن التصرف أو استيعاب ما كنا نراه ولم يكن بيننا شخص متماسك غير القبطان الذي استمر بالصراخ يطالبنا بتحريره فقمت أنا بذلك بعد ما انقطع سرحاني للحظة فما كان منه إلا أن قام بتوجيه لكمة لي أفقدتني الوعي مباشرة .. فتحت عينيّ لأجد نفسي على سطح اليخت والسماء منيرة بنور الفجر الحديث الولادة والقبطان منطلقاً بأقصى سرعته وأصدقائي جالسين حولي بوجوه مهمومة

(المذيع) : هل قدم لكم القبطان أي شرح أو تفسير لما حدث؟

(غسان) : لا .. أراد التخلص منا بأسرع وقت ولم يكن يريد رؤية وجوهنا مرة أخرى بالرغم من يقيني بأنه يعرف ما الذي تعرضنا له ومع ذلك لم نسكت وبحثنا في الأمر حتى اكتشفنا أن تلك المنطقة كانت مشهورة سياحيّاً وإحدى بقع الغوص المشهورة ويرتادها

الغواصون لجمال أعماقها لكنها أغلقت بعد حدوث عدة حالات افتراس نُسبت للقروش بالرغم من أنها لا تستوطن تلك المناطق وهذا كان سبب تحويلها لمنطقة محظورة

(المذيع) : هل أبلغتم السلطات بمقتل صديقكم؟

(غسان) : نعم لكننا لم نستطع ذكر المنطقة التي دخلنا إليها لأن ذلك سيوقعنا في مشكلات قانونية فادعينا أننا فقدناه في منطقة أخرى وما زلت أشعر بالذنب إلى هذا اليوم لقيامنا بذلك

(المذيع) : لاحظ يا سيد (غسان) أنك تعترف على الهواء مباشرة بارتكاب جريمة

(غسان) : أنا لم أفعل شيئاً! .. تلك المخلوقات هي من قتلته!

(المذيع) مشيراً لـ(نور) بقطع الاتصال : شكراً لاتصالك .. أحب أن أنوه للمستمعين بأن أسرة البرنامج غير مسؤولة عن أي تصريحات أو اعترافات يدلي بها المتصلون ويتم ذكرها على أثير المحطة وأي ملاحقة قانونية تتبعها فنحن نخلي مسؤوليتنا عنها مقدماً .. لنأخذ اتصالاً آخر

- مرحباً ..

(المذيع) مشعلاً سيجارة : أهلاً .. تفضل ..

- في الحقيقة كنت سأحكي قصة ما لكن سماعي لقصة المتصل السابق ذكرني بقصة أخرى

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : هل ارتكبت جريمة أنت الآخر؟

- لا لا .. موضوع الصيد والبحر أنعش ذاكرتي لشيء مشابه مررت به منذ عدة أعوام

(المذيع) : تفضل .. ولا تعرفنا بنفسك كي لا ندخل في مشكلات قانونية

- حسناً .. أنا لا أهوى صيد الأسماك بشغف كبير مثل المتصل السابق لكنني أحب الانعزال أمام البحر من وقتٍ لآخر عندما ترهقني ضغوط الحياة وأجد فيه متنفساً مريحاً يجدد حيويتي ونفسيتي على السواء لذا أعمد لاختيار مناطق ساحلية بعيدة عن تجمع الناس المألوف فقط كي أشعر بتلك العزلة والانسلاخ عن الحضارة قدر الإمكان

(المذيع) : وكم تمضي من الوقت هناك؟

- بضع ساعات فقط وغالباً ما تكون في النهار فأنا لا أحب الوجود في هذه الأماكن بعد غروب الشمس والقصة التي سأرويها حدثت عند موعد رحيلي .. قبل المغرب بنصف ساعة تقريباً

(المذيع) : وما الذي حدث بالضبط؟

- كنت أحتسي الشاي متأملاً البحر الهادئ أمامي وأراقب الطبيعة الخلابة من طيور محلقة وأسماك قافزة من وقتٍ لآخر على سطح الماء وأحياناً أنهض وأسير بمحاذاة الشاطئ الرملي لأبلل أقدامي لكني لا أتوغل أكثر لأني أخشى الغرق فأنا لا أجيد السباحة وخلال جلوسي وتأملي لمحت شخصاً يسبح على بعد أمتار قريبة مني فنهضت من مكاني لأدقق النظر فيه أكثر فقد كان من الغريب وجود أحد في تلك المنطقة النائية خاصة وأنني لم أرَ أي سيارة بالجوار أو حتى في طريق قدومي لكن غرابة الموضوع تفاقمت عندما اتضحت لي معالم من كان يعوم أمامي فقد كانت فتاة .. لم أطل النظر إليها بعد ما تيقنت من أنها بالفعل فتاة عارية تستحم بحرية ولم تشعر بوجودي فقررت تغيير مكاني قبل أن تنتبه لي وتشعر بالحرج

(المذيع) : تصرفٌ نبيل منك ..

- في الحقيقة لم أكن أريد جلب المتاعب لنفسي فأي صرخة منها ستكون نهايتها اتهامي بالتلصص عليها

(المذيع) : من سيتهمك في هذا المكان المقطوع؟ .. أنا لا أبرر لك أو ألومك لكن أتحدث بمنطقية

- لم أكن أريد المخاطرة فقد يكون معها مرافق لم أره ولم أكن أنوي البقاء لاكتشاف ذلك وأنا كنت سأرحل على أي حال فالشمس قد بدأت بالغروب والظلام سيحل لذا جمعت حاجياتي ووضعتها في صندوق السيارة وقدتها بعيداً عن المكان

(المذيع) : وانتهت القصة ..

- كنت أتمنى ذلك .. بعد أن قطعت مسافة نصف ساعة تقريباً واختفت معالم الساحل خلفي وغربت الشمس تماماً انتبهت إلى أني وخلال رحيلي على عجالة نسيت هاتفي المحمول على الشاطئ فدست على المكابح بقوة وتوقفت .. بقيت أفكر وأفكر

(المذيع) : تفكر في ماذا؟

- في جدوى العودة لذلك المكان وفي هذا الوقت لأجل جهاز يمكنني شراء بديلٍ عنه .. وهل الأمر يستحق المخاطرة

(المذيع) : تبدو إنساناً متعقلاً ..

- بل أحمق .. فقد قررت العودة للشاطئ كالأهبل لأن الجهاز لم يمضِ على شرائه إلا عدة أشهر وظننت أنه يمكنني أخذه والرحيل بسرعة

(المذيع) : ألم يحدث ذلك؟

- بلى .. وصلت للمكان ونزلت بعد ما تركت إنارة مصابيح السيارة مشغّلة أبحث على الساحل إلى أن وجدته والتقطته وجريت على الفور نحو السيارة وركبتها وأغلقت الباب خلفي على الفور .. كنت متوتراً فالمكان ليلاً مخيف جدّاً وقبل أن أتحرك شممت رائحة زفِرة في سيارتي رائحة قوية ومركزة كرائحة السمك وبعد البحث عن مصدرها وجدت أنها قادمة من هاتفي عندها أدركت أنه مبللٌ بالرغم من أني كنت واثقاً من أن رمال الشاطئ التي استقر فوقها كانت جافة ولم يكن هناك مد للماء ليتبلل فوضعت الهاتف في جيبي وتجاهلت الأمر برمته ورحلت على الفور سالكاً ذلك الطريق المظلم الوعر لكن الرائحة لم ترحل بل على العكس ازدادت حدة لدرجة خانقة كتمت أنفاسي مما دفعني لتشغيل التكييف وفتح جميع النوافذ ومع ذلك لم يتغير شيء كثير .. أحسست بأن مصدر الرائحة ملاصق لي وبقيت في حيرة حتى اكتشفت مصدرها ..

(المذيع) باهتمام : وهل كان هناك مصدرٌ آخر للرائحة غير الهاتف كما قلت سابقاً؟

- الفتاة .. الفتاة التي رأيتها تستحم سابقاً وسط البحر .. كانت

تجلس على المقعد الخلفي لسيارتي .. رأيتها من خلال مرآتي الأمامية تنظر لي بأعينها السوداء كأعين الدمى .. وكانت كما وصفها المتصل السابق .. ملامحها تشبه القطط والأسماك في الوقت نفسه

(المذيع) : وماذا فعلت؟

- ماذا فعلت؟ .. أوقفت السيارة بالطبع وخرجت منها أصرخ كالمجنون وبقيت أجري وأجري لمسافة بدت لي أنها كبيرة إلى أن خارت قواي وسقطت على الأرض غير قادر على رفع جسدي وغططت في نوم عميق للصباح الذي داعبتني أشعة شمسه وأيقظتني لأرى أني في مكان مفتوح لكن لمعان سطح البحر واضح لي في الأفق البعيد .. نهضت نافضاً الرمال عن ملابسي أبحث بنظري حولي حتى تمكنت من رؤية سيارتي وكأنها نقطة حمراء صغيرة

(المذيع) : حمراء؟

- لونها كان أحمرَ .. لم أدرك حجم المسافة الطويلة التي قطعتها إلى أن بدأت بالسير نحوها لأن الوقت الذي استغرقته لبلوغها لم يكن قصيراً وحين اقتربت وأصبحت المسافة بيني وبينها عدة أمتار رفعت حجراً من على الأرض وتحركت بحذر متأهباً



لأي مفاجآت لكني لم أرَها ولم أجد لها أثراً وسط السيارة أو حولها فأدرت المحرك ورحلت على الفور

(المذيع) : ماذا تظن أنك واجهت ذلك اليوم؟

- في الحقيقة كنت متأملاً بأن تخبرني أنت .. ربما تكون امرأة عادية وأنا بالغت بردة فعلي تلك

(المذيع) : شكراً لمشاركتك .. ويمكنني أن أخبرك بأنها لم تكن امرأة عادية .. أو امرأة من الأساس .. لنأخذ اتصالاً آخر

أشارت (نور) للمذيع بأنها تريد الحديث معه قبل الانتقال للاتصال الجديد فقرب فمه من الميكرفون وعيناه عليها وقال : «فاصل سريع وسنعود لكم ..»

حولت المعدة البث لشريط إعلاني سريع نهضت بعدها على عجالة ووقفت عند المذيع الذي كان يهم بإشعال سيجارة لكنها أخذتها من يده وقالت :

«لمَ لم تسمح للمتصل الأخير بالتعريف بنفسه؟»

(المذيع) آخذاً السيجارة من يدها مقرباً لهب الولاعة من رأسها :

«ألم تسمعي كلامي؟ .. لا نريد إقحام المحطة في أي مساءلات قانونية»

(نور) : المعذرة يا سيدي لكن من واجبي أن أخبرك بأننا لا نتحمل أي مسؤولية تجاه أي تصريحات تقال على الهواء .. إن كنا سندخل في مساءلات قانونية فهي ستكون بذكر عبارات مثل «كورونا» وغيرها لكن عدا ذلك فنحن غير مسؤولين .. وهذا أمر معروف

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان ناحيتها : معروف عند من؟

(نور) بنبرة متهكمة بعض الشيء : عند أي شخص يعمل أو عمل في الإذاعة من قبل

(المذيع) : إلى ماذا تلمحين؟

(نور) وهي تهم بالعودة لمكانها : لا ألمح لشيء أنا فقط أذكر لك الحقائق

جلست (نور) على مقعدها ورفعت سبابتها وأشارت إلى أنهما عادا على الهواء ..

(المذيع) : عدنا لكم مجدداً مع اتصال آخر .. تفضل نحن منصتون ..

- هـ .. هل .. هل أعرف بنفسي أم أن هذا ممنوع؟

(المذيع) موجهاً نظره لـ (نور) : لا أبدًا يمكنك التعريف بنفسك

- آه .. جيد . أنا (رشا)

(المذيع) : تفضلي يا (رشا) نحن منصتون ..

(رشا) : الواقعة حدثت لي عندما كنت طالبة في المرحلة الإعدادية وقتها كنت قد التحقت للتو بمدرسة جديدة لانتقال مقر سكنتنا لحي آخر .. يومي الأول كان جميلاً وكونت فيه صداقات عدة في وقتٍ قياسي بسبب طبيعتي الاجتماعية حتى أن بعض المدرسات ومنذ الأسبوع الأول بدأن يوكلن لي مهام إشرافية على الطالبات لمساعدتهنّ

(المذيع) : شيء جميل ..

(رشا) : نعم لكن ذلك هو ما أوقعني في المشكلة التي أريد التحدث عنها .. كان يوجد في فصلي فتاة لاحظت أنها لا تتفاعل أو تتواصل مع أحد وبعد التقصي اكتشفت العكس وهو أن الجميع يتحاشينها ولا يردن التعامل معها بأي شكل حتى المدرسات لا يلقين لها بالاً أو يمنحنها فرصة للمشاركة خلال الدروس إذا رفعت يدها .. استغربت جداً من طريقة معاملتهن لها بالذات من المعلمات خاصة وأن الفتاة بدت لطيفة وغير منفرة لا بالقول ولا بالفعل وتتبسم لكل من ينظر إليها ومع هذا كانت تتعرض للجفاء والتهميش من الجميع فقررت التقرب منها والحديث معها

(المذيع) : لا تقولي بأنكِ كنتِ الوحيدة التي كنتِ ترينها

(رشا) : لا أبدًا .. الجميع كنّ يرينها بوضوح والدليل أنهن انتقدن

تقربي منها ونصحتني بالابتعاد عنها وعندما أسألهن عن السبب يتهربن ولا يمنحنني إجابة مقنعة عدا «فقط ابتعدي عنها ..»

(المذيع) : ربما فعلاً لا يوجد سبب

(رشا) : مستحيل أن يتفق الجميع على كره تلك الفتاة اللطيفة بدون سبب .. ماذا عن المعلمات؟ .. لِمَ تعمدن تجاهلها؟ .. وقتها كنت في حيرة عظيمة وزادت أكثر عندما تبادلت الحديث معها ووجدت أنها طيبة جداً وتملك روحاً مرحة وأصبحنا صديقتين في الحال

(المذيع) : أين المشكلة إذًا؟

(رشا) : أقصاني الجميع بعد ذلك وبعضهن قلن لي سوف تندمين على تقربك منها لكني قاومت ولم أستجب لهن وأكملت علاقتي معها وكنا نجلس وحدنا في أوقات الفسحة وسألتها يوماً عن سبب معاملتهن لها بتلك الطريقة فقالت بأنها لا تعرف ولم تذنب بحق أيٍّ منهن وأنها لم تجبر أحدًا من قبل على الحديث معها وهنا لاحظت بالفعل أنها لا تبادر بالحديث أبداً معي أو مع غيري وأنا دوماً من يفتح الحوار حتى لو جلست بجانبها في الصف فهي تبقى تنظر لي وتتبسم ولا تتكلم معي إلا بعد ما أبدأ أنا .. كنت أجد ذلك التصرف غريبًا بعض الشيء لكني لم أدقق فيه كثيراً إلا بعد ما حصل ما حصل

(المذيع) : وما حصل هو سبب اتصالكِ ..؟

(رشا) زافرة : نعم .. لا أعرف إن كان كل من حذرنني منها مررن بما مررت به لكن ما حدث كان مريعاً ..

(المذيع) : وماذا حدث؟

(رشا) : بدأ الأمر بزيارتها لي في المنزل بعد انتهاء اليوم الدراسي وكان ذلك سيصبح شيئاً طبيعيًا لولا حقيقة أني لم أخبرها بمكان إقامتي ناهيك عن تصرفاتها الغريبة عندما دعوتها للدخول وعرفتها على أمي .. كانت تتكلم بطريقة غريبة ومغايرة لأسلوبها في المدرسة فقد تحدثت بحماس وسرعة مريبة حتى أن صوتها بدا أكثر حدة بسبب السرعة التي تكلمت بها ومع ذلك تجاهلت الموضوع ودعوتها لغرفتي حيث عبرت عن غبطتها لي على كل شيء وكيف أني محظوظة وتصرفات غريبة أخرى مثل اشتمام حاجياتي ومحاولة تذوق أمور غير قابلة للأكل مثل أدوات التجميل الخاصة بي وكذلك نفورها من قطتي والبصق عليها .. لا أعرف .. تصرفات أصابتني وقتها بالتوتر من ناحيتها لكن المصيبة حلت في المساء عندما سألتها عن موعد رحيلها وأخبرتني بانها لا تريد الرحيل

(المذيع) : هل كانت تريد المبيت عندكِ؟

(رشا) : بل أرادت أن تقيم معي .. بالطبع رفضت وطلبت منها الاتصال بأهلها ليقلوها وهنا كشفت عن وجهها الآخر .. تجهمت

ثم بكت بصوت مرتفع فوبختني أمي ظناً منها أني أسأت إليها فاستغلت الفرصة وأخبرت أمي بأنها قد استأذنت من أمها للمبيت معي الليلة وأنها وافقت لكنني أنا لم أكن أريدها فقامت أمي بتهيئة فراش لها في غرفتي ورحبت بها ومهما حاولت الشرح لها لم تلق لي بالاً وتجاهلتني بالكامل .. خلدت لفراشي وتعاملت معها بجفاء على أمل أن يأتي الصباح وأنتهي من هذه الزيارة الثقيلة وهي بدورها لم تحاول الاحتكاك بي واستلقت على الأرض بجوار سريري حيث فرشت لها أمي

(المذيع): وعندما حل الصباح .. هل رحلت؟

(رشا): لم يلحق الصباح أن يشرق علينا فقد استيقظت منتصف الليل على منظر شلني جزعاً .. فتحت عينيّ لأجدها تقف بجانب سريري تحدق بي بأعين لم تكن سوى مجرد تجاويف سوداء خاوية في رأسها .. بقيت على تلك الحالة حتى تبسمت وأخذت تتحرك في جوانب غرفتي بحركة سريعة مرعبة وكأنها شريط مرئي مسرع ولم تتوقف إلا عندما لمحت قطتي النائمة وانقضت عليها وبدأت تفترسها بتلك السرعة المخيفة نفسها .. لم أتحرك ولم أقوَ على الصراخ لأني شعرت بالاختناق وتسمرت مكاني أراقبها تلتهم كل قطعة من قطتي حتى رفعت رأسها بحركة خاطفة ووجهت تلك التجاويف السوداء ناحيتي وفتحت فمها المبلل بالدماء وأطلقت صوتاً لن

أنساه أبداً .. أقرب وصف يمكنني أن أصف به ذلك الصوت وكأنها نطقت حرف الألف بشكل مستمر لعدة دقائق .. في تلك اللحظة انتفض جسدي وقفزت من فراشي وخرجت من غرفتي جرياً نحو غرفة أمي وأبي باكية مستنجدة وأعتقد أنها لحقت بي لنصف المسافة لأني كنت واثقة من سماع دبيبها المتسارع على أطرافها الأربعة خلفي

(المذيع) : وعندما أيقظتِ أهلكِ لم تجديها أو تجدي أثراً لما فعلته للقطة وكأنها لم تكن هناك ..

(رشا) بنبرة متعجبة : نعم ..!

(المذيع) : وعندما ذهبتِ للمدرسة في اليوم التالي وجدتها كما هي وكأن شيئاً لم يكن ولا أستبعد أنها تبسمت لكِ وكأن شيئاً لم يحدث لكنها بالطبع لم تبادر بالحديث معكِ

(رشا) باندهاش : وكأنك كنت معي .. نعم هذا ما حدث بالضبط .. كيف ..؟

(المذيع) مقاطعاً : هذا تصرف طبيعي من الكينونات التي تنتمي لها تلك الفتاة .. في الواقع هي ليست فتاة

(رشا) : ماذا تكون إذاً؟

(المذيع) : هي فصيلة من الشياطين الانتهازية تعرف بـ(المغا..

رفعت (نور) في تلك اللحظة يدها وأشارت للمذيع محذرة إياه من إعطاء تفاصيل أكثر ..

(المذيع) وهو مستاء مما فعلته ناظراً للساعة المعلقة على الحائط خلفها ليرى أنها قاربت على إتمام الثانية صباحاً :

«على أي حال شكراً يا (رشا) على مشاركتنا تجربتكِ .. لقد نجوتِ من علاقة خطرة كانت ستقود لهلاككِ لو أنها استمرت .. سوف نأخذ فاصلاً لمدة عشر دقائق ونعود لكم بعدها تمام الثانية صباحاً ..»

ما أن انتقلت (نور) للفقرة الإعلانية حتى وجدت المذيع يقف أمامها بوجه متجهم قائلاً : «ماذا تظنين نفسك فاعلة؟! .. لا يحق لكِ إعطائي التوجيهات! . .أنا من يوجهكِ فقط!»

(نور) بهدوء : أنا أقوم بعملي .. لقد حذرتك من الدخول في التفاصيل ..

(المذيع) بسخط : ومن أنتِ لتحذريني؟! .. أنتِ معدة فقط وهذا البرنامج مسؤوليتي!

(نور) : مسؤوليتنا جميعاً ومن واجبي ..

(المذيع) مقاطعاً بعصبية : واجبك كبس الأزرار فقط وعدا ذلك لا دخل لكِ فيه!



(نور) : مدير المحطة سيكون له رأي آخر عندما يصله علم بما تقوم به

(المذيع) مشعلاً سيجارة بحنق موجهاً سبابته لوجهها : لا يهمني! .. أنا اتفقت معه على إدارة البرنامج بالطريقة التي أراها!

(نور) : طريقتك هذه ستقود لإلغاء البرنامج ..

(المذيع) عائداً لمقعده : فليكن! .. المهم ألّا تتدخلي فيما لا يعنيكِ!

جلس المذيع على كرسيه يدخن ما تبقى من سيجارته وعينه على ساعة الحائط التي أشارت لقرب تمام الثانية صباحاً ثم قال محدثاً نفسه بنبرة هادئة مسموعة لـ (نور) : «هؤلاء يحتاجون مساعدتي ..»

(نور) وهي ترتب بعض الأوراق دون أن تنظر إليه : «هذا ليس واجبنا .. استماعنا لهم بحد ذاته مساعدة كافية ..»

(المذيع) موجهاً نظره نحوها : أنتِ لا تفهمين .. «لا يوجد شعور أسوأ من أن تعتقد أنك وحدك ..»

(نور) : لا تحدثني عن الوحدة فأنا أعيشها كل يوم مع نفسي ..

(المذيع) : أن تعيشيها مع نفسك أهون بكثير من أن تعيشيها مع من يريد سلب تلك النفس ..

نظرت (نور) له بتعجب وحدقت صامتة بعينيها اللتين بدا عليهما

الجزع ثم قالت :

«لا أحد يستطيع أن يؤذي أحداً إن لم يكن مُقدراً له ذلك ..»

(المذيع) : ولو كان مقدراً له ذلك .. فما العمل ..؟

(نور) رافعة كفها مشيرة له بأنهما سيعودان للأثير : «لا مهرب من الأقدار المكتوبة ..»

طريق اللاعودة



أطفأ المذيع سيجارته قائلاً : «صباح الخير .. عرفنا بنفسك ..»

- السلام عليكم ..

(المذيع) : وعليكم السلام .. تفضل ..

- أنا (عبد القادر) .. وأرغب بالمشاركة

(المذيع) : تشرفنا يا (عبد القادر) .. نحن منصتون ..

(عبد القادر) : أنا لم أقابل مسخاً أو رأيت شبحاً .. لم أسمع صوتاً أو شعرت بحركة حولي خارج المألوف .. لكن .. أرى آثاراً على جسدي بشكل شبه يومي بعد استيقاظي من النوم لم أجد لها تفسيراً أبداً بالرغم من أني أعمل كطبيب وأملك خلفية علمية وطبية تخولني بالبحث وتشخيص أي حالة مرضية قد أعاني منها لكني لم أجد وما زلت أعاني بصمت

(المذيع) : وما الذي تعاني منه؟

(عبد القادر) : أشياء عدة لا تشترك فيما بينها سوى في أنها أذى يستهدف جسدي من الخارج .. جروح وخدوش .. كدمات ورضوض .. في أماكن متفرقة من جسمي ولا يوجد رابط بينها يجعلني أحصرها في علة محددة والعامل المشترك بينها هي أنها لا تحدث إلا خلال نومي

(المذيع) : هل يمكن أن تصف لنا بعضها بتفصيل أكثر؟

(عبد القادر) : سأتحدث عن أكثر ما سبب لي القلق منها .. خدش طويل رأيته عندما استيقظت صباح أحد الأيام .. امتد من أسفل عنقي حتى قمة سرتي .. خدش لم تحدثه سكين أو مشرط .. أنا واثق من ذلك .. كان الخدش دقيقاً بحيث لم يتسبب بنزيف كبير لكنه شق سطح جلدي بعناية فائقة وكأن من فعل ذلك لا يريد أن أنزف بشكل يهدد حياتي .. هذا ما شعرت به وقتها

(المذيع) : ألا يوجد احتمال أنك أنت من تفعل ذلك بنفسك لا إرادياً خلال نومك ..؟

(عبد القادر) : خطرت هذه الفرضية على بالي لكن وجدت استحالتها لسببين .. أولاً هو أني لا أملك الأظافر التي يمكنها إحداث مثل ذلك الشق وثانياً كوني استيقظت بلا ملابس

(المذيع) : ماذا تقصد؟

(عبد القادر) : أقصد ما أخبرتك به .. وجدت ملابسي منزوعة ومرمية بجانب السرير وكانت تلك أول مرة يحدث لي ذلك .. شعرت بالجزع الشديد وغمرني شعور خانق بالانتهاك لكني كنت وما زلت عاجزاً عن وقف مثل تلك الأمور

(المذيع) : متى حدث ذلك؟

(عبد القادر) : قبل شهرين تقريباً

(المذيع) : ومنذ ذلك الوقت هل حدث شيء آخر يستحق الذكر؟

(عبد القادر) : أمر واحد فقط .. وهو أغرب ما حدث لي وسبب اتصالي في الحقيقة

(المذيع) : ما هو؟

(عبد القادر) : أنا شخص منضبط جدّاً في مواعيد عملي والتي

تكون غالباً متقلبة حسب نوبات المستشفى لكني غالباً أكون على علم بجدولي لمدة أسبوع مقدماً لذا أستطيع ترتيب مواعيد نومي لأوجَد في العيادة مبكراً لكن ما حدث قبل أسبوع هو أني خلدت للنوم وضبطت منبهي كي يوقظني بعد عدة ساعات لكني لم أسمع المنبه واستغرقت في النوم وتغيبت عن عملي

(المذيع) : لا أجد في الأمر شيئاً مثيراً للغرابة .. الإنسان قد يصاب بالإرهاق من وقتٍ لآخر ويفقد القدرة على النهوض لعدة ساعات ويفوت يوم عمل وأحياناً يومي عمل

(عبد القادر) : لقد فوت خمسة أيام بالكامل ..

(المذيع) بتعجب : خمسة؟

(عبد القادر) : نعم .. وعندما استيقظت كنت أشعر بأنه سيغمى علي من الجوع والعطش .. كنت في حالة عصبية وتوجهت لدورة المياه وشربت من الصنبور بنهم شديد وفجعت عندما شاهدت حالة جسدي الممتلئ بالكدمات والجروح وكأني تعرضت لتعذيب ممنهج ولم يسلم مني إلا وجهي الذي بقي صافياً ولم يُمس بخدش وزادت فاجعتي عندما سرت نحو هاتفي بجانب سريري ورفعت شاشته لأرى الساعة والتاريخ

(المذيع) : كلامك غريب .. ألم يفتقدك أحد من أهلك أو زملاء عملك أو حاول أحد منهم زيارتك لتفقدك؟

(عبد القادر) : هنا تكمن غرابة ما حدث .. فلم أجد أي اتصال فائت من أحد ممن ذكرت وكأنهم لم يشعروا بغيابي لكني لاحظت وجود عدد من المكالمات المستقبلة في قائمة اتصالاتي خلال الأيام الخمسة الماضية مما يشير إلى أني قمت بالرد على مجموعة من المتصلين في الفترة التي من المفترض أني كنت نائماً فيها وبعد ما استجمعت نفسي بدأت بالاتصال على جميع من حاولوا التواصل معي وجميعهم أخبروني بالأمر ذاته

(المذيع) : بماذا أخبروك؟

(عبد القادر) : أني أجبت بنفسي على كل اتصال ورد منهم وطمأنتهم بأني متعب قليلاً وطلبت من زملائي أن يقدموا لي إجازة لمدة أسبوع أما بالنسبة لأهلي فقد أخبرتهم بألّا يحاول أحدٌ زيارتي حتى أشفى بالكامل لإصابتي بمرضٍ معدٍ وأنا لا أذكر شيئاً مما قالوه وأشعر بأني سأفقد أو فقدت عقلي بالفعل

(المذيع) : سيد (عبد القادر) هل أنت متزوج أو مرتبط بأي امرأة؟

(عبد القادر) : لا أبداً .. أنا أقيم وحدي وليس لي أي علاقات

صمت المذيع ووجه نظره لـ (نور) التي تجلى في وجهها الخوف ثم قال : هل يمكنك الانتظار على الخط كي أتحدث معك تحت الهواء؟

(عبد القادر) : حسناً .. سأنتظر

أشار المذيع لمعدته بالخروج لفاصل إعلاني وتحويل المكالمة له بشكل خاص وما أن فعلت حتى قال : هل تسمعني يا (عبد القادر)؟

(عبد القادر) : نعم أسمعك بوضوح

(المذيع) : هذه مكالمة بيني وبينك ولا أحد يسمعنا .. أريدك أن تنصت لي باهتمام وتنفذ ما سأطلب منك قبل فوات الأون

(عبد القادر) بقلق : لقد أخفتني .. ما الذي يحدث؟

(المذيع) : لا تفكر بشيء سوى علاجك

(عبد القادر) باستنكار : علاجي؟ .. هل أنت طبيب؟

(المذيع) : لا تدخلنا في أحاديث جانبية .. الفقرة الإعلانية ستنتهي قريباً .. فقط أنصت لي ونفذ ما سآمرك به .. رجاءً

(عبد القادر) : حاضر .. تفضل ..

(المذيع) : هل تعرف اللبان العربي؟

(عبد القادر) : نعم

(المذيع) : ابتغْ كمية منه .. ربع كيلوغرام سيكون كافياً .. قم بتبخير غرفتك منه قبل النوم وعند الاستيقاظ

(عبد القادر) : هل هذه مزحة؟

(المذيع) مستأنفاً حديثه متجاهلاً تعليقه : ولا تنم على فراشك أبداً خلال هذه الفترة لكن يجب أن تنام في غرفتك وليس في مكان آخر .. على الأرض بوسادة قاسية .. هل تفهمني؟

(عبد القادر) : لا .. لا أفهمك .. عن ماذا تتحدث؟

(المذيع) : عملية التطهير يجب أن تستمر لعشرة أيام بعدها يمكنك العودة لحياتك الطبيعية ولن تعاني من أي شيء بعدها .. يجب أن أذهب الآن

ما أن سمعت (نور) ذلك حتى فصلت المكالمة ونقلت المذيع للهواء مجدداً وعلى وجهها بوادر عدم الرضا عما حدث للتو لكنها لم تعلق ..

(المذيع) مشعلاً سيجارة : «عدنا لكم مرة أخرى مع اتصال جديد ..»

- صباح الخير

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : صباح النور .. تفضلي

- أنا (مهرة) وأريد المشاركة

(المذيع) : اسمك مميز وجميل يا (مهرة) ..

(مهرة) : شكراً على إطرائك .. أمي هي من اختارته لي

(المذيع) : وما الذي تريدين مشاركتنا به اليوم يا (مهرة)؟

(مهرة) : قصة حدثت معي ومع إخوتي عندما كنا نلعب ونحن صغار .. وقتها لم يتجاوز عمري الحادية عشرة وكنا للتو قد انتقلنا لحي جديد في مخطط سكني تحت الإنشاء ومعظم المنطقة لم تكن ماهولة فلم يكن هناك بيوت مكتملة سوى منزلنا وبعض المنازل الأخرى البعيدة منا وبقية المخطط إما كان مباني طور البناء أو مجرد أراضٍ فارغة

(المذيع) : هل هذا المخطط بعيد عن المدينة؟

(مهرة) : نوعاً ما .. فقد كان مقاماً على رقعة صحراوية ولم تكن أغلب الخدمات قد وصلت إليه .. فقط الكهرباء والماء أما الإنارة لم تشمل الشوارع لذا مع حلول الليل تتحول المنطقة لمكان مظلم ولا يُرى سوى نور منزلنا وبعض البيوت البعيدة المكتملة .. حتى الشوارع معظمها كان ترابياً ولم يصله التعبيد بعد

(المذيع) : وما الذي حدث لكم في منزلكم الجديد؟

(مهرة) : ما حدث لنا لم يقع في منزلنا بل في أحد المنازل قيد الإنشاء بالقرب منا فقد كنا نحب أنا وإخوتي الذهاب إليه عصراً بعد رحيل عمال البناء واللعب فوق هضبة الرمال الكبيرة المعدة للاستخدام في صنع الخلطات الإسمنتية والخرسانية وكذلك التجول في غرفه للعب الغميضة والعبث بالأدوات من مطارق ومناشير وغيرها

(المذيع) : لا بد وأن صاحب المنزل كان يستاء من عبثكم هذا .

(مهرة) : عبثنا هذا توقف في أحد الأيام ولم نعد لهذا المنزل أو أي منزلٍ آخر غيره بعدها

(المذيع) : والسبب؟

(مهرة) : نحن كنا أربعة .. أنا وأختاي وأخونا الأصغر الذي لم يلتحق بالمدرسة بعد .. في الغالب كنا نلعب معاً وفي المكان نفسه لكن من وقتٍ لآخر نتفرق لنمارس ألعاباً مستقلة حتى تبدأ الشمس بالمغيب لنعود فوراً لبيتنا قبل أن يحل الظلام فلو تأخرنا تصبح المنطقة موحشة جداً والسير فيها ليلاً خطر جدّاً بسبب الأفاعي والعقارب المنتشرة ناهيك عن سخط أبي الذي سيطالنا لو حدث ذلك ولكن في ذلك اليوم المشؤوم وعندما قررنا العودة لم نجد أخي الصغير في أي مكان ولا في أي غرفة من غرف ذلك المنزل ومهما بحثنا ونادينا عليه لم نجد له أثراً أو استجابة

(المذيع) : وماذا فعلتم؟

(مهرة) : خطر ببالنا أنه عاد لمنزلنا وحده لسببٍ ما فقمنا بإرسال إحدانا للتحقق من ذلك وبقينا بانتظارها والشمس تعيش لحظات غروبها الأخيرة وقبل أن تختفي في الأفق سمعنا صوت سقوط شيء ثقيل قادماً من الطابق العلوي فهرعنا جرياً للداخل ظنّاً منا

أنه أخي يقوم بالعبث ببعض الأدوات وعند وصولنا لقمة السلالم تفرقنا فوراً بحثاً عنه ونحن ننادي عليه بأعلى أصواتنا في الظلمة التي سقطت على جوانب المنزل وأركانه لكننا لم نجده أو نسمع أي صوت آخر عدا ما يشبه الزحف البطيء قادماً من قمة السلالم المؤدية للسطح .. سرنا أنا وأختي بحذر وتوتر على درجات السلم وأعيننا تتأقلم تدريجيّاً مع العتمة مظهرة لنا بعض تفاصيل المكان حولنا حتى دخلنا السطح ووفر لنا نور السماء بعض الضوء الإضافي .. وعندها رأيناه

(المذيع) : أخوك؟

(مهرة) : لا .. شيء .. ظل .. لا أعرف .. كل ما أعرف أنه اتخذ شكلاً كالرجل لكن لا ملامح واضحة له سوى أنه كان كالسحابة السوداء المتكورة في إحدى زوايا السطح وفي لحظة حيرة وشتات اقتربنا منه

(المذيع) : لَمَ لم تهربا؟

(مهرة) : لا أدري .. أعتقد أن شعور الدهشة والفضول تغلب على الحذر والحيطة وقتها

(المذيع) : وهل تعرض لكما بأي شكل من الأشكال؟

(مهرة) : في البداية لم يتحرك من مكانه لكننا لاحظنا أن حدود جسده

تهتز وترتجف .. كالتشويش الذي نراه على التلفاز .. وقبل أن نصل عنده بعدة خطوات اندفع هو نحونا وأسقطنا أرضاً عندما اصطدم بنا بقوة لتصرخ أختي فزعاً لكني وبالرغم من جزعي شددت ذراعها وأنهضتها وجرينا بسرعة للخروج من باب السطح نزولاً عبر السلالم ولم نتوقف إلا عند باب منزلنا لننهار أمامه باكيتين حيث وجدنا أختنا وأخي الأصغر بانتظارنا والذي كان بالفعل قد رحل مسبقاً لإحساسه بالجوع

(المذيع) : الحمد لله على سلامتكم .. شكراً لمشاركتكِ

(مهرة) : أريد أن أضيف شيئاً

(المذيع) : تفضلي

(مهرة) : بعد عدة سنوات من هذه الحادثة استذكرت مع إخوتي تلك الحادثة وذكر لنا أخي الذي أصبح عمره وقتها ستة عشر عاماً أنه في ذلك اليوم وقبل أن يعود لمنزلنا ليتناول بعض الطعام شاهد رجلاً وسط المنزل وتحدث معه وطلب منه أن ينادي علينا ونأتي للعب معه على السطح لكنه بعد خروجه نسي الأمر وعاد للمنزل

(المذيع) : هل تعتقدين أنه نفسه من هاجمكم؟

(مهرة) : في الحقيقة أتمنى ذلك .. ربما كان رجلاً عادياً وخيالنا صور لنا أنه شيء آخر



تهتز وترتجف .. كالتشويش الذي نراه على التلفاز .. وقبل أن نصل عنده بعدة خطوات اندفع هو نحونا وأسقطنا أرضاً عندما اصطدم بنا بقوة لتصرخ أختي فزعاً لكني وبالرغم من جزعي شددت ذراعها وأنهضتها وجرينا بسرعة للخروج من باب السطح نزولاً عبر السلالم ولم نتوقف إلا عند باب منزلنا لننهار أمامه باكيتين حيث وجدنا أختنا وأخي الأصغر بانتظارنا والذي كان بالفعل قد رحل مسبقاً لإحساسه بالجوع

(المذيع) : الحمد لله على سلامتكم .. شكراً لمشاركتكِ

(مهرة) : أريد أن أضيف شيئاً

(المذيع) : تفضلي

(مهرة) : بعد عدة سنوات من هذه الحادثة استذكرت مع إخوتي تلك الحادثة وذكر لنا أخي الذي أصبح عمره وقتها ستة عشر عاماً أنه في ذلك اليوم وقبل أن يعود لمنزلنا ليتناول بعض الطعام شاهد رجلاً وسط المنزل وتحدث معه وطلب منه أن ينادي علينا ونأتي للعب معه على السطح لكنه بعد خروجه نسي الأمر وعاد للمنزل

(المذيع) : هل تعتقدين أنه نفسه من هاجمكم؟

(مهرة) : في الحقيقة أتمنى ذلك .. ربما كان رجلاً عاديّاً وخيالنا صور لنا أنه شيء آخر



(المذيع) : هل تريدين رأيي ؟

(مهرة) : نعم بالطبع

(المذيع) : حمداً لله أنه لم يكن بشراً وإلا لكانت العاقبة أوخم ..

(مهرة) : أعتقد أنك محق

(المذيع) : لنأخذ اتصالاً آخر

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أنا (رضا) .. أصدقائي وزوجتي ينادونني بـ (أبي أحمد) .. عمري ٥٣ عاماً وأرغب في المشاركة

(المذيع) : وعليكم السلام سيد (رضا) .. تفضل يا (أبا أحمد) نحن منصتون ..

(رضا) : قصتي طويلة ومتشعبة لكن سأحاول اختصارها قدر الإمكان

(المذيع) : خذ وقتك ..

(رضا) : أنا كنت مهاجراً لدولة أجنبية من سنوات .. سنوات عديدة .. رحلت من بلدي بعد ما أصبحت ظروف المعيشة فيها صعبة بسبب الحرب وطلبت اللجوء وحصلت عليه بعد عدة أشهر تاركاً وطني الحبيب يحترق ورائي

(المذيع) : كان الله في عونك وعون أهل بلدك ..؟

(رضا) : الحمد لله انتهت تلك الظروف القاهرة وعدت لموطني قبل عام وأنا الآن مستقر مع زوجتي لكن أبنائي لا يزالون يدرسون في تلك الدولة وسيلحقون بنا لو أرادوا .. لن أجبرهم على شيء فهذه حياتهم الخاصة لكن أنا ورفيقة دربي لم نستطع البقاء أكثر في الغربة بالرغم من أننا قضينا معظم حياتنا هناك

(المذيع) : حمداً لله على عودتكما للديار ..هل هذه الدولة التي هاجرت إليها قريبة من موطنك؟

(رضا) : في الوقع هي تقع في قارة مختلفة بالكامل وفي دولة لا يتحدثون لغتنا .. كل شيء فيها مختلف .. العادات والتقاليد .. الطعام والشراب .. الطباع والقوانين .. كل شيء .. عانينا كثيراً إلى أن تأقلمنا مع بيئتنا الجديدة

(المذيع) : قصتك حتى الآن مؤلمة وموجعة بما فيه الكفاية

(رضا) : أنا أتعامل مع الظروف القاسية كأقدار مقدرة ومكتوبة من ربي الذي خلقني وهو أدرى بمصلحتي والطريق الأنسب لي ولو نظرت لما وصلت إليه اليوم فأنا راضٍ كل الرضا عن حياتي ومؤمن بأن الله قد وهبني من نعمه الكثير فأبنائي وبناتي ناجحون في حياتهم وأنا وزوجتي مكتفيان مادياً الآن ولا نحتاج لمعونة أحد.. الطريق كان

شاقاً في البداية لكن النهاية كانت أفضل من أي شيء كنت سأحققه لو بقيت في بلدي خلال تلك الفترة

(المذيع) : كلامك ونظرتك للحياة درس يجب أن يدرس للأجيال الصاعدة فالسرعة لطلب الرزق والنجاح أصبحت داء بل وباء تفشى في غالبية عقول الشباب .. النجاح السريع هو الاستثناء وليس الأصل .. التعب والمشقة والمكابدة هي أساس البقاء والنجاح وليس العكس

(رضا) : أتفق معك تماماً ..

(المذيع) : أنا متحمس لسماع مشاركتك يا سيد (رضا) ..

(رضا) : حقيقة لم أكن أريد أن أسرد قصتي قبل أن أعطي فكرة عن ماضي حياتي لأنه مرتبط بما حدث معي .. قبل أن أهاجر كنت أعمل جلاد ..

(المذيع) : تقصد .. ؟

(رضا) : نعم .. الشخص الذي ينفذ أحكام الإعدام بمن يحكم عليهم بالقصاص وعملي هذا كان محل نقاش دائرة التوظيف في الدولة التي هاجرت إليها .. فبعد مضي فترة على بقائي مع زوجتي في مباني الإيواء المؤقت حصلنا رسمياً على أوراق اللجوء وأصبحنا بعدها بفترة مواطنين رسميين وكان لزاماً علينا البحث عن عمل

وبعد مقابلتهم لي وسؤالهم عن عملي السابق كي يبحثوا لي عن وظيفة تتلاءم مع خبراتي السابقة قرروا تعييني في أحد السجون

(المذيع) : هل كانت تلك الدولة تطبق أحكام الإعدام؟

(رضا) : نعم لكنهم لم يعينوني كجلاد بل عامل نظافة بالسجن فقط .. أعتقد أنهم فعلوا ذلك فقط لعلاقتي بالسجون

(المذيع) : وكيف كان عملك؟ .. هل كنت مرتاحاً فيه؟

(رضا) : وحتى لو لم أكن مرتاحاً .. الخيارات لم تكن كثيرة ولا يحق لي التذمر بل يجب أن أكون ممتناً لأني وجدت عملاً بهذه السرعة

(المذيع) : معك حق ..

(رضا) : على أي حال .. مارست عملي بكل إخلاص وكنت ملتزماً بكل التعليمات التي توجه إلي مما جعل مدير السجن يعجب بي وبإخلاصي حتى الموظفون والحراس كانوا يحبونني جداً وبالرغم من أن مواعيد الراحة لا تتعدى الساعة يومياً إلا أن السيد (سمث) مدير السجن منحني الحرية لتأدية الصلاة في أوقاتها عندما عرف أني مسلم

(المذيع) : شيء جميل ..

(رضا) : لم يكن أحد من العاملين بالسجن يعرف بمهنتي السابقة

سوى السيد (سمث) لأنه يملك نسخة من ملفي ولم نتناقش في هذا الأمر إلا في اليوم الأول من تعييني ولم يذكر لي الموضوع بعدها أبداً إلا مرة واحدة بعد سنتين تقريباً

(المذيع) : وما الذي أثار الموضوع؟

(رضا) : بالرغم من عدم ممارستي لعملي السابق معهم إلا أني كنت مسؤولاً عن تنظيف غرف الإعدام بعد تنفيذ الأحكام فذلك السجن يعتمد عدة طرق للإعدام .. الحقنة المميتة والكرسي الكهربائي والشنق وفي بعض الحالات النادرة القتل بالرصاص لكن ذلك لم يحدث إلا مرة واحدة خلال فترة عملي ولا أعرف على أي أساس يتم اختيار طريقة تنفيذ دون أخرى

(المذيع) : عذراً على المقاطعة لكن أريد الاستفسار عن بعض الأمور قبل أن تكمل

(رضا) : تفضل ..

(المذيع) : ما الذي يستوجب عليك تنظيفه؟ .. المسجون سيموت بهدوء في معظم الحالات التي ذكرت .. ربما ما عدا الموت بالأعيرة النارية لكن البقية تبدو لي خالية من أي مخلفات

(رضا) : أعتى المجرمين وأعنفهم عندما يدركون أنهم وصلوا لنهاية المطاف في حياتهم يصابون بإحدى حالتين .. إما أن تحل عليهم

سكينة وهدوء غريب مناقضان تماماً لنفسيتهم وسلوكهم السابق فيتقبلون مصيرهم بكل أريحية ويرحلون بسلام أو أن يصابوا بحالة من الانهيار فيبدؤون بالبكاء والنحيب كالأطفال وفي بعض الأحيان تتطور تلك الحالة من التحطم النفسي ويفقدون السيطرة على أجسادهم ويتقيؤون أو يتبولون على أنفسهم من شدة رهبة الموقف الذي هم مقبلون عليه ناهيك عن المخلفات التي يتركها الإعدام بالكرسي الكهربائي بالرغم من أن شعرهم يحلق بالكامل كي لا يحترق خلال الصعق إلا أن ذلك لا يمنع حدوث نزيف دموي من أنوفهم أو أفواههم بعد الانتهاء والأمر نفسه يحدث مع من يتم شنقه فمعظمهم يفقد السيطرة على نفسه عند تعليقه وقد يتغوط محدثاً فوضى في المكان لذا وبعد فترة من تكرار هذا الشيء وجه مدير السجن بإلباسهم حفائظ كبيرة قبل إعدامهم تفادياً لذلك لكن ومع هذ الاحتياطات تحدث أمور خارجة عن السيطرة لا يمكن التنبؤ بها

(المذيع) : مثل ماذا؟

(رضا) : في إحدى المرات تم شنق رجل كبير في السن .. تجاوز عمره الثمانين عاماً وكان مصاباً على ما أذكر بسرطان العظام الذي نخر جسده بالكامل لذا وعندما سحب مقبض الشنق وهوى جسده لم تتماسك رقبته المهترئة وانفصل رأسه عن جسده محدثاً فوضى

عارمة في المكان واستغرق التنظيف وقتاً إضافياً ذلك اليوم .. طريقة الإعدام الوحيدة التي لا أحتاج للتنظيف بعدها هي الحقنة المميتة .. فهي الأنظف والاسرع من بين كل الطرق

(المذيع) : وظيفتك معاناة حقيقية ..

(رضا) : أصدقك القول بأن الأمر مع الوقت يصبح اعتيادياً ومجرد عمل مثل أي عمل آخر .. مثل أي شخص يعمل كجزار أو طبيب جراح يرى الدماء كل يوم .. التبلد هو صديق من يمارسون مثل هذه الأعمال

(المذيع) : فعلاً .. التبلد خير سلاح نقاوم به بشاعة العالم من حولنا ..

(رضا) : أعتذر إن كنت قد استرسلت في الحديث ولم أتطرق لقصتي بعد

(المذيع) : لا أبداً فحديثك لا يمل يا (أبا أحمد) .. ونحن ما زلنا منصتين .. تفضل أكمل

(رضا) : كما أخبرتك سابقاً بأني وبسبب مهمة التنظيف بعد تنفيذ أحكام الإعدام كان لزاماً عليّ أن أكون حاضراً في غرفة الإعدام أول الصباح قبل أي أحد لتنظيفها والانتظار حتى يصل الجميع مع السجين المحكوم عليه والبقاء معهم خلال وبعد التنفيذ تحسباً لأي مفاجآت تستدعي تدخلي

(المذيع) : نعم مفهوم

(رضا) : كان يوماً اعتيادياً وروتينياً كغيره .. الحكم صدر بحق رجل اقترف الكثير من الجرائم البشعة التي لا يمكن تخيلها وكنت في الحقيقة أتوق لرؤيته يموت بعد ما سمعت جزءاً يسيراً من تفاصيل جرائمه من الحراس .. الحكم كان بأن يعدم تمام الثامنة صباحاً بالكرسي الكهربائي وبعد حضور جميع المسؤولين وتثبيته وتقييده على الكرسي وجه الجميع أنظارهم نحوه بينما أنزل الجلاد مقبض الصعق ليمر التيار الكهربائي عبر جسده نافضاً إياه بالكامل لعدة ثوانٍ قبل أن يفصل عنه التيار ويعاودوا الكرة مجددًا للتثبت من موته لكن وبعد قطع التيار عنه واقتراب الطبيب المناوب منه ووضع السماعة على صدره لتوثيق ساعة وفاته رسميّاً حدث أمر غريب

(المذيع) : ماذا حدث؟

(رضا) : خلع الطبيب السماعة عن أذنيه وأشار بأن المتهم لم يفارق الحياة بعد .. تبعها ضحكة مخيفة من المجرم ورأسه متدلٍ للأسفل متحدثاً بنبرة متحدية قائلاً: «أنا لن أموت .. أنا مخلد ..» .. دب التوتر وبعض الفوضى الطفيفة بين الحاضرين فوجه السيد (سمث) الجلاد بصعقه لمرة ثالثة لكن ممثل المحكمة اعترض وقال بأن ذلك إجراء غير نظامي فعملية الإعدام تمت رسميّاً بالكامل كما هو



منصوص في قرار المحكمة ولا يمكن إعادتها إلا بأمر جديد منها

(المذيع) : وماذا فعلتم بالمجرم؟

(رضا) : أعادوه لزنزانته حتى يتم استخراج أمر جديد وبالفعل حدث ذلك بعد عدة أسابيع وعدنا للمحاولة مرة أخرى لكن هذه المرة غيرت المحكمة الطريقة للحقنة المميتة

(المذيع) : وهل نجحت المحاولة الثانية؟

(رضا) : لا الثانية ولا الثالثة .. تكرر الأمر نفسه وأصدر حكم ثالث بشنقه وبالرغم من تركه معلقاً ليوم كامل إلا أن روحه لم تفارق جسده وكان في كل مرة يكرر العبارة نفسها.. «أنا لن أموت .. أنا مخلد ..»

(المذيع) : شيء غريب

(رضا) : شعر مدير السجن بحنق وضيق شديدين مما كان يحدث وخشي أن تغير المحكمة قرار الإعدام للسجن المؤبد نظراً للظروف الحالية وقد حكى لي مخاوفه تلك في حديث ودي بيني وبينه وتلك المخاوف كان الجميع يشاركونه إياها فهم لم يريدوا لذلك المجرم أن يبقى على قيد الحياة دقيقة أخرى وسألني إن كنت قد واجهت شيئاً مشابهاً خلال عملي السابق في بلدي فأخبرته أن ذلك لم يحدث أبداً



ونحن لم نكن نعتمد سوى الشنق ولم ينجُ أي سجين من حبل المشنقة قط

(المذيع) : بغض النظر عما حدث لَمَ لم يتقبل مدير السجن والبقية فكرة السجن المؤبد لذلك الرجل؟

(رضا) : لو علمت ما قام به من جرائم لشاركتنا ذلك الشعور

(المذيع) : هل أفهم من ذلك أنك أنت أيضاً كنت تريد رؤيته ميتاً؟

(رضا) : نعم .. وبشدة

(المذيع) : وهل وجدتم الحل؟

(رضا) : بعد فشل عملية الشنق طلب السيد (سمث) استئنافاً رابعاً من المحكمة بالمحاولة لمرة أخيرة قبل أن تبت في الأمر فمنحته الموافقة شريطة عدم طلب أي استئناف آخر وكان ذلك مؤشراً واضحاً على أنهم يميلون لإصدار قرار السجن المؤبد لإغلاق ملف القضية وفي يوم تنفيذ الحكم وقفنا جميعاً نراقبه وقد علق للمرة الثانية وأرجله تتحرك والطبيب يتفحصه من وقتٍ لآخر ويبلغنا بأن قلبه لا يزال ينبض .. خرج ممثل المحكمة مع الطبيب بعد ما مضت عدة ساعات ووجها مدير السجن بإنزاله إذا مضى اليوم ولم تتغير حالته وتركونا في الغرفة بحالة اختلط فيها الغضب والإحباط

(المذيع) : أنتم من؟



(رضا) : مدير السجن والحراس وأنا ..

(المذيع) : وهل أنزلتموه في النهاية؟

سكت (رضا) لفترة من الزمن ثم استأنف كلامه بعد زفرة قوية وقال : نعم .. أنزلناه بعد ما اتفقنا

(المذيع) : اتفقتم على ماذا؟

(رضا) : على أن نجرب طريقة أخيرة .. طريقتي ..

(المذيع) : لا أفهم قصدك

(رضا) : كان يمكنني عدم التدخل وممارسة عملي في التنظيف بصمت لكن الضيق الذي شعر به زملائي من فكرة استمرار ذلك المجرم على قيد الحياة تمكنت مني وأحببت مساعدتهم .. أو المحاولة ..

(المذيع) : وكيف حاولت المساعدة؟

(رضا) : وقتها لم يكن هناك أحد في الغرفة من خارج السجن وأي شيء سنقوم به سيكون ضمن دائرتنا ولن نحاسب عليه لذا أنزلناه من حبل المشنقة لنجرب طريقة اقترحتها على مدير السجن ووافق عليها

(المذيع) : هل قررتم حرقه؟

(رضا) : لا يحرق بالنار إلا رب النار ..

(المذيع) : ماذا اقترحت إذاً؟

(رضا) : السيف .. أخبرت السيد (سمث) أن القصاص بالسيف هو الحد الشرعي الممارس في ديني وأريد أن أجربه

(المذيع) : هل جربت إعدام شخص بالسيف من قبل؟

(رضا) : في الحقيقة لا .. لكني لم أخبرهم بذلك وقلت بأني أستطيع تنفيذ القصاص فيه بتلك الطريقة

(المذيع) : ومن أين أتيتم بالسيف؟

(رضا) : الحصول على مدية كبيرة وحادة لم يكن بالأمر الصعب وقد وفرها لنا أحد الحراس في أقل من ساعة ..

(المذيع) : وهل نجحت الطريقة ..؟

(رضا) : أنزلنا السجين على ركبتيه وكان يضحك ويسخر من الجميع لكن تهكمه توقف عندما شاهد نصل المدية اللامع والحارس الذي جلبها يمدها لي وتحولت ملامح الغطرسة لتوتر واضح وعيناه لم تفارقا مراقبة السكين الكبيرة بيدي وعندما وقفت بجانبه بدأ يصرخ وحاول النهوض لكن اثنين من الحراس قوضاه مكانه وعندها شعرت بأن الطريقة ستنجح .. وقد نجحت .. فصلت رأسه عن

جسده بضربة واحدة ليتدحرج وسط الغرفة متوقفاً عند أقدام السيد (سمث) الذي قال: «أحسنت (أبا أحمد) ..»

(المذيع): وكيف بررتم ما قمت به للمحكمة وممثلها .. والطبيب؟

(رضا): أعتقد أن السيد (سمث) أقنعهم بطريقة ما بأن رأسه انفصل خلال عملية الشنق .. لا أعرف فلم أكن حاضراً وقتها ..

(المذيع): (أبا أحمد) ..

(رضا): نعم

(المذيع): لدي سؤال .. لا تفكر به كثيراً لو لم تملك له إجابة لكنه استفسار خاص بي

(رضا): تفضل بكل سرور

(المذيع): الشخص الذي تحدثت عنه .. هل كان يملك وشماً؟

(رضا): وشوماً كثيرة لكن أحدها كان مميزاً ومختلفاً عن بقية الوشوم الأخرى الموزعة على أجزاء جسده وأتذكره جيداً لهذا السبب

(المذيع): هذا الوشم المميز الذي تشير إليه .. موجود على عنقه .. نصف تفاحة وسط مثلث

(رضا): باهر!! .. أصبت التخمين بطريقة عجيبة

(المذيع) باسماً : لم يكن مجرد تخمين وقصتك هي العجيبة يا (أبا أحمد) ..

(رضا) : أرى أن قصة عودتي للديار سالماً أكثر عجباً

(المذيع) : حمداً لله على سلامتك وشكراً لمشاركتك ..

(رضا) : العفو .. تصبح على خير

(المذيع) : الساعة شارفت على إكمال الثالثة صباحاً .. سنأخذ فاصلاً بعد هذه المشاركة الطويلة ونعود لكم في الساعة الرابعة والأخيرة من حلقتنا لهذا اليوم

بعد ما نقلت (نور) البرنامج للفقرة الإعلانية ضمت أصابعها بعضها لبعض وأسندت ذقنها عليها محدقة بـ (المذيع) الذي كان يدخن سيجارة أشعلها للتو وقالت له :

«القصص تزداد غرابة مع كل مكالمة ..»

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان سارحاً أمامه بظهر محني : «هذا أغرب اتصال تلقيته في حياتي ..»

(نور) : تتحدث وكأنك كنت تتلقى مثل هذه الاتصالات من قبل .. أعتقد أننا موعودان بالمزيد مما هو أغرب .. هل أنت مستعد؟

(المذيع) دون أن يحيد بنظره أو يقطع سرحانه : هل أنتِ مستعدة ..؟

(نور) : أصدقك القول بأني لا أعرف الإجابة .. لكن سنرى .. بقي ثلاث دقائق ونتم الثالثة صباحاً ونعود للهواء ..

(المذيع) رامياً بعقب السيجارة تحت قدمه : «هل تعرفين ماذا يقال عن الساعة الثالثة فجراً..؟»

(نور) وهي تقوم بضبط الصوت دون أن توجه نظرها نحوه : ماذا ..؟

(المذيع) متأملاً ندبة على ظهر ساعده :

«يسمونها في بعض الأساطير بساعة الشيطان .. يقال: خلال الدقيقة التي تأتي بعد الثالثة فجراً تفتح نافذة على العالم الآخر .. دقيقة كاملة لو بحثت فيها جيداً حولك فقد ترى أو تسمع شيئاً غير طبيعي ومخالفاً لكل ما تؤمن به ..»

(نور) بنبرة غير مهتمة مكملة ما تقوم به : «معلومات لا فائدة منها.. مجرد أساطير اختلقها بعض المرضى والمعاتيه لإخافة الناس ..»

(المذيع) موجهاً نظره نحوها : لدي فضول غير مسبوق لسماع قصة ..

(نور) وهي منهمكة فيما تقوم به : قصة ماذا ..؟

(المذيع) محدقاً بها : قصتكِ .. ما حدث معكِ أنتِ

(نور) مديرة بعض المفاتيح لتستعد للعودة للبث المباشر : أنا لم يحدث معي شيء فلا ترفع توقعاتك كثيراً

(المذيع) : جميعنا مررنا بتجربة واحدة على الأقل .. تجربة هزتنا لأنها خالفت كل أسس ما نؤمن به وهزتنا لدرجة كادت توقعنا من فوق قمة اليقين لهاوية الإنكار .. ما الذي مررتِ به يا آنسة (نور)؟

(نور) ناظرة لعينيه محتضنة بعض الأوراق بين كفيها : يؤسفني أن أخبرك بأني لم أتوهم شيئاً مثل المتصلين عليك .. عشت حياة طبيعية مملة مثل الكثير .. أعتذر لتخييب آمالك

صمت المذيع لثوانٍ منزلاً رأسه جانباً وكأنه ينصت لشيء ما ثم رفع بعدها رأسه قائلاً :

«ماذا عن الزائر الذي يزوركِ من وقتٍ لآخر .. ؟»

(نور) وقد بدت متوترة بعض الشيء : عن أي زائر تتحدث؟

(المذيع) : الذي ترين خياله في الزوايا المظلمة في شقتكِ الصغيرة .. الذي يحرك حاجياتك عندما تتجاهلين وجوده ويخفي بعضها عليكِ ..

توقفت (نور) عن صف الأوراق بوجه مصدوم سارحة أمامها قبل أن تلتفت نحوه مجدداً قائلة بصوت راجف : «كيف عرفت؟ .. أنا لم أحكِ ذلك لأحدٍ قط؟»

(المذيع) واضعاً السماعات على رأسه : وعندما تكونين مستعدة للحديث عنه سأكون هنا لأنصت لكِ .. لنأخذ اتصالنا التالي .. ..

لكن بالطبع وكما قلتِ هذه مجرد أساطير غير حقيقية من صنع عقول مريضة

أوصلت (نور) الاتصال المنتظر وبقيت تفكر مع نفسها ..

(المذيع) : عدنا لكم تمام الثالثة صباحاً مع الساعة الرابعة والأخيرة من برنامجنا «هذا ما حدث معي ..» ومعنا اتصال جديد .. تفضل ..

- هل أنا على الهواء؟ ..

(المذيع) : نعم .. عرفنا بنفسك ..

تحدث المتصل لكن حديثه خرج كتشويش مزعج دفع المذيع لرفع السماعات وإبعادها عن أذنيه قليلاً حتى خف الصوت وخلال قيامه بذلك وجه نظره لـ (نور) ليرى إن كانت تعرفت على سبب هذا الخلل الفني لكنه شاهد أنها لا تزال سارحة غير منتبهة للوحة المفاتيح فحاول الإشارة لها بيده دون فائدة فقام بمحاولة التحدث مع المتصل مجدداً وقال :

«هل تسمعني؟ .. أنت على الهواء ..»

أجاب من الطرف الآخر صوت غريب وغليظ بقول: «أسمعك وأراك بوضوح ..»

أثار ذلك الرد استغراب المذيع لكنه تجاهل تعليقه قائلاً : جيد .. تفضل ..

رد الصوت الغليظ من وراء تشويش أخذ بالتصاعد بشيء من التهكم الممزوج بالحشرجة:

«أنت تعرفني وأنا أعرفك وأعرف سيدك ومعلمك ..»

اختفى بعدها التشويش وحل مكانه هدوء وسكون دفعا المذيع للشك بأن الاتصال قد انقطع فوجه بعدها نظره لـ(نور) ووجد أنها تراقبه مستغربة وكأنها متعجبة من سلوكه وتشتته أشارت له بعدها بيدها بحركة تساؤل عن صمته فقال من خلال الميكرفون:

«المعذرة نواجه بعض الخلل الفني وسنعود لكم بعد دقائق قليلة ..»

المتصل ١٣



قضى المذيع ومعدته فترة الفاصل الإعلاني الذي انتقلت إليه بصمت دخن هو خلالها سيجارة وأمضت هي تراقبه بقلق ثم قالت: «هل أنت بخير؟»

(المذيع) بظهر مثني للأمام وأصابع معقودة ممسكة بسيجارته التي أوشكت على الانتهاء:

«بدأت أشك بأني مستعد لإكمال هذا البرنامج بعد حلقة الليلة .. أشعر بالإرهاق»

(نور) باسمة : سيكون أمامك أسبوع كامل لترتاح .. أنا من سيبقى هنا طيلة أيام الأسبوع للقيام بمهام أخرى

(المذيع) ملتفتاً نحوها : «لم أكن أتحدث عن الإرهاق الجسدي ..»

(نور) : أي شيء سواه يمكنني التعامل معه .. إرهاق الجسد كاسر للعزيمة ..

(المذيع) : «لا يكسر العزيمة سوى النفس المرهقة ..»

(نور) ناظرة لساعة هاتفها ثم للوحة التحكم أمامها : تبقى دقيقة واحدة وننتقل على الهواء .. اللوحة تظهر مجموعة لا بأس بها من الاتصالات

(المذيع) زافراً آخر سحابة دخان من منخاره قبل أن يرمي بعقب السيجارة تحت قدمه :

«هيا لننتهي من هذا اليوم ..»

وضع المذيع السماعات على رأسه وقرب شفتيه من الميكرفون وقال: «نعتذر عن الخلل السابق الخارج عن إرادتنا فهذا أمر مألوف مع الحلقات الأولى التجريبية لكننا عدنا لكم مع متصل جديد .. تفضل عرفنا بنفسك .. نحن منصتون ..»

- كيف حالك؟

(المذيع) بأعين متسعة وقد تعرف على صاحب الصوت: «أنا .. أنا بخير .. كيف حالك أنت؟»

- كما أنا .. أحببت فقط الاتصال لأهنئك على هذا البرنامج الجميل

(المذيع) وخليط من التوتر والسرور بادٍ عليه: «شـ.. شكراً أنا بحق ممتن لك ولكل ما قدمته لي في الماضي ..»

- أنا لم أقدم لك شيئاً لم تستحقه وأنت تستحق الكثير ..

(المذيع) باسماً: كيف حال الشيخ؟

- ما زال يحاول تربية لحيته مجدداً وأنا أهدده بالإبعاد لو فعل ..

ضحك المذيع لكن ضحكته كانت ممزوجة بالحزن وقد لاحظت (نور) ذلك خلال متابعتها باهتمام للحوار الغريب الذي دار أمامها ..

- لا أريد أن أطيل عليك أكثر وآخذ من وقت مستمعيك .. بالتوفيق في حياتك المقبلة

(المذيع) مستدركاً المتصل قبل أن ينهي اتصاله: هل يمكن أن يكون لك مكان فيها مرة أخرى؟

- لم يبقَ بيننا شيء بعد لقائنا الأخير .. هل تذكر آخر ما قلته لك؟

(المذيع) : نعم .. «لا يوجد سوى باب واحد لهذا العالم ..»

- وهو للدخول فقط .. كن قوياً واعلم بأنك مقبل على عاصفة .. عاصفة هوجاء لن تنجو منها بإدارة ظهرك لها.. استمر .. وأنا سأراقبك من بعيد .. وداعاً

أغلق المتصل الخط وبقي المذيع سارحاً ..

رفعت (نور) يدها وأشارت له بشكل متكرر ملوحة في محاولة للفت انتباهه وقطع سرحانه ..

انتبه لها المذيع بعد ما انقطع سرحانه وأومأ لها برأسه بتمرير المتصل التالي عليه ..

- مرحباً .. أنا (رجائي) وأرغب في سرد قصتي

(المذيع) : تفضل يا (رجائي) نحن منصتون ..

(رجائي) : حسناً .. أنا أعيش في منطقة شمالية وبردنا قارس وقت الشتاء لذا تجد أن كثيراً من عاداتنا التي توارثناها عبر الأجيال تتمحور حول التدفئة والحماية من البرد القارس حتى أكلاتنا الشعبية تكون غالباً غنية بالمواد الغذائية الدسمة التي تبعث الدفء في الجسم

(المذيع) : أنا من عشاق فصل الشتاء ..

(رجائي) : نحن لا نملك خيار حبه أو كرهه فهو جزء لا يتجزأ

من حياتنا شتئنا أم أبينا لكن الجدير بالذكر هو أن منطقتنا لا تحظى بالكثير من الثلوج بالرغم من انخفاض درجات الحرارة لأرقام تصل لما دون الصفر في بعض الأوقات لكن في السنوات الأخيرة ومع التقلبات المناخية حول العالم بدأنا نشهد تساقط كميات كبيرة منها لدرجة يمكن مقارنتها ببعض الدول الأوربية الباردة فكثافة الثلج المتراكم بعد كل موجة برد لم تكن بالقليلة ومعها أتت العديد من المتاعب الجديدة التي لم نعتد على التعامل معها وهذا ما أوقعني في المأزق الذي أريد الحديث عنه اليوم

(المذيع) : مأزق من أي نوع؟

(رجائي) : خلال عودتي من عملي مساء أحد الأيام التي تساقطت فيها الثلوج بكثافة من أول الظهر وغطت العديد من الطرق والشوارع التي كنت أسلكها في العادة وطمرتها بالكامل مثلما تطمر الرمال الزاحفة الطرق الصحراوية وقت العواصف الرملية ومع أن سيارتي من العربات الكبيرة ذات الدفع الرباعي إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تعلق عندما حاولت أن أسلك طريقاً جانبيّاً مختصراً تفادياً للطريق المعتاد الذي طُمر بالكامل بالثلوج .. قمت بالاتصال على مركز مخصص لانتشال السيارات العالقة لكنهم أخبروني بأنهم قد يتأخرون عليّ كثيراً قبل أن يصلوا الي بسبب سوء الأحوال الجوية

وحلول الليل لكنهم وعدوني بأنهم سوف يحضرون للموقع الذي أرسلته لهم بالهاتف في نهاية المطاف وطلبوا مني البقاء في السيارة وعدم محاولة الخروج والسير على أقدامي أبداً مهما طال انتظاري لهم ففعلت وبقيت داخل السيارة دون أن أطفئ محركها لأحظى بالدفء ريثما تصل النجدة

(المذيع) : وهل وصلوا في الوقت المناسب أم تأخروا عليك؟

(رجائي) : أمضيت ما يقارب الساعتين أراقب الثلوج تغطي نوافذ زجاج سيارتي وحرصت على ألا أستخدم هاتفي للتسلية كي لا تنفد بطاريته واكتفيت بالاستماع للمذياع وقمت كذلك بتشغيل إنارة السيارة الداخلية لأن المنطقة حولي كانت بعيدة عن الطريق الرئيس والظلام فيها حالك

(المذيع) : هذه من محاسن المحطات الإذاعية ..

(رجائي) : هدأت العاصفة الثلجية أخيراً وبالرغم من انعدام الرؤية من خلال النوافذ لتراكم الثلوج عليها والظلام المحيط بي لم أفكر بالخروج حتى تصل فرقة النجدة كما وجهوني لكن حدث شيء أثار قلقي في البداية وتكراره حول ذلك القلق لخوف وريبة

(المذيع) : ماذا حدث معك؟

(رجائي) : بدأت أسمع صوت نقرات على النافذة الخلفية .. نقرات

تشبه صوت منقار طائر ينقر على سطح الزجاج بطرقات متتابعة ومنتظمة .. تجاهلت الصوت في بادئ الأمر لكن مع تكراره على نافذة الراكب خلف السائق قمت بإطفاء المذياع للإنصات له بشكل أوضح فأخذت أتتبع النقرات وهي تتكرر من نافذة لأخرى إلى أن وصلت لنافذتي لكن النقرات وقتها اختلفت .. تحولت من نقرات سريعة متتابعة لنقرات بطيئة متباعدة وكأن من كان ينقر يفكر أو سارح خلال قيامه بذلك

(المذيع) : وماذا فعلت؟

(رجائي) : ردة فعلي الأولى هي بوضع يدي على مقبض الباب للخروج لرؤية من أو ماذا كان ينقر على الباب لكن شيئاً ما في قلبي أخبرني أن تلك لم تكن فكرة جيدة وأن بقائي مكاني هو الخيار الأمثل والآمن .. تيقنت من أن الشيء الذي ينقر نوافذي لا يمكن أن يكون بشراً لأن النقر استمر لأكثر من ربع ساعة ولا أحد يستطيع البقاء في تلك الأجواء الباردة كل تلك المدة وأن الهدف من إحداث تلك الأصوات هو استدراجي للخروج فقررت إطفاء جميع الأنوار والبقاء صامتاً حتى يمل ويفقد الأمل ويرحل أياً كان ذلك الشيء

(المذيع) : وهل نجحت خطتك؟

(رجائي) : بل فيما يبدو أنها أحدثت أثرًا عكسيًا فقد تحولت النقرات

إلى محاولات لفتح المقابض المغلقة بشكل عصبي تبعها قفز شيء ثقيل على مقدمة السيارة تبعها خطوات امتدت إلى آخرها مروراً بسقفها وهنا تساقطت بعض الثلوج المتجمدة من على سطح زجاج النوافذ كاشفة جزءاً من المنطقة المحيطة بي وبالرغم من ضعف الرؤية إلا أني تمكنت من لمح بعض معالم ذلك الشيء بعد ما قفز من فوق السيارة وعاود محاولة فتح بابي بانفعال .. احتضنت نفسي ونزلت بجسدي في مقعدي وعيناي المرعوبتان تحدقان بذلك المخلوق الذي كان يجاهد للدخول عليّ

(المذيع): هل تستطيع وصف شكله؟

(رجائي): كان كبيراً .. لا شك في هذا .. فراؤه غامق اللون وبالرغم من عدم وضوح معالمه بالكامل إلا أن وجهه لم يكن بشريّاً وكان يصدر أصواتًا متقطعة بين الزمجرة واللهاث .. بعد عدة محاولات فقد ذلك الشيء صبره وبدأ يضرب السيارة بقوة محطماً مرآتي الجانبية ومحدثاً بعض التصدعات في الباب لكن ما أثار رعبي بحق هو عندما شاهدت شرخاً طويلاً ينشق في زجاج النافذة فأيقنت أن دخوله علي سيكون مسألة وقت فقط فأدرت المحرك ودعست بكل قوتي على دواسة الوقود لكن دواليب السيارة التفت مكانها ولم تتحرك للأمام قيد أنملة .. دخل المخلوق حالة من الهيجان

والسعار بسبب سماعه صوت المحرك وأخذ يضرب ويضرب حتى هشم زجاج النافذة وأدخل يده الكبيرة وقبض على جزء من لباسي ومزقه بمخالبه الحادة فقفزت على الفور للمقعد الخلفي وأنا أسمعه يزأر ورائي محاولاً اقتلاع الباب .. وفجأة توقف .. ورحل ..

(المذيع) : رحل؟ .. ببساطة هكذا وبدون سبب؟

(رجائي) : لا .. لم يكن بلا سبب .. لقد لمح إنارة سيارة أخرى قادمة نحونا .. سيارة فريق النجدة .. أعتقد أنهم أخافوه بنورهم أو شيئاً من هذا القبيل

(المذيع) : هل رأوه؟

(رجائي) : بعد وصولهم لي وإخراجهم السيارة سألت السائق والفني الذي رافقه بشكل غير مباشر فأحسست بأنهما لم يريا شيئاً وهما مقبلان عليّ لذا لم أثر الموضوع ورحلت معهما وتبعتهما بسيارتي حتى أوصلاني لأقرب طريق سالك

(المذيع) : حمداً لله على سلامتك

(رجائي) : ماذا كان ذلك الشيء الذي هاجمني برأيك؟

(المذيع) موجهاً نظره لـ (نور) المحدقة به : غالباً حيوان ما تمكن الجوع منه ..

والسعار بسبب سماعه صوت المحرك وأخذ يضرب ويضرب حتى هشم زجاج النافذة وأدخل يده الكبيرة وقبض على جزء من لباسي ومزقه بمخالبه الحادة فقفزت على الفور للمقعد الخلفي وأنا أسمعه يزأر ورائي محاولاً اقتلاع الباب .. وفجأة توقف .. ورحل ..

(المذيع) : رحل؟ .. ببساطة هكذا وبدون سبب؟

(رجائي) : لا .. لم يكن بلا سبب .. لقد لمح إنارة سيارة أخرى قادمة نحونا .. سيارة فريق النجدة .. أعتقد أنهم أخافوه بنورهم أو شيئاً من هذا القبيل

(المذيع) : هل رأوه؟

(رجائي) : بعد وصولهم لي وإخراجهم السيارة سألت السائق والفني الذي رافقه بشكل غير مباشر فأحسست بأنهما لم يريا شيئاً وهما مقبلان عليّ لذا لم أثر الموضوع ورحلت معهما وتبعتهما بسيارتي حتى أوصلاني لأقرب طريق سالك

(المذيع) : حمداً لله على سلامتك

(رجائي) : ماذا كان ذلك الشيء الذي هاجمني برأيك؟

(المذيع) موجهاً نظره لـ (نور) المحدقة به : غالباً حيوان ما تمكن الجوع منه ..

(رجائي): حيوان؟.. لا يوجد حيوانات في منطقتنا بتلك المواصفات والضخامة ثم إنه كان يتصرف بذكاء عندما حاول استدراجي.. أي من الحيوانات تعرف يقوم بذلك؟

(المذيع) وقد بدا عليه الاستياء من عدم تقديم إجابة مرضية للمتصل:

«المهم أنك نجوت.. شكراً لمشاركتك.. لنأخذ اتصالاً آخر..»

- صباح الخير..

(المذيع): صباح النور.. تفضل..

- أنا (مؤيد).. صاحب محلات «مؤيد للإلكترونيات».. فروعنا منشرة في أرجاء البلاد.. ونقدم عروضاً مغرية لكل زبائننا من يوم السبت إلى..

(المذيع) مقاطعاً: يمكنك التقديم يا سيد (مؤيد) على طلب إعلان مدفوع بالتواصل مع إدارة المحطة خلال أوقات العمل في النهار.. شكراً لتواصلك.. لنأخذ اتصالاً آخر..

(مؤيد): لا لا.. أنا أريد المشاركة بقصة لكن سامحني هذه عادة لا أستطيع تركها بسبب مجال عملي.. هذه العبارة ملتصقة بعقلي وتنساب من لساني لا إرادياً لكثرة ترديدها.. أعتذر

(المذيع) : حسناً يا سيد (مؤيد) .. ما هي مشاركتك؟

(مؤيد) : كما أسلفت فأنا أملك مجموعة من المحلات والحمد لله أعمالي ناجحة وفي توسع وهذا التوسع أثر في قدرتي على الإشراف بشكلٍ مباشر على سير العمل ومتابعته بشكل لصيق خاصة أداء الموظفين وتعاملهم مع الزبائن

(المذيع) متهكماً : يبدو أن موظفيك يحبونك

(مؤيد) : علاقتي معهم مبنية على الثقة المقننة ومتابعة أدائهم وتقويمه هو سر نجاحي

(المذيع) : ماذا تقصد بالثقة المقننة؟

(مؤيد) : أثق بهم وأعطيهم كامل الصلاحيات للقيام بأعمالهم كما يرون شريطة الحصول على نتائج مرضية تحقق الحد الأدنى من معيار النجاح الذي أضعه

(المذيع) : إن كانت هذه الطريقة ناجحة معك أتمنى لك التوفيق وأعان الله العاملين عندك

(مؤيد) : كانت ناجحة لفترة لكن زيادة أعداد الفروع قوضتني بشكل كبير مما اضطرني للاستعانة بشركة متخصصة وفرت لي شبكة من كاميرات المراقبة وزعتها على جميع محلاتي لأتمكن من الإشراف

والمتابعة من مكان واحد وقد كان قراراً صائبًا عاد عليّ بفائدة عظيمة وطور أعمالي بشكلٍ كبير

(المذيع) : هل سنصل للقصة أم أنك ستستمر بالثناء والإطراء على عقليتك الفذة في إدارة المشاريع؟

(مؤيد) : آه نعم نعم .. القصة .. افتتحت فرعاً صغيراً لسلسلة محلاتي في حي جديد وتوقعت له نجاحاً باهراً لكن ذلك لم يحدث ولأن الفرع كبدني الكثير من التكاليف في إنشائه لم أرد إغلاقه بسرعة قبل أن أعوض ما دفعته فيه .. رأس المال على الأقل .. لذا حاولت اكتشاف سبب انخفاض المبيعات واعتقدت في البداية أن الفتاة التي عينتها كبائعة فيه هي السبب خاصة وأنها كانت الوحيدة العاملة في هذا الفرع لكني لم أستطع اتهامها بشيء دون دليل خاصة وأنها منتظمة ولم تتغيب قط لكني قررت التقصي على كل حال

(المذيع) : وكيف فعلت ذلك؟

(مؤيد) : نظام المراقبة الذي ركبته في جميع الفروع لا يقوم بالتسجيل إلا إذا أعطيته أمراً بذلك وحتى وقتها يكون التسجيل لفترة قصيرة حسب تحديدي فقمت ببرمجة الكاميرا المخصصة لذلك الفرع بتسجيل اليوم بأكمله لأعود لمراجعته لاحقاً بحثاً عن أي تصرف من تلك الفتاة قد يكون سببًا في خسائري

(المذيع) : وهل وجدت مستمسكاً عليها؟

(مؤيد) : لا .. كانت تؤدي عملها بشكل ممتاز وتعامل الزبائن بحفاوة وتعاون كامل وتستقبلهم دوماً بابتسامة عريضة .. لكن ..

(المذيع) : لكن ماذا؟

(مؤيد) : لاحظت خلال مراقبتي لتلك التسجيلات على مدى أيام أنها عندما لا يكون هناك زبائن في المحل .. تتصرف بغرابة ..

(المذيع) : فصل أكثر

(مؤيد) : في الواقع هي لا تقوم بشيء نهائيّاً وهذا ما أثار استغرابي ..

(المذيع) : لقد أضعتني .. هل تتصرف بغرابة أم لا تتصرف بغرابة؟

(مؤيد) : هنا تكمن المشكلة .. الغرابة هي أنها لا تقوم بشيء

(المذيع) : وما الغريب في ذلك؟ .. ربما غريب الأطوار هنا هو أنت وليس هي

(مؤيد) : لم تفهمني .. سأحاول أن أشرح لك .. أوقات العمل في الفروع تكون على فترتين .. صباحية ومسائية وكل فترة منهما تستغرق ثماني ساعات ويتم توزيع تلك الفترات بين الموظفين بالقرعة أو بالتفاهم فيما بينهم لذا يصعب أن يتولى موظف واحد الإشراف على فرع بالكامل فهذا يعني أنه سيعمل لمدة ١٦ ساعة

متواصلة وهذا لم يحدث إلا مع هذا الفرع لأن تلك الفتاة عبرت عن رغبتها بتولي الفترتين وساعة استراحة بينهما على أن تتقاضى أجرة الفترتين

(المذيع) : معنى ذلك أنها تبقىٰ في المحل ١٧ ساعة

(مؤيد) : بالضبط .. من السابعة صباحاً وحتى منتصف الليل

(المذيع) : ما زلت لا أرى المشكلة .. موظفة مجتهدة وبحاجة للمال

(مؤيد) : سأخبرك بما هو غريب الآن

(المذيع) : تفضل ..

(مؤيد) : جميع الموظفين في أي مكان عندما لا يكون لديهم ازدحام أو عمل ماذا يفعلون؟

(المذيع) : لا أعرف أخبرني ..

(مؤيد) : يتحدثون فيما بينهم أو عبر الهاتف .. يستخدمون دورة المياه .. ينعسون .. يجلسون على كرسي ليرتاحوا من الوقوف .. يتناولون بعض الطعام أو الشراب ..

(المذيع) : ماذا تريد أن تقول؟

(مؤيد) : تلك الفتاة وخلال مراقبتي للتسجيلات التي امتدت لأكثر من عشرة أيام لم تقم بشيء مما ذكرته لك عندما يخلو المحل

من الزبائن وهذا يحدث كثيراً في ذلك الفرع ولعدة أيام متواصلة في بعض الأحيان .. تخيل أنها كانت تقف وراء منضدة الاستقبال تحدق بالمدخل فقط .. لا تتحرك نهائيّاً ... جامدة كالصنم لساعات طويلة متواصلة .. أقسم أني لم أرَها قط تقوم حتى بحك أنفها .. ١٧ ساعة متواصلة .. هل لك أن تتخيل ذلك؟ .. كنت أقوم بتسريع التسجيلات بحثاً عن أي حركة منها ولا أجد .. لا شيء سوى حركة صدرها وهي تتنفس وعندما تسير نهاية اليوم لإغلاق الأنوار والخروج .. هل عرفت الآن سبب استغرابي؟

(المذيع) : أمر غريب فعلاً .. هل واجهتها بهذا الأمر؟

(مؤيد) : لم أستطع فقد خشيت أن تتهمني بالتلصص عليها لذا لم أصارحها بما رأيت وهي على أي حال تركت العمل بعد ما أغلقت الفرع ورفضت أن تعمل في فرع آخر

(المذيع) : هل أخبرتك عن سبب رفضها العمل في فرعٍ آخر؟

(مؤيد) : لا لكن لدي إحساس بأنها لم تكن تريد العمل مع موظفين آخرين ..

(المذيع) : وماذا حل بالفرع؟

(مؤيد) : أغلقته وتقبلت الخسارة وحقيقة أني لم أدرس جدوى المشروع جيداً في تلك المنطقة

(المذيع): شكراً لمشاركتك يا سيد (مؤيد) وبالتوفيق في مشروعاتك المستقبلية ونصيحة مني حاول أن تثق أكثر بموظفيك وأن تمنحهم مجالاً أوسع وحرية أكبر .. لنأخذ اتصالاً آخر

في تلك اللحظة عاد صوت التشويش السابق وبقوة أكبر من خلال سماعة المذيع فقام بكتم الصوت من عنده ورفعها من على أذنيه وقال لـ (نور) منزعجاً:

«ما حكاية هذا التشويش المتكرر يا (نور)؟! .. هل هناك خلل في الأجهزة؟!»

(نور) وهي تتفحص لوحة المفاتيح أمامها: لا يوجد أي خلل من عندي .. ربما تكون المشكلة في السماعة نفسها

(المذيع) وهو ممسك بالسماعة بين يديه: والحل؟!

(نور) بعد ما قامت ببعض التعديلات: جرب الآن ..

قرب المذيع السماعات ببطء وحذر من أذنيه وبعد ما وضعها عليها قال: «لقد ذهب التشويش ..»

(نور): نكمل إذاً؟

(المذيع) فاتحاً الكتم عن ميكرفونه: تفضل .. عرفنا بنفسك ..

- أهلاً .. أنا (شما) وأرغب بمشاركتكم قصتي

(المذيع) : هذا هو الهدف من وجودنا يا (شما) .. تفضلي .. نحن منصتون ..

(شما) : أملك عادة غريبة .. ربما ليست غريبة بالنسبة لي وأعتقد أن الكثير يمارسها أو مارسها من قبل ولو لمرة واحدة في حياته

(المذيع) : عادة ماذا؟

(شما) : المشي على البلاط .. أقصد .. المشي على مربعاته بطريقة معينة مثل أن أخطو على واحدة وأتخطى الأخرى وأكرر العملية وأحياناً أختار نسقاً مختلفاً لخطواتي .. لا أعرف هل شرحت الأمر بشكل واضح أم لا؟

(المذيع) : وضحت الصورة لي وأعتقد كذلك للمستمعين .. العديد من الناس كما قلتِ يمارس هذه العادة ولا شعورياً في بعض الأحيان .. هذه ليست عادة غريبة وعدد ليس بالقليل من الناس يمارسها خاصة في الصغر

(شما) : بالضبط هذا ما كنت أريد قوله .. أصبحت لا أسير على أي أرضية مخططة أو مقسمة إلا بنمط معين لدرجة أني أجد نفسي أحياناً أشعر بالضيق لو لم أفعل ذلك وكأني قد خسرت تحدياً ما أو اقترفت خطأ

(المذيع) : البعض يصنف هذا السلوك كدرجة منخفضة من درجات الوسواس القهري لذا قد يصعب التخلص منه بسهولة

(شما) : ربما .. لكني تخليت عن تلك العادة بعد ذلك اليوم .. اليوم الذي توجهت فيه لإحدى الشركات للتقديم على وظيفة ودخلت مبناهم الكبير والذي بُسطت على أرضيته قطع رخامية جميلة مصفوفة بتناسق أجمل وأخذت كعادتي أخطو عليها بنمط معين متوجهة للمصعد لكني في منتصف الطريق توقفت أو بالأحرى أوقفت

(المذيع) : من أوقفكِ؟

(شما) : لا أعرف .. أصبت بالشلل التام وكأن الدم تجمد في عروقي واختفى الجميع وتغيرت معالم المكان من حولي وتحولت للعتمة التامة حتى قطع الرخام تساقطت كلها عدا تلك التي كنت أقف فوقها محدثة هاوية مظلمة أسفل مني وبدأت أسمع أصواتًا من كل اتجاه .. تشبه أصوات مجموعة من الناس يتحدثون ويتهامسون بعضهم مع بعض لكن بلغة غير مفهومة .. كنت أحاول التحرك وفي الوقت نفسه كنت أخشى الوقوع .. شعرت بأني مقيدة وأن أقدامي التصقت بسطح الرخامة بغراءٍ قوي لكن وبعد مرور عدة دقائق بدت وكأنها ساعات عدت .. عدت وعاد كل شيء من حولي وكأن شيئًا لم يكن وتمكنت من الحركة فجريت خروجاً من المبنى ولم أخبر أحدًا بما حدث ولم أعد أمارس تلك الهواية مجدداً

صمت المذيع ولم يعلق على كلام المتصلة ..

(شيما) : هل ما زلتُ على الهواء؟ .. هل سمعت مشاركتي؟

(المذيع) : نعم .. نعم ..

(شيما) : هل لديك أي فكرة أو تفسير عما حدث لي؟ .. أم أنها مجرد خيالات؟ .. لأني عندما حاولت التقصي والبحث في الموضوع قرأت في أحد الكتب أن ما حصل لي هو ولوج لبعدٍ آخر عبر فتحة أحدثتها بخطواتي تلك .. ذكر الكتاب أن هناك نسقاً معيناً لو سرت به على أرضية بألوان وظروف معينة فسوف يحدث ذلك شرخاً في الأبعاد الموازية لبعدنا ويبدو أني قمت بذلك بمحض المصادفة .. هل هذا صحيح؟

(المذيع) : دعيني أخمن .. رقعة الأرض الرخامية التي سرتِ عليها في ذلك المبنى كانت مثل رقعة الشطرنج .. قطع سوداء وأخرى بيضاء ومصفوفة بشكل جانبي كالمعينات

(شيما) : باندهاش : صحيح .. كيف عرفت؟!

(المذيع) : لا يهم كيف عرفت .. يهمني معرفة أي الإجابتين ستفضلين لو كان الخيار لكِ .. أنها خيال أم عكس ذلك ..؟

(شيما) : في الحقيقة أفضل أن تكون خيالاً من صنع عقلي على أن يكون ما رأيته وقرأته واقعاً

(المذيع) : هي خيال إذاً .. شكراً لاتصالك يا (شما) .. وصلنا لمنتصف الساعة الأخيرة من برنامجنا اليوم وبقي معنا وقت كافٍ لأخذ بعض الاتصالات قبل أن ننهي هذه الحلقة من برنامجنا اليوم .. لنأخذ اتصالنا التالي ..

- السلام عليكم .. أنا (وائل) وأحب أن أقول في البداية بأني مستمتع بالبرنامج جداً

(المذيع) : وعليكم السلام (وائل) .. ممتنون لإطرائك وتشرفنا بمتابعتك .. هل لديك مشاركة؟

(وائل) : نعم وهي حكاية حدثت لي مع مجموعة من أصدقائي قبل عدة أشهر وما زلنا إلى هذا اليوم لا نملك تفسيراً لها

(المذيع) : تفضل يا (وائل) نحن منصتون ..

(وائل) : أنا وأصدقائي الذين أخبرتك عنهم من هواة السفر .. السفر بشكل متكرر .. ولا يهمنا الوجهة بقدر الصحبة والأنشطة التي نمارسها معاً لذا تجدنا على سبيل المثال نسكن معاً في غرفة واحدة حتى لو ضاق بنا المكان ليس لأننا لا نستطيع تحمل نفقات أكثر من غرفة بل لأننا نجد في المشاركة متعة أكبر .. هل فهمت قصدي؟

(المذيع) : واضح .. أكمل

(وائل) : المهم .. مجموعتنا لم تتغير منذ سنوات وهي مكونة من سبعة أشخاص مقربين جدّاً وصداقتنا تعود لأيام الدراسة وجميع أسرارنا نتشاركها بعضنا مع بعض ولا نخفي شيئاً مهما كان لذا عندما قررنا السفر مرة من المرات استغربنا طلب أحدنا دعوة صديق معه في العمل ليصاحبنا

(المذيع) : لَم استغربتم طلبه؟

(وائل) : لأننا في السفر نطلق العنان لأنفسنا لممارسة الجنون والانطلاق والتصرف بحرية دون الأخذ بالاعتبار أي محاذير أو خجل ووجود شخص غريب لم نألفه سيقوض تلك الحرية ويجعلنا نتعامل في وجوده بطريقة مختلفة

(المذيع) : تقصد طريقة متحفظة ومتحضرة ..

(وائل) : يمكنك قول ذلك .. على أي حال .. حاولنا إقناع صاحبنا بألّا يحضر زميله هذا لكن إصراره الغريب جعلنا نتنازل تلك المرة لأننا أحسسنا أنه يريد الانتفاع منه بأمر ما في عمله وتلك الدعوة كانت وسيلة للتقرب منه وكل ما دار في بالنا أنها ستكون مرة واحدة ولن تتكرر

(المذيع) : وتكررت؟

(وائل) : في الحقيقة نحن من طلبنا من صديقنا دعوته مرة أخرى ..

الرجل كان مرحاً جداً واندمج معنا بسرعة ولم نشعر بأنه غريب بل وكأننا نعرفه منذ سنوات

(المذيع) : أشعر بأن هناك كلمة «لكن» قادمة ..

(وائل) : صحيح .. الرجل وكما قلت لم يظهر أي شيء يدعونا للنفور منه بل على العكس تماماً كنا في كل مرة نلتقي به نكتشف فيه أموراً جديدة جاذبة أكثر وأكثر ما عدا أمراً واحداً ضايقنا منه قليلاً

(المذيع) : ما هو؟

(وائل) : كان يرفض أن يبات معنا ويصر على استئجار غرفة خاصة في أي مكان نقيم فيه .. في البداية لم نمانع لأننا لم نكن نريده معنا من الأساس لكن بعد اعتيادنا عليه طلبنا منه التوقف عن ذلك والمبيت معنا لكنه رفض .. وبشدة

(المذيع) : أجده أمرًا طبيعيًا جدّاً أن يرغب الشخص ببعض الخصوصية

(وائل) : نعم وندمنا أشد الندم لأننا لم نفهم ذلك وقتها

(المذيع) : ماذا تعني بـ «ندمتم»؟

(وائل) : خلال إحدى الرحلات وعند بلوغنا مقر سكننا ليلاً دخلنا معه في مشاحنة جديدة عند مكتب الاستقبال بسبب إصراره مجدداً

على المبيت وحده تطورت لشجار بسيط معه انتهى بتوجهه لغرفته التي حجزها غاضباً منا فاتفقنا بعد نقاش فيما بيننا أن نذهب لغرفته ونعتذر منه .. طرقنا غرفته عدة طرقات لكنه لم يجب علينا فحاولنا التحدث معه من وراء الباب لنعبر له عن أسفنا وندمنا على ما فعلناه لكنه لم يرد علينا فظننا أنه يحاول تجنبنا لتلقيننا درساً فأتتنا فكرة الدخول عليه عنوة بالحصول على المفتاح من موظف الاستقبال وهو لم يمانع لأنه رأى صاحبنا معنا وزودنا بنسخة أخرى

(المذيع) : هذا انتهاك صارخ لخصوصية صاحبكم

(وائل) : أعرف ولقد دفعنا ثمن ذلك لا تقلق .. فتحنا باب الغرفة ودخلنا محدثين جلبة وإزعاجاً في محاولة لممازحته وإضحاكه لكننا لم نجده في الغرفة فقلنا لعله خرج لتناول العشاء أو شيء من هذا القبيل لكن وقبل خروجنا اضطر أحدنا لاستخدام دروة المياه فبقينا بانتظاره وسط الغرفة وما أن فتح باب الحمام حتى أطلق صرخة مدوية .. جرينا جميعاً وأطللنا برؤوسنا وسط الحمام لمشاهدة ما أفزعه .. وشاهدناه ..

(المذيع) : ماذا شاهدتم؟

(وائل) : شاهدنا صاحبنا عارياً ساجداً على الأرض أمام المرحاض وظهره ينزف بغزارة من عدة جروح عميقة وكأنه تعرض للجلد

بقساوة .. هرعنا نحوه وحاولنا إنهاضه من مكانه لكن ما حدث هو أن شيئاً ما في ذلك الحمام صرخ فينا بطريقة وحشية انطفأت بعدها أنوار الفندق بالكامل مما دفعنا للصراخ ومحاولة الخروج من الغرفة بشكل سريع فتدافعنا وتصادمنا بعضنا ببعض وشعر كل واحد منا بالشعور نفسه .. ألم في أماكن متفرقة من أجسادنا وكأن أحداً يوجه لنا طعنات بأنصالٍ حادة .. استمررنا بالجري بهلع وسط أروقة ذلك الطابق المظلم حتى وصلنا لغرفتنا نصرخ في حامل المفتاح بأن يفتح الباب بسرعة وبعد أن فعل دخلنا على عجالة وتوجه كل واحد منا لزاوية واحتضن نفسه بجزع .. عادت الأنوار للفندق بعد مضي ما يقارب عشر دقائق وشاهدنا وجوهنا المرعوبة وأعيننا الجزعة وبدأنا نتفحص أجسادنا التي تئن ألمًا واكتشفنا أننا تعرضنا للإصابات أنفسها التي رأيناها على صاحبنا الساجد أمام المرحاض في الحمام

(المذيع) : وماذا فعلتم بعد ذلك؟

(وائل) : لم نبقَ دقيقة واحدة في ذلك المكان وخرجنا منه حالاً وانتقلنا لفندق آخر

(المذيع) : وصاحبكم؟

(وائل) : لم يعد صاحبنا بعد ذلك اليوم ولم يشاهده أحد منا مرة أخرى عدا صديقنا الذي يعمل معه والذي أخبرنا بأنه لم يثر الموضوع معه

وعلاقتهما أصبحت معدومة وانحصرت ببعض النظرات العابرة التي يضطران لها بحكم وجودهما في مقر العمل نفسه لكنه أخبرنا مرة بأنه قال له شيئاً عن الواقعة تلك الليلة .. أعتقد أنه كان يريد الاعتذار بطريقة ما .. لا أعرف

(المذيع) : هل تذكر تحديدًا ماذا قال؟

(وائل) : ليس تماماً لكنه طلب من صديقنا نقل أسفه عما حدث وأنه حاول قدر الإمكان عدم تعريضنا لذلك .. قال شيئاً عن أنه كان يسدد ديناً أو أنه وقع عقداً ما ..

(المذيع) : عقد دم ..

(وائل) : عفواً؟

(المذيع) : لا شيء .. شكراً لاتصالك .. سنأخذ فاصلاً إعلانياً نعود بعده لما تبقى من ساعتنا الأخيرة ..

«إلى أين أنت ذاهب ..؟»

قالتها (نور) وهي تشاهد المذيع يتوجه لباب الخروج ..

(المذيع) وهو يدير مقبض الباب : أحتاج أن أستنشق بعض الهواء .. المكان مغلق هنا وأشعر بالاختناق ..

(نور) : لو خففت من تدخينك لما تملكك هذا الشعور

تجاهل المذيع تعليقها وخرج من الاستديو ..

بعد ما انتقلت المعدة للشريط الإعلاني نهضت من مكانها وخرجت خلف المذيع لتجده في الممر يقف مسنداً ظهره للجدار يدخن سيجارة ..

هزت رأسها بخيبة وقالت : «لا فائدة منك ..»

(المذيع) سارحاً أمامه وهو يأخذ نفساً آخر : الاتصالات تزداد غرابة كما قلتِ ..

(نور) مسندة ظهرها للجدار بجانبه : أعتقد أن بعضها مجرد إبداعات من خيال المتصلين لكن لا بأس بذلك فهو مفيد لزيادة شعبية البرنامج

(المذيع) : ما زلت أنتظر اتصالاً مشابهاً لما تقولين ..

(نور) : من كان ذلك المتصل؟

(المذيع) : أي متصل؟

(نور) : لا تتظاهر بالغباء .. الشخص الذي كان سببًا لرؤيتك تضحك لأول مرة هذه الليلة

(المذيع) وملامح وجهه تتغير لابتسامة صغيرة مشبعة بالحزن : آه .. تقصدين معلمي ..

(نور) : معلمك؟ .. في أي مرحلة؟

(المذيع) : خلال مرحلة من عمري كنت فيها مستلقياً في القاع أتقلب في وحل أوهامي .. أنا مدين له بالكثير .. بل مدين له بحياتي كلها ..

(نور) : بدوت حزيناً وأنت تتحدث معه

(المذيع) رامياً بالسيجارة تحت قدمه داعساً عليها : مجرد شوق لا أكثر ..

(نور) : شوق إلى ماذا؟

(المذيع) : إلى أوقاتي معه ومع بقية زملائي

(نور) : الشيخ الذي سألته عنه .. كان معلماً آخر في المدرسة نفسها؟

(المذيع) باسماً : لا .. هو زميل آخر .. أول تلميذ له ووقتها كان مساعدًا له

(نور) : أنا في الحقيقة لا أفهم شيئاً من كلامك .. لَم تركته إذا كنت تشتاق لصحبته هكذا؟ .. كان يمكنك البقاء على تواصل معه بعد تخرجك من المدرسة

(المذيع) : أنا لم أتركه .. هو من قرر أن علمه الذي منحني إياه كان كافيًا ولم يرغب في منحي المزيد

(نور) : ولِمَ فعل ذلك؟ .. هل تشاجرتما؟

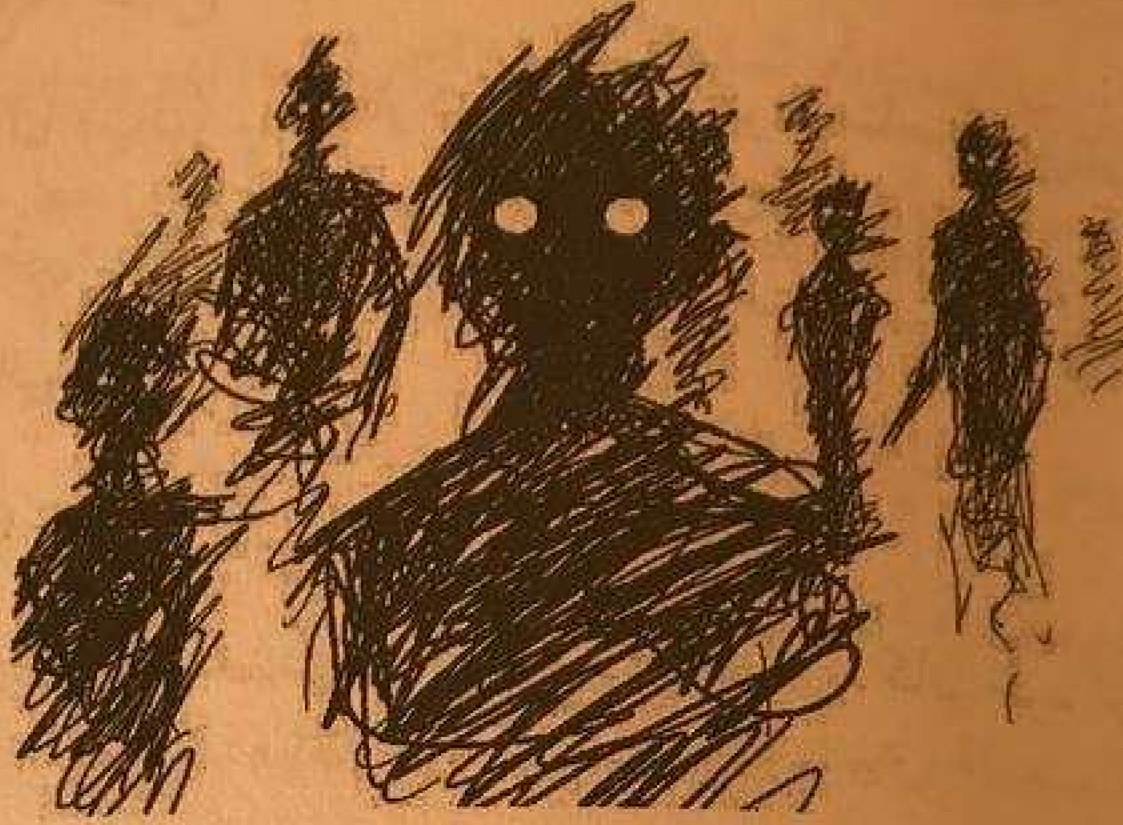
(المذيع) : لا .. أعتقد أنه لم يعد كسابق عهده عندما تعرفت عليه أول مرة خاصة بعد تجربته المريرة مع تلك الفتاة وأصبح أكثر حرصاً في اختيار العلوم التي يلقنها وإلى من

(نور) : أي فتاة؟ .. هل مدرستك كانت مختلطة؟

ضحك المذيع وتحرك من مكانه عائداً نحو الاستديو وهو يقول:

«هيا كي لا نتأخر على مستمعينا ..»

الساعة الأخيرة



«عدنا لكم مع ما تبقى من الساعة الأخيرة من الحلقة الأولى من برنامج «هذا ما حدث معي ..» وأحب أن أقول قبل أن نستأنف إني سعدت بجميع الاتصالات اليوم وممتن لكل من شاركنا تجربته وأحب كذلك أن أمد الشكر لمعدة البرنامج الأستاذة (نور) لقيامها بعمل استثنائي ومجهود رائع ..»

تبسمت (نور) وأشارت بيدها بأن المتصل التالي ينتظر على الخط ..

(المذيع) : تفضل عرفنا بنفسك ..

- صباح الخير

(المذيع) : صباح النور

- أنا (بيان) .. مشاركتي قد لا تكون مناسبة للبرنامج لكنها شيء حدث معي وسبب لي الضيق والرعب ولا يزال إلى اليوم

(المذيع) : لَم تعتقدين أن مشاركتكِ غير مناسبة؟

(بيان) : لأنها لم تحدث في الواقع .. أقصد .. كان مجرد حلم .. بل كابوس

(المذيع) : الرؤى جزء من كياننا وتركيبتنا النفسية وكثير منها نوافذ تُفتح من عالمنا لعالم آخر وهناك العديد من الرسائل تعبر من خلال تلك الفتحات المؤقتة

(بيان) : هل معنى ذلك أنه يمكنني المشاركة؟

(المذيع) : بالطبع .. كونها حلماً أو كابوساً فهذا لا يعني أنها لا تمس الواقع بشكل أو آخر لكن اعلمي سلفاً أن حالتكِ قبل رواية الرؤية لن تكون كما هي بعدها

(بيان) : ماذا تقصد لم أفهم؟

(المذيع) : الأحلام الجميلة والتي نشعر بعد الاستيقاظ منها بالراحة

يمكن روايتها بأريحية للجميع ولو أن بعضها قد يحمل رموزاً ورسائل سلبية لكن ذكرها لا يؤثر على سير تلك التحذيرات بعكس الرؤى التي تضيق بها أنفسنا أو تبث الرعب والجزع فيها لدرجة استيقاظنا منها مفزوعين حيث يكون في سردها على نفس أخرى خطر محتمل إذا لم تحصلي على تفسير صحيح لها وتفكيك دقيق لرموزها

(بيان) : وهل تملك أنت تلك القدرة على فك رموزها؟

وجه المذيع نظره لـ (نور) والتي أعطته نظرة «لا تفعل» ..

(المذيع) للمتصلة وعيناه لم تحيدا عن أعين المعدة المحدقة به : احكي رؤياك أولاً وسنقرر بعدها ..

(بيان) وصوتها قد انخفض بعض الشيء :

«أنا في العادة أخلد للنوم مبكراً ولا أتجاوز العاشرة ليلاً وأستيقظ بعد الفجر بقليل لكن في تلك الليلة التي حلمت فيها بذلك الحلم نهضت مفزوعة عند الثانية صباحاً ولم أستطع العودة للنوم بالرغم من شعوري بالتعب والإرهاق .. رأيت في منامي أني أسير على مرج أخضر ألبس لباسًا أبيض لكن أطرافه مبللة بسائل بلا لون لكنّي لم أشعر بأنه ماء .. شعرت أنه أكثر لزوجة مع أني لم أمسه وقتها .. سرت بلا وجهة لفترة وجيزة وكنت أشعر بالخوف بالرغم من عدم وجود سبب لذلك وفجأة ودون سابق

إنذار شعرت بحاجة للالتفات خلفي ففعلت وشاهدت ثلاثاً من معارفي يقفن صامتات وينظرن إلي بنظرات مختلفة»

(المذيع) : حددي نوع المعرفة التي تربطك بهن لو أمكن

(بيان) : رأيت أختي الكبرى تقف بجانب أعز صديقاتي والثالثة كانت زميلة لي في العمل لا تربطني بها علاقة وطيدة لكننا على وفاق تام ولا خلافات بيننا من أي نوع

(المذيع) : ما نوع النظرات التي حدقن بها ناحيتك؟

(بيان) : أختي كانت تبتسم وتمد أذرعها لي وتشير بأصابعها لي للاقتراب لمعانقتي أما صديقتي فكانت متجهمة ونظراتها تنقلت بيني وبين أختي الواقفة بجانبها

(المذيع) : ماذا عن زميلتكِ؟

(بيان) : كانت وكأنها ليست معنا .. سارحة غير مركزة تعبث بشعرها بسبابتها

(المذيع) : وما الحدث الذي أفزعك في هذه الرؤيا؟

(بيان) : عندما تقدمت أختي ناحيتي وهي لا تزال تمد أذرعها لمعانقتي هجمت عليها صاحبتي من الوراء وأسقطتها أرضاً وبدأت تضربها وتشد شعرها بوحشية وزميلتي تضحك عليهما بطريقة

هستيرية وتقفز وتصفق في مكانها وكأنها تشجع صاحبتي فيما تقوم به.

(المذيع): وماذا فعلتِ أنتِ وقتها؟

(بيان): جريت ناحيتهما لمساعدة أختي لكن عند وصولي إليهما رفعت صديقتي رأسها وصرخت في وجهي قائلة: «لا تقتربي!» فسقطت على قفاي لتجري زميلتي وتقف فوق رأسي وتضحك وهي تشير لرأسي بأصبعها فنهضت مجدداً وكررت المحاولة لكن وقبل أن أتمكن من فعل أي شيء انشقت الأرض وابتلعتني واستيقظت مفزوعة

(المذيع): فهمت ..

(بيان): هل لحلمي .. أو .. لكابوسي معنى؟

(المذيع) مجيباً خلال مراقبته لـ (نور) المحدقة به ترقباً لما سوف يقول:

«كل شيء له معنى .. المهم أن نتعامل مع تلك المعاني بالطريقة الصحيحة ..»

(بيان): لم أفهم ..

(المذيع): حافظي على صديقتكِ ولا تتخلي عنها أبداً وحاولي

التقرب من زميلتكِ هذه أكثر فهي تحبك جداً لكنها تخشى الاقتراب منكِ لأنها تظن أنكِ ستصدينها لكنها تستحق أن تكون جزءاً من حياتك ..

(بيان) : ماذا عن أختي ..؟

(المذيع) : أختك ستبقى أختك ولا يمكنك تغيير ذلك .. لكن .. خذي حذركِ منها فقط ولنأخذ نحن اتصالنا التالي ..

- سلام .. أنا (رائد) وأريد المشاركة!!

(المذيع) : أهلاً يا (رائد) .. نحن نسمعك بوضوح فلا داعي للصراخ

(رائد) : المعذرة لم أشعر بنفسي كنت متحمسًا فقط!

(المذيع) : لا بأس .. تفضل نحن منصتون

(رائد) : أنا كنت طالباً جامعيّاً متخصصاً في علوم البرمجة ولدي شغف خاص بالرموز والمعادلات الرياضية ومحاولة فكها وحلها ولدي هواية أو عادة أعتقد أنها نمت بسبب شغفي هذا .. لا أعرف ماذا أسميها لكنها شيء أحب ممارسته كثيراً .. كنت أحب ممارسته .. الآن لم أعد أفعل ذلك بتاتاً

(المذيع) : وما هذه الهواية أو العادة كما تقول؟

(رائد) بنبرة متذبذبة لكن مفعمة بالحماس : للتو بدأت أشعر أن

التصريح بها قد يكون مخجلاً أو غير لائق .. أشعر بالتردد .. أشعر بالتوتر!

(المذيع) : هل أنت بخير؟ .. تبدو غير مستقر

(رائد) : أنا مستيقظ!

(المذيع) بتعجب : ماذا تعني بمستيقظ؟ .. هل تناولت أي طعام بعد استيقاظك اليوم؟

(رائد) : فقط بعض القهوة وعلبة من مشروب الطاقة المفضل عندي!

(المذيع) : هل نمت من الأساس؟

(رائد) والحماسة في صوته تنخفض : نعم .. قليلاً .. بضع دقائق

(المذيع) : لعل هذا سبب توترك .. ما رأيك أن تحاول النوم وتتصل بنا الأسبوع القادم؟

(رائد) بانفعال : لا!!

صمت المذيع ولم يرد عليه ..

(رائد) بندم : أعتذر .. أعتذر .. لم أقصد أن ..

(المذيع) : لا عليك .. تحدث .. ولا تقلق من مسألة الحرج فكلنا

لدينا أمور نمارسها ونخجل منها وإن كنت تجد في نفسك ضيقاً من ذكرها فلا تفعل

(رائد) : نعم معك حق .. لكن .. لكن قصتي مرتبطة بها ولا أعرف كيف أسردها دون الحديث عن تلك العادة

(المذيع) : الأمر في النهاية يعود لك وتذكر أنك لست مجبراً على القيام بأي شيء ولو أحببت إنهاء الاتصال فلن يستاء منك أحد

(رائد) : لا .. لا .. سأتكلم

(المذيع) : هل أنت متيقن من قرارك؟

(رائد) : واثق منه

(المذيع) : حسناً تفضل .. نحن منصتون ..

(رائد) : أحب دخول الحمامات العمومية والاستمتاع بها ..

(المذيع) مقاطعاً: انتظر يا (رائد) .. أرجو مراعاة أن تكون مشاركتك ملائمة للذوق العام وألا تخدش حياء أحد وإلا فسنضطر لقطع الاتصال من جهتنا

(رائد) : لا أبداً قصتي ليست كما فهمت ..

(المذيع) : أنا لم أفهم شيئاً بعد لكن وجب عليّ تنبيهك وتذكر أن «معظم» الكلام الذي نقوله في لحظة حماس أو انفعال مهما بدا لنا منطقياً في وقتها سنندم عليه يوماً ما

(رائد) : مفهوم .. هل أكمل الآن؟

(المذيع) : تفضل ..

(رائد) : كنت أريد القول بأني أحب دخول الحمامات العمومية للاستمتاع برسوماتها وكتاباتها

(المذيع) : أي رسومات؟

(رائد) : الرسومات والكتابات التي تكون في العادة موجودة على الجدران وسطح الباب من الداخل .. لا أدري لماذا لكن الكثير منها يجذبني

(المذيع) : تقصد ..

(رائد) : نعم .. تلك الخربشات التي يكتبها الناس .. أجدها ممتعة جداً حتى وإن كان يتخلل بعضها بعض الوقاحة والفظاظة في تعابيرها لكن بعضها يحمل رسائل مبطنة أحب فكها واستخراج معانيها

(المذيع) : بالرغم من كلامك المفاجىء لي إلا أني لا أجد الاستمتاع ببعضها أمراً غريباً لهذا الحد فهي شر لا يمكن الهرب منه خلال استخدامنا لتلك المرافق العامة

(رائد) : لا لم تفهم قصدي .. أنا أتعمد التجول والبحث عن حمامات عمومية لاكتشاف رسومات جديدة .. أصبح الأمر بالنسبة لي ..

(المذيع) مقاطعاً: هواية..

(رائد): بالضبط!

(المذيع): وما علاقة ذلك بقصتك؟

(رائد): عندما ذكرت لك أني «أتجول» فأنا أعني الكلمة بكل ما تعنيه.. أقطع مسافات طويلة لاكتشاف واستكشاف حمامات جديدة لم أدخلها من قبل.. خصوصاً تلك التي تقع في محطات الوقود على الخطوط السريعة الرابطة بينَ المدن.. أذكر مرة أني نسيت نفسي ووجدتني في مدينة تبعد عن مدينتي قرابة ثلاث ساعات لكني لم أتضايق واستمتعت بالحمامات الجديدة في طريق العودة فقد كانت زاخرة بالإبداعات..

(المذيع): لدي تحفظ على استخدام كلمة «إبداعات» فما تصفه تخريب متعمد للمرافق العامة وتصرف غير حضاري لكن على أي حال أكمل

(رائد): هم لم يخربوا شيئاً.. التعبير الفني لا يعرف حدوداً..

(المذيع): صدقني أنك لا تريد خوض هذا النقاش معي لذا تجاوز هذه النقطة وأكمل فقط..

(رائد): حسناً.. بعد عدة وقفات بدأت ألاحظ رسمة معينة تتكرر في أكثر من دورة مياه في كل محطة أتوقف عندها بالرغم من بعد

المسافة بينها .. رسمة تشبه الرمز الدائري المنقوش بنقوش معقدة .. لم تكن رسمة بسيطة وعابرة كالبقية فمن رسمها تكلف كثيراً في خط تفاصيلها ولا بد أنه أمضى وقتًا طويلاً حتى انتهى منها .. تعقيدها بهرني وأحسست بأن من رسمها ليس بشخص عادي بل يحاول إيصال رسالة ما وعقدت العزم على حل رموزها ومعرفة ما هي تلك الرسالة

(المذيع) : وهل تمكنت من ذلك؟

(رائد) : الرسمة لم تكن هدفي فهي وبالرغم من جمال تصميمها إلا أنها لم تكن سبب تعجبي بل السطر الذي كتب أسفل منها

(المذيع) : سطر ماذا؟

(رائد) : سطر مكتوب بحروف غير مفهومة ولاحظت في كل مرة أصادف فيها تلك الدائرة في حمامٍ آخر أن السطر يتغير حتى أدركت أن اللغة المستخدمة في كتابته هي التي كانت تتغير وليس نصه .. منذ أن ظهرت تلك الدائرة لي وأنا منشغل بها ولا أبحث عن رسمة غيرها في كل دورة مياه أدخلها وأصبحت أتجاهل الرسومات والكتابات الأخرى

(المذيع) : وكيف علمت أن تخمينك هذا صائب إن كنت لا تجيد اللغات التي كُتب بها ذلك السطر؟

(رائد) : مجرد إحساس خاص بي تحول تدريجياً ليقين مع كل حمام أدخله وأجد تلك الدائرة والسطر المكتوب أسفل منها بلغة جديدة إلى أن وقعت عيني على سطر تمكنت من قراءته

(المذيع) : هل كتب بلغتك؟

(رائد) : لا .. بلغة أجنبية لكني كنت أجيدها .. كنت أذكر ذلك جيداً .. وجدتها في حمام محطة تبعد عن مدينتي مسافة نصف ساعة فقط

(المذيع) : فقمت بتهجي الحروف ونطقتها وأنت وسط الحمام ..

(رائد) : نعم وليتني لم أفعل .. عندما انتهيت من نطق آخر حرف صرخ شخص أو شيء ما وسط ذلك الحمام صرخة قوية هزت كياني ودفعتني للخروج جرياً نحو سيارتي وقيادتها دون توقف حتى وصلت لمنزلي .. اعتقدت أن الأمر انتهى عند هذا الحد لكني لم أعلم بأن جحيمي قد بدأ ذلك اليوم ولن ينتهي .. أصبحت الصرخات تروعني من وقتٍ لآخر بدون أي سبب أو مقدمات .. قبل أن أنام أو بعد ما أغفو بدقائق .. عندما أتناول طعامي أو أكون أتحدث مع الناس .. لا يوجد لها وقت محدد ولا أحد يسمعها غيري .. كدت أفقد عقلي وأصبحت أخشى النوم بالذات لأنه الوقت الوحيد الذي لا يتركه دون أن يعكره عليّ ولا أحظى إلا بدقائق معدودة قبل أن

أستيقظ منه مفزوعاً بصرخة مدوية في أذني .. أدمنت المنبهات والمسكنات في الوقت ذاته وتدهورت صحتي وانقطعت عن الدراسة ولم أستفد من جميع الأطباء النفسيين الذين قمت بزيارتهم واكتفوا فقط بوصف المزيد من المهدئات لي

(المذيع) : لقد وقعت في فخ منصوب بعناية للإيقاع بالفضوليين أمثالك ..

(رائد) : فخ ماذا؟

(المذيع) : أقرب شيء يمكن أن أصفه به هو أنه مثل الروابط المشبوهة التي تصلك على بريدك الإلكتروني والتي حينما تضغط عليها تخترق جهازك وتدمره

(رائد) : وهل هناك مخرج من هذا الجحيم الذي أعيشه؟ .. بدأت تنتابني رغبة في انتزاع حياتي للتخلص من هذا العذاب

(المذيع) : لا تفعل ذلك أبداً .. فلكل داء دواء

(رائد) : دلني عليه إن كنت تعرفه .. أرجوك

وجه المذيع نظره لـ (نور) والتي وكالعادة رمقته بنظرة ناهية عن التحدث في أي تفاصيل لكنه لم يستجب لها وقال : احلق شعرك ..

(رائد) متعجبًا : ماذا؟ .. أحلق شعري؟

(المذيع) : نعم .. كل الشعر في رأسك ووجهك .. حواجبك .. لحيتك وشاربك .. لا تبقِ على شعرة واحدة

(رائد) : ثم ماذا؟

(المذيع) : بعدها سينفك الرابط وسترتاح ..

(رائد) بنبرة مشككة : حسناً .. شكراً

(المذيع) : لا تشكرني .. فقط تجنب قراءة الرموز التي لا تفقهها مستقبلاً .. لنأخذ اتصالاً آخر

أشارت (نور) بأنها ستخرج لفاصل لكن المذيع هز رأسه بالنفي وحرك سبابته لتمرر الاتصال الجديد ففعلت ..

- صباح الخير يا دكتور

(المذيع) : صباح النور .. وأنا لست دكتورًا

- اسمي (سندس) وأنا أشكو من حالة تؤرقني وأريد أن تحلها لي وتعالجها

(المذيع) : نحن برنامج لتلقي المشاركات ولا نعطي استشارات طبية يا (سندس)

(سندس) : لكنك للتو قدمتها للمتصل السابق .. أرجوك أنا أعاني

وجه المذيع نظره لمعدته التي حدقت به بنظرة لوم واضحة لأنه فتح

باباً سيصعب عليهم إغلاقه الآن لكنه تجاهلها وقال: «حسناً ما هي مشكلتكِ؟»

(سندس) بسعادة: شكراً! .. شكراً! .. عيني ترف باستمرار منذ عدة أشهر ولم تتوقف وأنا منزعجة جدّاً منها ولم يستطع أي طبيب علاجي وقالوا بأنها مشكلة في الأعصاب وألّا علاج لها

(المذيع): هل لديك مرآة في غرفة نومك؟

(سندس): نعم .. أمام سريري

(المذيع): تخلصي منها مؤقتاً ..

(سندس): حاضر .. هذا فقط؟

(المذيع): خذي حماماً دافئاً وبعد تنشيف شعرك اربطيه ولا تتركيه مفتوحاً وتناولي العلكة بشكل دائم حتى تتوقف عينك عن الرف

(سندس): علكة بأي نكهة؟

(المذيع) باسماً: لا فرق .. المهم ألّا تتوقفي عن مضغها طيلة اليوم وشعرك مربوط حتى تزول الحالة وهي في العادة لن تستغرق أكثر من عدة ساعات

(سندس): شكراً جزيلاً لك أنا ممتنة جدّاً!

(المذيع): العفو .. لنأخذ اتصالاً آخر



تجاهلت (نور) توجيهه وحولت البث للإعلانات التجارية ونهضت من مكانها بوجه متجهم وسارت نحو المذيع الذي بدأ بإشعال سيجارة متأهباً لما سوف تقوله له ..

(نور) محاولة كظم غيظها المتفجر من عينيها : هل أصبحنا نقدم نصائح طبية على الهواء؟! .. هناك برنامج صباحي مخصص لذلك ويقدمه طبيب مختص بشهادة معتمدة!

(المذيع) : هذه ليست نصائح طبية

(نور) : ماذا تسمي ما قلته للتو إذاً؟!

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : نصائح روحانية .. وقد يكون بها خصائص علاجية لا أنكر ذلك

(نور) مشوحة بكفها أمام وجهها لتبديد سحابة الدخان : تعالج بالروح أم بالرائحة؟

(المذيع) : هذا أمر يفوق إدراككِ ولا أتوقع أن تستوعبيه بسهولة لذا لن أحاول الشرح لكِ وهو في كل الأحوال أمر لا يخصكِ

(نور) : لكنه يدخل ضمن مسؤولياتي .. نحن لسنا مخولين بتقديم استشارات طبية وسوف نتعرض للمساءلة لو حدث مكروه لأحد المتصلين بسبب نصائحك وقد يقاضينا المتضرر

(المذيع) بشيء من التهكم : لا أحد يموت من العلكة ..

(نور) بعصبية : أنا لا أمزح!

(المذيع) : لن يحدث لهم شيء .. سيتعافون جميعاً

(نور) : لا يهمني ذلك .. توقف فقط وإلا فسوف أنسحب!

(المذيع) : ما مشكلتكِ معي؟

(نور) : مشكلتي ليست معك بل مع أسلوبك وطريقتك

(المذيع) : لستِ مجبرة على الإكمال معي

(نور) وهي تسير عائدة لمكانها : ولن أفعل .. سوف أنهي هذه الحلقة فقط وأطلب بعدها نقلي لبرنامجٍ آخر

(المذيع) واضعاً السماعات على أذنيه وبنبرة غير مكترثة : لنأخذ اتصالاً آخر إذًا ..

- السلام عليكم

(المذيع) : وعليكم السلام تفضل عرفنا بنفسك

- أنا (عبد العزيز) ولدي مشاركة قد تكون مناسبة للبرنامج

(المذيع) : تفضل .. نحن منصتون ..

(عبد العزيز) : سأدخل في فحوى القصة مباشرة دون تفاصيل كثيرة لأني في الحقيقة لا أريد استذكار الكثير من أحداث ذلك

اليوم المرعب .. أنا من هواة التخييم في الصحراء ولا أتردد في أي وقت فراغ أجده أن أنطلق بسيارتي المجهزة للرحلات لقضاء يوم أو عدة أيام في خلوة جميلة مع الطبيعة الصحراوية التي أعشقها .. لم أكن أحب الرفقة ولا أفضل الرحلات المزدحمة لكن من وقت لآخر يرافقني صديق أو صديقان إذا كانت الظروف مواتية أو طلبوا مني ذلك لأني مع وجودهم أفقد حس البعد والانعزال الذي هو جزء من متعتي بل قد يكون أساسها

(المذيع) : أفهم قصدك تماماً .. الخلوة بالنفس سمو نادر لا يعرف قيمته إلا القليل وقد كان معنا متصل اليوم تحدث عن الأمر ذاته لكنه فضل الشواطئ

(عبد العزيز) : صحيح .. الحادثة التي أريد روايتها حدثت حينما كنت بصحبة أحد أصدقائي الذي تعلق بي عندما علم بأني متوجه لمنطقة صحراوية قريبة من مدينتنا بعد هطول كمية كبيرة من الأمطار عليها لعدة أيام وفي العادة تكون تلك المناطق أجمل بعد زخات المطر وعند وصولنا للمكان المنشود بعد قطع مسافة ليست بالقصيرة في تلك الصحراء أنزلنا حاجياتنا ونصبنا خيمتنا و أشعلنا نارنا وجلسنا نستمتع بالمناظر حولنا ونحن نحتسي الشاي المعد على الجمر

(المذيع) : في أي وقت من اليوم كان ذلك؟

(عبد العزيز) : انتهينا واستقررنا قبل المغرب بقليل وكنا ننوي قضاء الليل بطوله هناك والعودة صباح اليوم التالي وقد أحضرنا بعض اللحوم للشواء

(المذيع) : مفهوم .. وماذا حدث؟

(عبد العزيز) : حل الليل ولحسن حظنا أننا كنا في منتصف الشهر والقمر شبه مكتمل مما أضفى على جمال المكان جمالاً وسحراً أكبر لكن شيئاً عكر علينا ذلك الجمال .. رائحة .. رائحة عفنة نفاذة هبت علينا بعد ما تحرك اتجاه الرياح أثارت غثياننا من شدة نتانتها ولم ترحل عنا بل بقيت تحوم حولنا حتى أنهضتنا من أماكننا بحثاً عن مصدرها

(المذيع) : وهل وجدتماه؟

(عبد العزيز) : كان كما توقعت .. جثة نصف متحللة لناقة نافقة على بعد يسير من مكان تخييمنا لم نتمكن من ملاحظتها إلا بعد ما تحركت الرياح ونقلت إلينا رائحتها الخانقة

(المذيع) : وكيف تعاملتما مع الموقف؟ .. هل قمتما بتغيير مكان تخييمكما؟

(عبد العزيز) : هذا كان اقتراحي لكن صاحبي تكاسل عن ذلك لأن الموضوع سوف يستغرق وقتاً وجهداً كبيرين ونحن للتو قد جلسنا

واقترح أن ننتظر لعل الرياح تغير من مسارها وتنقل معها الرائحة لاتجاه آخر وفي الحقيقة اتفقت معه في كلامه فالريح في العادة غير ثابتة ولا تبقى تهب في اتجاه واحد لأكثر من ساعة أو ساعتين غالباً.

(المذيع): وهل حدث ما توقعتما؟

(عبد العزيز): نعم .. بعد فترة وجيزة تغير مسار الريح وارتحنا من تلك الرائحة العفنة وقمنا بعدها بالبدء بالتجهيز للعشاء بتقطيع اللحوم التي أحضرناها وفصلها عن العظام وغرسها في أسياخ الشواء ثم وضعها على النار وتقليبها والاستمتاع برائحة دخانها بعد تلك الرائحة المقيتة التي أزكمت أنوفنا لكن متعتنا لم تدم طويلاً فقد هبت علينا العفونة مجددًا قبل أن نبدأ بتناول طعامنا .. هبت بقوة وتركيز أكبر من السابق مما أغضب صاحبي جدّاً لينهض من مكانه بعد ما رفع غصناً خشبيّاً سميكاً وأشعله بجمر النار وهم بالسير نحو الناقة النافقة فسألته عن نيته فقال لي إنه سيحرق الجثة للتخلص من رائحتها وقد كان حله جيداً في الواقع ويستخدمه بعض الرحالة في مثل هذه الظروف لكن المفاجأة هي أنه عاد لي بعد دقائق بوجه مصدوم والشعلة لا تزال في يده فتعجبت أنه لم يحرق الجثة لأنه لو فعل كنت سأرى ذلك من مكان جلوسي فهي لم تكن بعيدة جدّاً منا ولو أن النار قد التهمتها كنت بلا شك سألاحظ ذلك وقال بنبرة مشبعة بالجزع: «لم أجدها ..»

(المذيع) : لم يجد ماذا؟

(عبد العزيز) : جثة الناقة .. قال بأنها لم تكن مكانها .. لم أصدقه في البداية ونهضت لأتحقق بنفسي وبالفعل لم تكن حيث رأيناها أول مرة وتحققت من ذلك لأن مكانها في الرمال حيث استلقت لا يزال مجوفاً ومنخفضًا مشكلاً حدود جسدها .. وقتها تحول الموضوع من ضيق من رائحة مقيتة لرعب من جثة تحوم حولنا

(المذيع) : وكيف عرفت أنها لا تزال تحوم حولكما؟ .. هذا لو افترضنا أنها نهضت من مكانها ولم يكن هناك سبب آخر لاختفائها مثل افتراس بعض الحيوانات للجثة بالرغم من صعوبة احتمالية حدوث ذلك بتلك السرعة

(عبد العزيز) : الرائحة .. الرائحة يا سيدي المذيع التي لم تفارقنا .. كانت تهب علينا بدرجات تركيز مختلفة من وسط الظلمة المحيطة بنا وكأن مصدرها يتحرك مقترباً ومبتعداً وعندما عدنا لمكان تخييمنا وجدنا مؤشرات ودلائل أكبر على أن أمراً غير طبيعي حدث أو بدأ يحدث

(المذيع) : أمور مثل ماذا؟

(عبد العزيز) : العظام التي بقيت من إعدادنا لأسياخ الشواء .. اختفت ..

(المذيع) : أمر طبيعي .. أي حيوان يمكن أن يكون قد تسلل مستغلاً فترة غيابكما وظفر بها

(عبد العزيز) : ماذا عن الجمر ..؟

(المذيع) : ماذا عنه؟

(عبد العزيز) : حفرة كبيرة امتلأت بالجمر الأحمر الملتهب .. اختفت بالكامل .. ولم يبقَ مكانها سوى تجويف أسود خاوٍ به القليل من الرماد

صمت المذيع لعدة ثوانٍ ثم قال : يبدو أنه كان جائعاً ..

(عبد العزيز) : عمن تتحدث؟

(المذيع) : هل انتهى الموضوع إلى هذا الحد أم أنكما تعرضتما لشيء آخر؟

(عبد العزيز) : حينها قررنا الرحيل على الفور وبدأنا نجمع حاجياتنا على عجالة في السيارة والرائحة تشتد وتزداد كثافة وتركيزاً لدرجة خانقة وخلال قيامنا بذلك سمعنا صوتًا يشبه .. لا أعرف كيف أصفه .. يشبه .. صوت بطبطة البط لكنه مختلط بصوت نقيق مجموعة من الضفادع .. لا أدري لكنه كان مرعباً جدّاً ويقترب منا تدريجيّاً

(المذيع) : وهل تمكنتما من رؤية مصدر الصوت؟

(عبد العزيز) : ليس قبل أن نركب السيارة ونتحرك لمسافة قصيرة .. وقتها رأيناه .. شاهدنا الناقة ذات الجسد المهترئ تجري خلفنا .. على قوائمها الخلفية .. وكأنها رجل يهرول .. بالرغم من الظلام إلا أنها كانت واضحة في مرايانا الجانبية تحت ضوء القمر وهي تحاول اللحاق بنا وأنا أدعس دواسة الوقود بكل قوتي لمحاولة الابتعاد عنها وصاحبي يصرخ فيّ للإسراع أكثر لأنها بدأت تقترب منا

(المذيع) : هل تمكنت من اللحاق بكما؟

(عبد العزيز) : لا لحسن الحظ فقد توقفت عن ملاحقتنا بعد فترة ونزلت على قوائمها الأربع وبقيت تراقبنا حتى ابتعدنا عن أنظارها .. ومن وقتها لم أعد لتلك المنطقة مجدداً ولا أعرف إلى هذا اليوم ما الذي واجهنا

(المذيع) : قصتك ناقصة .. هل تخفي علي شيئاً؟

(عبد العزيز) بتعجب : ماذا تقصد؟ .. لقد أخبرتك بكل شيء

(المذيع) : لا .. لقد أخفيت جزئية مهمة وهي السبب فيما حدث لكما .. هل ستخبرني أم أخبرك أنا؟

(عبد العزيز) : شيء ماذا؟

(المذيع) : من منكما تبول على الجثة ..؟

صمت المتصل ولم يجب ..

(المذيع) : لقد قام أحدكما بالتبول عليها وهذا سبب ما حدث معكما .. لقد اعتديتما على حرمة المكان ونلتما ما تستحقان

انقطع الاتصال ..

(المذيع) : يبدو أن المتصل أنهى اتصاله .. شيء متوقع .. لنأخذ اتصالاً آخر

مداعبة أنف الوحش



«صباح الخير .. أنا (بيداء) وأرغب بالمشاركة ..»

(المذيع) : تفضلي (بيداء) .. نحن منصتون ..

(بيداء) : قبل عام تقريباً حصلت على نقش جلدي

(المذيع) : تقصدين وشماً؟

(بيداء) : كنت أظنه وشماً عاديّاً في بادئ الأمر لكنه تحول لشيء مختلف تماماً

(المذيع) : كيف؟

(بيداء) : حصلت عليه عند زيارتي لإحدى الدول الآسيوية خلال

تجولي في إحدى المناطق القروية ضمن رحلة مدفوعة مع شركة مختصة في الرحلات السياحية .. بعد وصولنا لتلك القرية والتعرف على سكانها وعاداتها أخبرنا مرشد الرحلة بأننا سنبقى نصف ساعة أخرى قبل أن نتوجه لوجهتنا التالية وقال لنا إنه يمكننا التجول بحرية شريطة ألّا نبتعد كثيراً عن المجموعة ونخرج من حدود القرية فتفرقنا وأخذ كل واحد منا يستكشف المكان ويخالط السكان بحرية حتى وقعت عيني على رجل عجوز فرش أمامه مجموعة من المنحوتات الخشبية فظننته يعرضها للبيع على السياح فرفعت واحدة منها وسألته عن سعرها لكنه لم يفهمني فحاولت أن أشرح له رغبتي في اقتنائها لكن دون جدوى حتى بدأ هو يتحدث معي بلغته ويشير لي بسبابته وكانت نبرته ودوداً ويبتسم من وقت لآخر خلال حديثه معي فهززت رأسي وتبسمت له بالرغم من أني لم أفهم شيئاً من حديثه بعدها مد لي إناء خشبيّاً بعد ما سكب فيه سائلاً أبيض كالحليب وأشار لي بتناوله

(المذيع) : وهل تناولته؟

(بيداء) : لم أشعر وقتها بالخطر أو بالحاجة للحذر لأني توقعت أنه يريد مشاركتي مشروبًا شعبيًّا يعدونه في القرية أو شيئاً من هذا القبيل ولم يخطر ببالي أنه سيلحق بي الضرر بأي شكل خاصة وأن

المكان كان يعج بالسياح والمرشدين المرافقين لنا فأنزلت حاجز الشك واحتسيت محتوى الإناء

(المذيع) : وماذا حدث بعد ما تناولته؟

(بيداء) : لا أذكر شيئاً سوى شعوري بالدوار وفقدت الوعي مباشرة ولم أستيقظ إلا وسط الحافلة ونحن في الطريق لوجهتنا التالية وعندما رأى المرشد أني استعدت وعيي تبسم وقال لي بأني شعرت بالتعب من الرطوبة والحرارة وسقطت على الأرض مغشياً علي فلم أخبره بما حدث مع القروي العجوز لعدم إحساسي بألم في أي من أنحاء جسدي سوى في منطقة واحدة

(المذيع) : أين؟

(بيداء) : كتفي .. الأيمن .. فأنزلت طرف لباسي كاشفة عن نقش أسود لثلاثة حروف آسيوية وكان جلدي محمرّاً ويحكني لكن ذلك الشعور زال بعد فترة

(المذيع) : هل تظنين أن ذلك العجوز هو من قام بذلك؟

(بيداء) : أنا شبه متيقنة من ذلك ..

(المذيع) : لَم لم تخبري المرشد؟ .. هذا انتهاك

(بيداء) : لا أعرف .. لم أكن أريد إثارة مشكلة ولم يكن مزاجي

مستعداً للدخول في مناقشات وفي الحقيقة النقش أعجبني وقررت الاحتفاظ به وحاولت ترجمة معناه عندما عدت لدياري لكن لم يتمكن أحد من ذلك بالرغم من استعانتي بالكثير من المتخصصين باللغات

(المذيع) : وما المشكلة الآن إن كنتِ تقبلتِ الوشم؟

(بيداء) : منذ أن حصلت عليه وأنا أملك قدرة غريبة .. أعجبتني في البداية لكن مع الوقت أصبحت تضايقني وأريد التخلص منها

(المذيع) : قدرة ماذا؟

(بيداء) زافرة : أصبحت أستطيع رؤية المرض والموت ..

(المذيع) : فصلي أكثر

(بيداء) : من وقتٍ لآخر عندما أقابل بعض الأشخاص أرى حولهم ما يشبه السحابة .. تختلف ألوانها حسب الشخص وحسب حالته .. لم أفهم معانيها في الأسابيع الأولى لكن مع الوقت بدأت أفهم

(المذيع) : فهمتِ ماذا؟

(بيداء) : على سبيل المثال .. رأيت سحابة صفراء تحيط بأخي بعد عودتي من رحلتي بعدة أيام وكنت مستغربة منها لكني لم أعلق وبعدها علمنا بأنه مصاب بالتهاب رئوي حاد وأمضى فترة في المستشفى قبل أن يتعافى منه

(المذيع) : لعلها مصادفة

(بيداء) : المصادفات تنتهي بالتكرار .. لقد تكرر الأمر بشكل كبير مع أناس آخرين وبألوان متعددة .. كل لون له معنى ومرض مرتبط به .. الأحمر للسرطان .. الأخضر لمشكلات الأمعاء والمعدة .. الأزرق لأي علة بالرأس .. الأبيض لعلل الأعين والأمثلة كثيرة

(المذيع) : ليس مجاراة لحديثك لكني سمعت عن هذه القدرة من قبل وأعرف عن ماذا تتحدثين لكن هذه أول مرة أسمع أن وشماً يحفزها

(بيداء) : إذًا فأنت تعرف معنى اللون الأسود

(المذيع) : نعم .. الموت ..

(بيداء) : أصبت .. وهو أكثر لون يسبب لي الألم .. لقد رأيت الموت الأسود يحوم حول ثلاثة من أعز الناس لي فارقوا الحياة بعد رؤيتي المشؤومة وما زلت أشعر بالضيق وتأنيب الضمير

(المذيع) : لا ذنب لكِ فيما حدث لهم .. هذا قدرهم فلا تلومي نفسكِ

(بيداء) : أريد التخلص من هذه القدرة اللعينة!

(المذيع) : هل جربتِ إزالة الوشم؟

(بيداء) : نعم ولم أستطع ذلك .. قمت بمراجعة طبيب للجلدية وقد

طمأنني بأنه يستطيع إزالته بسهولة بالليزر لكن وعندما بدأ العملية وقف مدهوشاً مما حدث فقد حاول مراراً وتكراراً تسليط الشعاع على خطوط الرسمة ولم تتأثر أو يزلْ منها شيء فطلبت منه أن يزيلها بالجراحة وأن يسلخ جلدي حتى لو ترك ذلك أثراً مشوهاً

(المذيع) : وهل نجحت العملية؟

(بيداء) : أخذ لي الطبيب قبلها بعض الأشعة للمنطقة للتحقق من مدى عمق الوشم بعد ما فشلت عملية الإزالة بالليزر واكتشف أمراً أكثر عجباً وهو أن الوشم لم يكن فقط على سطح جلدي بل امتد للحمي وعظامي وعندما شاهدت صورة الأشعة شعرت بخليط من الرعب والفجع حين رأيت الخطوط السوداء المتشعبة ممتدة ومتغلغلة وسط كتفي وذراعي بالكامل وكأنها شجرة تنمو وتتمدد بأغصانها وسط جسدي

(المذيع) : وكيف عالجكِ الطبيب؟

(بيداء) : لم يفعل وقدم اعتذاره لي ونصحني بزيارة طبيبٍ آخر لأنه لا يريد تحمل مسؤولية عملية معقدة كهذه قد تعرض حياتي للخطر

(المذيع) : معنى ذلك أن الوشم لا يزال على كتفك

(بيداء) : نعم .. لكني لم أعد أهتم لإزالته

(المذيع): تأقلمتِ معه إذًا

(بيداء): لا أبداً.. انتهت كل رغبة لي في التخلص منه بعد ما رأيت مصيري

(المذيع): لم أفهم ما تقصدين

(بيداء) بنبرة حزينة: الهالة السوداء تحيط بي منذ عدة أيام.. رأيتها في انعكاسي بالمرآة وأنا أنتظر قدري المحتوم

(المذيع): الأعمار بيد الله ولا أحد يستطيع أن يعرف قدره

(بيداء): لكنه يستطيع أن يشعر به..

(المذيع): تصدقي..

(بيداء): أتصدق بماذا؟

(المذيع): بكل مالك وما تملكين.. تبرعي بكل فلسٍ تملكينه وحتى مقتنياتكِ الشخصية ولا تحتفظي بأي شيء عداً ملابسك التي تغطيك

(بيداء): هل هذا علاجي؟

(المذيع) رامقاً (نور) بنظره: هذه وسيلة لخلاصكِ.. شكراً لاتصالكِ

بعد ما أنهت (بيداء) اتصالها حولت المعدة الاتصال التالي مباشرة..

- هل أنا على الهواء الآن؟ .. هل يسمعني أحد؟

(المذيع) وقد بدا عليه الإرهاق : نعم صوتكِ واضح .. تفضلي

- أنا رجل واسمي (جاسم)

(المذيع) : المعذرة يا سيد (جاسم) لكن صوتك ..

(جاسم) مقاطعاً : لا عليك فلست أول شخص يقول لي ذلك أعرف أن صوتي لا يملك الخشونة والعمق المتعارف عليهما في أصوات الرجال لكن هكذا خلقت ولم يكن ذلك باختياري

(المذيع) : أكرر اعتذاري عن سوء الفهم ونحن هنا لسنا بصدد إصدار أحكام عليك أو على غيرك خاصة في أمر لم تخترْه كما قلت .. تفضل نحن منصتون

(جاسم) : أستسمحك عذراً أن أسألك سؤالاً وإجابتك عليه ستحدد ما إذا كنت سأشارك تجربتي معك أم لا

(المذيع) : أنت لن تشاركها معي فقط بل مع جميع المستمعين

(جاسم) : أيّاً كان لا يهم

(المذيع) : ما المهم إذًا؟

(جاسم) : إجابتك على السؤال الذي سأطرحه عليك

(المذيع) : ولو أني لست مضطرّاً لذلك لكن سأجاريك فقط لأننا شارفنا على الانتهاء من حلقة الليلة ونحتاج لبعض التسلية

(جاسم) : هل تحاول السخرية مني؟

(المذيع) : لا أبدًا لكنك تبدو متوتراً جدًا ومرتبكاً في طرحك .. لمَ لا تحدثنا عن نفسك قبلها كي نتعرف عليك أكثر ثم ننتقل لسؤالك

(جاسم) : لا .. لا أريد .. سأكتفي باسمي فقط

(المذيع) : كما تشاء .. ما هو سؤالك يا سيد (جاسم)؟

(جاسم) : ما رأيك في مقولة «وراء كل رجل عظيم امرأة ..» هل تؤمن بها؟

(المذيع) : لا أعرف فأنا لم ألتقِ بالكثير من العظماء لأحكم وأتيقن من صحة تلك المقولة لكن ما أنا مؤمن به هو أن وراء معظم الرجال العظماء الذين سقطوا من علو مجدهم عدداً لا بأس به من النساء اللاتي دفعنهم من فوق حافته

(جاسم) : أحببت إجابتك ..

(المذيع) بتهكم : هل ربحت شيئاً؟

(جاسم) : رجاءً لا تسخر مني

(المذيع) : أنت تملك حساسية عالية يا (جاسم) وهذا يؤثر على فهمك لنبرة من يتحدثون معك

(جاسم) : ستقف بجانبها إذاً؟

(المذيع) : بجانب من؟

(جاسم) : المرأة التي حطمت حياتي وسبب اتصالي اليوم

(المذيع) : نحن لسنا برنامجاً لتلقي الاتصالات الخاصة بالمشكلات العائلية وقد نوهت عن ذلك سابقاً

(جاسم) : هذه المرأة ليست من أفراد عائلتي

(المذيع) وهو يشير لـ (نور) بقطع الاتصال : في كل الأحوال قصتك تبدو لي كمشكلة اجتماعية وهذا ليس من اختصاص برنامجنا .. لنأخذ اتصالاً آخر ..

(جاسم) : .. اسمها (هاجر) ..

رفع المذيع كفه لـ (نور) بوجه مرتبك وأشار لها بعدم إنهاء المكالمة وقال : «ماذا قلت للتو..؟»

(جاسم) : .. (هاجر) .. المرأة أو بالأحرى الساحرة التي حطمت حياتي

تغيرت حالة المذيع من عدم الاكتراث للاهتمام بحديث المتصل وقال : أكمل ..

(جاسم) : كنت رجلاً ناجحاً جدّاً في مجال ما لن أفصح عنه لكن ما سأقوله أن مجال عملي هذا وفر لي حياة كريمة جدّاً ويمكن أن تصفني وتصنفني من الأغنياء وأنا أستحق ما حصلت عليه من رفعة فقد بذلت الغالي والنفيس لأصل إلى ما وصلت إليه وكان معي في رحلتي الطويلة زوجتي المخلصة التي صبرت عليّ وتحملتني في بداياتي المتواضعة وبقيت بجانبي في أصعب وأحلك الظروف التي مررت بها وعصفت بي خلال مسيرة نجاحي لكن مع الوقت بدأت أستاء وأتضايق منها فبالرغم من حرصي على تعويضها عن أيام الشقاء التي عشناها معاً بألّا أبخل عليها بشيء تطلبه وتتمناه إلا أنها أصرت على أن سبب نجاحي الوحيد هو دعمها لي وأني لم أكن سأصل لما وصلت إليه بدونها وهذا أمر أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه مبالغة صارخة فأنا لا أنكر فضلها عليّ لكن لا يصل لدرجة أنها تنكر مساهمتي فيما حققت وتجعل نفسها أساس ذلك النجاح خاصة وأنها لم تساهم بشيء ملموس لم اكن سأنجح بدونه .. ربما كنت سأتعثر لكن فكرة أن نجاحي لم يكن ليتحقق بدونها فكرة تثير سخطي وغثياني

(المذيع) : وما علاقة الساحرة التي ذكرت اسمها بما تقول؟

(جاسم) : (هاجر)؟

(المذيع) : نعم (هاجر)؟

(جاسم) : (هاجر) ظهرت في حياتي بوقت كنت خلالها في قمة ضيقي وخلافي مع زوجتي ودخلتها بسلاسة عجيبة كالخطاف الحاد عندما يخترق فم السمكة .. فتعلقت بها ولم أستطع التملص من قبضتها

(المذيع) : بغض النظر عن حجتك الضعيفة لتبرير دخول امرأة غريبة في حياتك الزوجية إلا أني أريد السماع أكثر عن تفاصيل كيفية حدوث ذلك بـ «سلاسة» كما تقول

(جاسم) : أعرف ما تلمح له وهو أني قفزت نحو أول فرصة لخيانة زوجتي لكن هذا غير صحيح فالأمر مغاير تماماً لما تظن وقد حدث وأنا أبحث لها عن علاج ولو لم أكن أحبها ومخلصاً لها لما أنفقت معظم ثروتي في سبيل إيجاد دواء لها

(المذيع) : بماذا أصيبت؟

(جاسم) : مرض غريب ألم بها ظهرت أعراضه عندما عادت من إحدى حفلات الزفاف .. بدأ في أوله كألمٍ في المعدة تبعه حالة شديدة من التقيؤ والاستفراغ الدموي ومع مرور الأيام ومراجعة أشهر الأطباء في البلد عجز أيٌّ منهم حتى عن تشخيص حالتها ولم يجدوا فيها أي مشكلة عضوية فظننا أنها أصيبت بحسد ما فقمت

بجمع أثر جميع من حضرن ذلك الزفاف بمشقة وأسقيتها غسول كل واحدة منهنّ لكن دون فائدة واستمرت حالتها بالتدهور وأخذ جسدها يضمر ويضمحل أمامي لأنها لم تكن تأكل أو تشرب دون أن تستفرغ كل ما تتناوله وفي لحظة يأس بدأت أسأل من هم حولي عن أي شيخ ليقرأ عليها فدلوني على (هاجر) وأخبروني بأنها معالجة مشهورة وذات سجل لامع في معالجة جميع الحالات المستعصية التي تعرض عليها فلجأت لها والتقيت بها في منزلها واستغربت بادئ الأمر من صغر سنها فقد توقعت امرأة عجوزاً أو على أقل تقدير تجاوزت الخمسين من عمرها لكنها كانت صبية صغيرة في أوائل العشرين من عمرها

(المذيع) : وماذا حدث معها؟ .. هل قدمت لك حلًّا؟

(جاسم) : شرحت لها حالة زوجتي وطمأنتني بأنها تملك علاجها لكنها طلبت ثمنًا غالياً

(المذيع) : ماذا طلبت؟

(جاسم) : أن أتزوجها وأعطيها مهرًا كبيرًا جدًّا يفوق نصف ثروتي وقتها ومع ذلك لم أعترض لكني شرطت أن تعالجها قبلها وأن أراها تفيق أمامي فوافقت ومدت لي كيساً بمسحوق أبيض طلبت مني إذابته في لبن وأسقيه لها مرة واحدة فقط

(المذيع) : وتعافت ..

(جاسم) : نعم وعادت لسابق صحتها ومع فرحتي بذلك تناسيت اتفاقي مع تلك المشعوذة بعد ما دفعت لها المال الذي طلبته كمهر دون أن أتم الزواج بها لكنها بالطبع لم تنسَ وأرسلت رجلاً غريب المظهر لباب منزلي ليذكرني بالأمر فأخبرته بأني سأزورها في منزلها مساء ذلك اليوم .. ذهبت إليها وعرضت عليها المزيد من الأموال وعبرت لها عن عدم رغبتي بالزواج منها فقالت إن عدم إتمام اتفاقنا سوف يعود عليّ وعلى زوجتي بالضرر الكبير فلم ألقِ لها بالاً وخرجت من منزلها بنية اللاعودة .. لكني عدت .. عدت ذليلاً ومرغماً بعد ما عاد المرض وفتك بجسد زوجتي بشكل أكبر من السابق وكادت تموت ليلتها ولم تكن عودته محصورة عليها فقد أصبت أنا به كذلك وعند طرقي لبابها كنت على وشك فقدان وعيي من الألم وتقيأت مرتين عند عتبة بابها وبعد ما فتحت لي ضحكت ساخرة مني حين أخبرتها بأني موافق على الزواج منها فقالت بأنها لم تعد راغبة بذلك ورفستني بقدمها وأغلقت الباب خلفها

(المذيع) : حديثك معنا اليوم وأنت معافى يدل على أنك نجوت من تلك المعضلة .. هل ستخبرنا كيف؟

(جاسم) : صحيح لكن هل يمكن أن أكتفي بهذه الجزئية من القصة وأحتفظ بالبقية لي

(المذيع) : لماذا؟ .. ما المشكلة في سرد ما تبقى؟

(جاسم) : الشخص الذي وجدني عند عتبة بابها ذلك اليوم وساعدني طلب مني عدم ذكر ما قام به لأجلي وأنا سأحترم رغبته

(المذيع) : ونحن سنحترم رغبتك لكن هل يمكن أن تجيبني أنا شخصياً عن استفسار بسيط يخص هذا الشخص؟

(جاسم) : أحتاج سماع هذا الاستفسار قبلها

(المذيع) : حسناً .. هل من ساعدك كان وحده أو برفقة رجل آخر؟

(جاسم) وهو متردد بالإجابة : لا لم يكن وحده .. كان بالفعل برفقة رجل آخر بدا وكأنه مساعدٌ له أو يعمل عنده فقد كان يتلقى الأوامر منه خلال علاجي في الشارع

(المذيع) : شكراً لك يا (جاسم) .. خذ حذرك في المستقبل وحافظ على زوجتك واصبر عليها كما صبرت عليك .. لنأخذ اتصالاً آخر

- مرحباً .. كيف حالكم جميعاً .. ؟

(المذيع) : بخير شكراً لسؤالكِ .. تفضلي عرفينا بنفسكِ

- أنا (شدن) وأهلي ينادونني بـ (شدون) لكن صديقاتي يلقبنني بـ (شاش) ..

(المذيع) : تعددت الأسماء والشخص واحد .. ما هي مشاركتكِ يا (شدن)؟

(شدن) : كنت شاهدة على واقعة غريبة وقعت بالقرب من منزلنا لقطتنا .. قطة أختي الصغرى فأنا لا أحب القطط

(المذيع) : ولِمَ لا تحبينها .. القطط حيوانات جميلة وتفاعلها مع أصحابها أجمل

(شدن) : لا أعرف .. أجدها مقززة ومغرورة وترى أنها أفضل من غيرها وأكرهها لهذا السبب

(المذيع) : أسباب غريبة لكره القطط

(شدن) : وأصبحت أكرهها أكثر بعد ما رأيته من «سنبوك»

(المذيع) : أفترض أن ذلك هو اسم قط أختكِ

(شدن) : نعم صحيح

(المذيع) : وماذا بدر منه كي تستائي لهذا الحد؟

(شدن) : أختي الصغيرة حصلت عليه كهدية لتخرجها من المرحلة الابتدائية .. قط رمادي سمين لم يفارقها أينما ذهبت لدرجة أنها تحضره على المائدة معنا عندما نتناول الطعام وما يغيظني هو أن أبي وأمي لا يمانعان ذلك أبداً ولم يفكرا أن صحتنا مهددة بسبب ذلك الحيوان الناقل للأمراض والأوبئة!

(المذيع) : ألا ترين أنكِ تبالغين قليلاً؟

(شدن) : لا .. القطط حيوانات قذرة ولا تحاول إقناعي بغير ذلك

(المذيع) : أنا لا أحاول إقناعكِ بشيء .. أكملي

(شدن) : أنا لست فخورة بما سوف أقوله لكني في الحقيقة كنت دائماً أفكر في طريقة للتخلص من ذلك القط ولم أكن أريد أن أفعل شيئاً بيدي كي لا أشعر بالذنب

(المذيع) بتهكم : تفكير إنساني منكِ

(شدن) : أليس كذلك؟ .. أنا هكذا لا أستطيع إيذاء أحد

(المذيع) : نعم هذا واضح .. وكيف تخلصتِ منه؟

(شدن) : تقصد كيف حاولت .. القط لا يزال يعيش معنا بصحة وسلامة بالرغم مما تعرض له

(المذيع) : وإلى ماذا عرضتِه؟

(شدن) : حينا حي جديد ومع ذلك فالكلاب الضالة منتشرة فيه بشكل كبير خاصة في الليل فهي تجول الشوارع وكأنها دوريات للحراسة وأحجامها وهي تهرول في جماعات تشعرك أنها قطيع من الخيول البرية

(المذيع) : وصف بليغ ..

(شدن) : شكراً .. لدي مواهب أخرى

(المذيع) : لنتركها للبرامج الأخرى .. أكملي يا (شدن)

(شدن) : نسيت أين كنت ..

(المذيع) : كنتِ عند الخيول البرية المهرولة ..

(شدن) : آه نعم .. لكنها بالطبع ليست كذلك فهي عدائية جدًا وقد حدث وأن هاجمت بعض الأطفال في السابق وما زلنا ننتظر وعود البلدية بالتخلص منها لذا استغللت ذلك الوضع وفتحت الباب للقط في إحدى الليالي خلال نوم الجميع وخرج هو بإرادته ولم أجبره على ذلك وبقيت أراقبه وهو يسير متوجهاً لأحد مكبات النفايات أمام منزلنا

(المذيع) : وبذلك يرتاح ضميرك لأن قرار رميه للكلاب الضالة لتنهشه لم يكن قرارك

(شدن) : أليس كذلك؟ .. لكن الأمور لم تسر حسب ما خططت

(المذيع) : ألم تهاجمه الكلاب؟

(شدن) : بل حاصرته بمجرد توسطه الشارع .. خمسة منها .. خمسة كلاب كبيرة جدًا أحاطت به وأخذت تزمجر بغضب وكنت وقتها متحمسة لرؤيتها وهي تفتك به لكني أحسست بتأنيب الضمير فجأة عندما قبض أحدها بأسنانه على ذيله وشده للخلف وهو يصرخ ويخربش حتى قضم آخر على رأسه وأصبح معلقاً بين فكيها

حينها قام الثالث بغرس أنيابه في بطنه .. كان منظراً بشعاً لم احتمل رؤيته فأغلقت الباب ولم أكمل المشاهدة

(المذيع) : بنبرة ساخرة بعض الشيء : لأنكِ مرهفة الحس ..

(شدن) : نعم تماماً

(المذيع) : كيف نجا إذاً؟

(شدن) : بعد ما أغلقت الباب كنت أنوي الرحيل والعودة لغرفتي لكن استوقفني صوت زمجرة لم يكن مثل زمجرة الكلاب التي سمعتها قبل قليل وهي تهاجم القط .. زمجرة تشبه زمجرة الأسد أو حيوان مفترس ضخم فعدت وفتحت الباب وأطللت من شقه ورأيت شيئاً لم أتمكن من استيعابه حتى هذا اليوم .. رأيت الكلاب تحاصر وتنبح في كائن ضخم ومخيف يشبه الذئب الأسود لكن عينيه حمراوان وأنيابه طويلة ومخالبه السوداء كذلك وكان من الواضح أن الكلاب خائفة منه لكن في الوقت نفسه لم ترد إدارة ظهرها له وبقيت تنبح وتزمجر فيه

(المذيع) : والقط؟

(شدن) : لم أرَه في الجوار .. وكأنه اختفى

(المذيع) : وماذا حل بالكلاب؟

(شدن) : مزقها ذلك الكائن المخيف وافترسها بكل سهولة في وقت قصير لكن ما أفزعني بحق هو أنه وبعد ما انتهى من قتلها وجه أعينه الحمراء نحوي وبدأ بالسير تجاهي فأغلقت الباب بقوة وجريت هرباً لغرفتي واختبأت تحت الأغطية ولم أخرج من غرفتي إلا عندما أيقظتني أختي صباحاً تسألني باكية عن قطها فأخبرتها بأني لا أعرف عنه شيئاً وبعد أقل من ساعة دخل أبي وهو يحمله بين ذراعيه ويقول بأنه وجده في الشارع عند براميل القمامة ففرحت أختي به وأخذته لتحممه ومنذ ذلك الوقت تغيرت معاملته لي وبت أخشاه أكثر من كوني أكرهه وكأنه علم بنيتي عندما أخرجته للشارع فلم يعد يجلس بحجري ويرفض أن ألمسه ويغضب عندما أقترب منه

(المذيع) : لا حق له في ذلك أبدًا ..

(شدن) : أليس كذلك؟

(المذيع) : بلى .. هو كذلك .. شكراً لاتصالك يا (شدن) لنأخذ فاصلاً سريعاً ثم نعود مع آخر اتصال لنا هذه الليلة ..

الفاصل الأخير في الساعة الأخيرة لم يكن فيه أي تبادل للحوار بين (نور) والمذيع وكأن كليهما يريد فقط الانتهاء من تلك الحلقة والليلة بأسرع وقت وقبل أن تدق الساعة الرابعة صباحاً بعشرين دقيقة تقريباً عاد البث على الهواء لتلقي الاتصال الأخير.

(المذيع) : أهلاً (علياء) .. تفضلي نحن منصتون ..

(علياء) : أشعر بالإحراج عندما أضطر للنوم بجانب أحد

(المذيع) : هل أنتِ متزوجة؟

(علياء) : لا .. المشكلة لا تزال محصورة حتى الآن مع صديقاتي وأهلي

(المذيع) : لم أفهم قصدكِ .. عن أي مشكلة تتحدثين؟

(علياء) : المشكلة هي أني أتحدث .. أتحدث خلال نومي .. بعض المناسبات تحتم علينا أن ننام بوجود أشخاص حولنا .. لا أقصد مشاركتنا الفراش بل يكونون موجودين حولنا في المكان نفسه .. وعندما أستيقظ أجد أن الجميع يضحكون عليّ لأني كنت أتحدث وأنا نائمة .. وما فهمته من بعضهم هو أني أتحدث باسترسال في عدة موضوعات بعضها شخصي وأدخل في حوارات ونقاشات طويلة مع نفسي عن أشخاص أعرفهم وما يثير غيظي واستيائي هو أنهم لا يخبرونني أو يشاركونني التفاصيل .. يكتفون فقط بتعليقات عامة يتخللها الضحك والتندر عليّ وفي الحقيقة أشعر بالضيق والحرج دوماً من ذلك وأصبحت لا أحب النوم بوجود أحد بجانبي أو معي

في المكان نفسه وأغلق الغرفة بالمفتاح كي لا يدخل أحد وينصت لحديثي حينها بعد أن تيقنت من أني أتحدث في أمور وأسرار خاصة بي وبغيري وهذا سبب امتناع الجميع عن مصارحتي بفحوى تلك الأحاديث

(المذيع) : هذه حالة نفسية بسيطة يعاني منها الكثير وهي ليست خطرة حسب علمي ولا تدعو للقلق وأعتقد أن هناك علاجاً لها

(علياء) : هذا ليس سبب قلقي واتصالي بك اليوم

(المذيع) : ماذا إذاً؟

(علياء) : خطر ببالي في أحد الأيام القيام بتسجيل كلامي بعد ما أغفو لأستمع لبعض تلك الأحاديث التي تُضحك الجميع وبالفعل قمت بذلك باستخدام جهاز تسجيل ابتعته خصيصاً لهذا الغرض .. وكانت النتيجة .. لا أعرف .. التسجيل معي هل تحب سماعه؟

(المذيع) : نعم لا بأس .. سنستمع إليه جميعاً

بعد أقل من ربع دقيقة من الهدوء صدرت أنفاس ثقيلة تبعها حديث رجل بصوت عميق وغليظ وهو يتكلم بعصبية بلغة غير مفهومة ومن وقتٍ لآخر يصرخ ويضحك في الوقت نفسه وبعد توقف التسجيل قال المذيع : «ما هذا؟»

(علياء) : هذا ما سجله الجهاز وأنا نائمة

(المذيع) : لكن هذا ليس صوتكِ

(علياء) : أعرف .. هل وجدت شيئًا مضحكاً فيما سمعت؟ .. ما الذي كان يضحكهم؟ .. الصوت مخيف

(المذيع) : لا أعتقد أن ما سمعوه هو نفسه ما سمعناه الآن .. هل كررتِ المحاولة في ليلة أخرى وجربتِ تسجيل شيء آخر؟

(علياء) : لا أنا خائفة .. هل لديك أي فكرة عما سمعنا للتو؟ .. هل هو خلل بالتسجيل أم ماذا؟

(المذيع) : هذا ليس خللاً والصوت كان واضحاً وحديثه مفهوماً

(علياء) : مفهوم؟ .. هل فهمت اللغة التي تحدث بها؟

(المذيع) وقد ارتبك قليلاً : لا .. كنت أقصد ..

(علياء) بتوتر : تقصد ماذا؟! .. هل تخفي علي شيئاً؟؟!

(المذيع) : هل عرضتِ التسجيل على أحد قبل الليلة؟

(علياء) : لا .. هذه أول مرة أقوم بتشغيله بعد المرة الأولى التي أنصت فيها إليه

(المذيع) : ومتى كان ذلك؟

(علياء) : قبل عشرة أيام تقريباً

محتوى الشريط ولا تعرضيه على أحد

(المذيع) : امسحي

(علياء) : أمسحه؟ .. ماذا عن ..

(المذيع) مقاطعاً : أتفهم قلقكِ وكنت أتمنى أن أستطيع مساعدتكِ لكن الموضوع ليس بتلك السهولة

(علياء) : لِمَ تحاول إخافتي؟ .. هل أنا في خطر؟

(المذيع) : فقط امسحي محتوى التسجيل ولا تحاولي تسجيل شيء آخر مجددًا .. هل تفهمينني؟

(علياء) : وماذا عن مشكلتي؟ .. مشكلة الحديث خلال نومي

(المذيع) : أنتِ تعانين من مشكلة أكبر من ذلك كان الله في عونكِ

(علياء) بانفعال : أي نوع من المعالجين أنت؟! .. لِمَ لا تساعدني؟!

(المذيع) : أنا لست معالجاً .. وحتى لو أردت فقد فات الأوان على ذلك

(علياء) بخليط من السخط والخوف : ليتني لم أتصل بك وببرنامجك اللعين!

(المذيع) بنبرة عاجزة مشبعة بالخيبة : شكراً لاتصالكِ ..

أغلقت المتصلة الخط بعد أن بدأت بالبكاء صمت بعدها المذيع وهو يمسح وجهه بكفه حينها أشارت له (نور) بأن يقوم بختام الحلقة

فقال بصوت متعب:

«شكراً لكل من اتصل وشاركنا الليلة تجربته وأعتذر لكل من لم تتمكن من إتاحة الفرصة له لكنني أعدكم بأننا سنحاول تحقيق ذلك في الحلقة القادمة في الموعد نفسه .. تصبحون على خير ..»

رفع المذيع السماعات من على أذنيه وأشعل سيجارة دخنها خلال نهوض (نور) من مكانها حاملة بعض الأوراق متوجهة لباب الخروج وعند وصولها وقبل أن تدير المقبض قالت: «سأقدم غدًا اعتذاري لمدير المحطة عن إكمال البرنامج ..»

لم يرد عليها المذيع ولم يلتفت نحوها فأكملت حديثها قائلة: «كنت أظن أننا سنقدم برنامجًا للتسلية لكن اتضح أننا نتسلى بمشاعر الناس ومخاوفهم وهذا أمر لن أشارك فيه ..»

(المذيع) سارحاً أمامه: «أنا لن أتخلى عنهم .. عودي أنتِ لبرامج الطبخ وأنا سأكمل المشوار وحدي ..»

(نور) مديرة نظرها إليه بتجهم: عن أي مشوار تتحدث؟! .. مشوار التلاعب بالعقول وإثارة المخاوف؟! .. أنت إنسان سيئ واستغلالي ولا تهتم لأحد سوى نفسك!

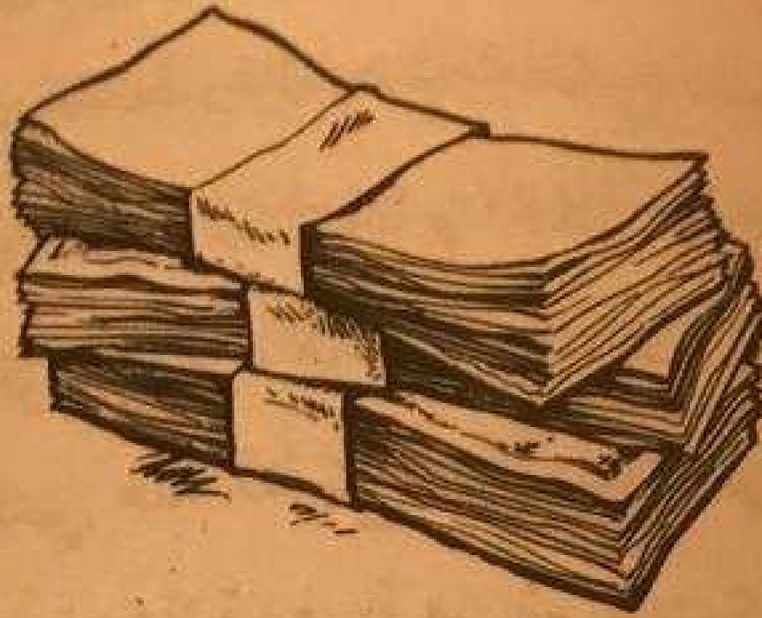
(المذيع): أغلقي الباب خلفك بعد ما تخرجين ودعي الخوف والمخاوف لأصحابها .. نحن لسنا مثلكم .. نحن لا نؤمن بوهم

الحياة الوردية فقد صُفعنا بالحقيقة واستيقظنا على واقعها المظلم ولا مجال للعودة لغيبوبتنا السابقة .. لن نستطيع حتى لو أردنا .. ولن أتخلى عمن هم بحاجة للإرشاد في ذلك النفق المعتم ..

(نور) بتهكم قبل أن تخرج : «مثلما لم تتخلَّ عن المتصلة الأخيرة..»

أغلقت (نور) الباب بقوة بعد خروجها تاركة المذيع يكمل سيجارته بهدوء ..

تسييس وتسليع



خرج المذيع من مبنى الإذاعة وسار متوجهاً نحو سيارة (جمال) المركونة بانتظاره وعند وصوله إلى نافذة السائق وجد أن صاحبه قد أسند ظهره للمقعد وغط في نومٍ عميق بفم مفتوح فطرق بمفصل سبابته على الزجاج موقظاً صديقه الذي أنزل النافذة وقال بوجه ناعس: «هل انتهيت؟»

(المذيع) باسماً وهو يزفر: لا لم أنتهِ بعد .. هل تستطيع قيادة السيارة أم أقودها عنك؟

(جمال) مديراً المحرك خلال تثاؤبه: لا أنا مستيقظ .. هيا اركب لآخذك للمنزل

عند وصول المذيع لشقته ودخوله لغرفة نومه رمى بنفسه على فراشه دون خلع ملابسه وأغمض عينيه مستسلماً للنوم ..

استيقظ ظهراً وفتح عينيه على رنين هاتفه المُلقى عند رأسه فمد يده بتكاسل ورفعه أمام وجهه ليرى رقماً مجهولاً يتصل به. قرب الهاتف من أذنه بعد ما فتح الخط وقال بصوت مشبع بالتعب: «نعم ..»

- «أحببت أن أبارك لك نجاح الحلقة الأولى من البرنامج .. الأصداء قوية جداً وهاتفي لم يتوقف عن الرنين منذ أن دخلت مكتبي هذا الصباح .. المعلنون انهالوا علينا وكذلك تلقينا عروضًا دعائية مغرية من شركات كبيرة لم نتعامل معها من قبل وبعض الجرائد تريد عمل لقاءٍ معك أيضاً .. لقد نجحنا وحققنا ضربة قوية غير مسبوقة في مجال الإذاعة!»

(المذيع) بوجهٍ ناعس: من أنت؟ .. من يتحدث معي؟

ضحك المتحدث وقال: «أكمل نومك .. لكني أريدك في مكتبي عصر اليوم .. يجب أن نجتمع لنناقش خط سير البرنامج بعد هذا النجاح الباهر ..»

أغلق المتصل الخط والذي اتضح أنه مدير المحطة فنظر المذيع لشاشة هاتفه لثوانٍ ثم رمى به أرضاً وأكمل نومه ..

لم يبقَ المذيع نائماً لفترة طويلة وأفاق بعد أقل من ساعتين توجه بعدها مباشرة لدورة المياه وأخذ حماماً ثم خرج وأعد لنفسه كوباً من القهوة وجلس في غرفة المعيشة يحتسيه بصمت خلال تدخين أول سيجارة

في يومه وتصفحه للرسائل الواردة والمكالمات الفائتة في هاتفه وقد كانت كثيرة على غير العادة.

لم يكن بين تلك الرسائل والمكالمات شيء لفت نظره فمعظمها كانت من أرقام مجهولة عدا تلك التي وصلته من (جمال) وبعض أقربائه المهنئين له على برنامجه الجديد لكن رسالة واحدة من رقم مجهول كان محتواها غريباً بعض الشيء فقد كتب فيها:

«ما تقوم به عمل نبيل لكن خذ الحذر من المتربصين بك ..
لقد لفت انتباهنا وسنتواصل معك قريباً لأننا نتشارك الهدف ذاته ..
أنت على القائمة وستكون ضمن المجموعة في الوقت المناسب ..»

قام المذيع بتخزين الرقم الذي وصلت منه تلك الرسالة تحت مسمى «رقم غريب ١» ثم فتح آخر رسالة وصلته وقد كانت من مدير المحطة يذكره فيها بموعدهما في المحطة عصراً وأنه سيكون بانتظاره فزفر متضجراً وقال محدثاً نفسه بعد ما رمى بالهاتف جانباً على الأريكة:

«أليس من المفترض أن أكون في إجازة لمدة أسبوع ..؟»

أكمل المذيع قهوته وتدخينه وهو سارح في الجدار أمامه حتى رن هاتفه ليغمض عيناً وكأن صداعاً قد أصابه ورفع الشاشة ليرى اسم



(جمال) يشع عليها ففتح الخط وقال : ماذا تريد؟

(جمال) : ما هذا الرد الوقح؟ .. أين أنت الآن؟

(المذيع) : ردي الوقح أهون من سؤالك الأحمق .. أين سأكون؟.. في منزلي بالطبع

(جمال) : ومتى سنذهب؟

(المذيع) : نذهب إلى أين؟

(جمال) : لنشتري لك سيارة؟ .. أم أنك تظن أني سأقلك لعملك كل أسبوع؟

(المذيع) : في الحقيقة أحتاج من يقلني الآن إلى هناك

(جمال) : لماذا؟ .. ألم تقل بأنك لن تذهب للإذاعة سوى مرة في الأسبوع؟ .. هل فصلوك؟

(المذيع) : (جمال) .. لا ترهقني باستفساراتك المزعجة وتعال في الحال

(جمال) : أنا في الأسفل عند محل الفطائر بجانب عمارتك .. هل تريد أن أحضر لك شيئاً؟

(المذيع) باسماً : نعم .. وجبتي المعتادة وسوف أنزل لك بعد تبديل ملابسي



(جمال) : فطيرة زعتر بالليمون أعرف .. من أبشع الوصفات التي مرت عليّ .. حسناً سأكون بانتظارك أسفل البناية بعد قليل

بعد أقل من ساعة وصل المذيع مع صديقه للمحطة وبعد توقفهما أمام مدخلها وقبل ترجل المذيع من السيارة قال (جمال) : هل تظن أنك ستحصل على ترقية؟

(المذيع) : ترقية ماذا؟ .. لا أريد فقط سوى العودة للمنزل لأكمل نومي

(جمال) : لن تنام .. بعد ما تنتهي سوف نذهب ونبتاع لك سيارة كما كان الاتفاق

(المذيع) : لَم لا تؤجلها حتى أستلم راتبي الأول فأنا ..

(جمال) مقاطعاً : لا تحمل هذا الهم سوف تسدد كل فلس تدينه لي عندما تكون قادرًا ومقتدراً

(المذيع) باسماً وهو يهم بالنزول : شكراً يا صديقي

(جمال) : اشكرني بألّا تتأخر فالشمس حارقة اليوم وتكييف سيارتي يخونني أحياناً

(المذيع) مغلقاً الباب بعد نزوله : لا عليك .. لا أنوي البقاء طويلاً في هذا الاجتماع

وصل المذيع حيث كان مكتب مدير ومالك المحطة فوجهته

السكرتيرة مباشرة للدخول بعد ما قدمت له التبريكات بوجه باسم. فتح الباب ودخل وما أن رآه المدير حتى نهض من مكانه باسطاً ذراعيه قائلاً بصوت مبتهج ومرتفع: «أهلاً بالبطل!»

(المذيع) بخليط من التعجب والاستغراب: بطل؟

(مدير المحطة): بالطبع بطل! .. ألم أخبرك بأن فكرتي الذكية ستنجح! .. لقد حققت نجاحاً باهراً في ليلة واحدة فقط والقادم أكبر وأفضل!

جلس المذيع على الكرسي المقابل لمكتب المدير مشعلاً سيجارة قائلاً: «تتحدث وكأن إذاعتك فاشلة ولا تبث أي برامج ناجحة..»

(مدير المحطة) وهو يجلس مكانه مشعلاً سيجارة هو الآخر: لدينا الكثير من البرامج الناجحة لكننا لم نشهد نجاحاً كهذا من قبل

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان: وما هي المقاييس التي قست بها هذا النجاح؟

(مدير المحطة) مشيراً بسبابته نحو المذيع باسماً: كمية الإعلانات التي وردت إلينا لعرضها على البرنامج ونوعية الشركات العارضة هذا هو مؤشري ومقياسي

(المذيع) بتهكم: المزيد من إعلانات المقرمشات؟

(مدير المحطة) ضاحكاً: لا لا .. مقرمشات ماذا؟! .. أنت الآن

من الصفوة والإعلانات التي ستعرض على برنامجك ستكون من الدرجة الأولى .. بنوك .. شركات طيران .. شركات تقنية .. الإعلانات تتهافت علينا من كل حدب وصوب عدد لا حصر له من ..

(المذيع) مقاطعاً: من الأموال ..

(مدير المحطة): نعم بالضبط .. سنكون من الأثرياء!

(المذيع): تقصد أنت من سيكون من الأثرياء

(مدير المحطة): أنا لن أهضم حقك .. يمكنني تعديل عقدك لتحصل على نسبة من تلك الإعلانات فقط استمر فيما تقوم به

(المذيع): لا أريد شيئاً سوى أن تتركني أعود لأكمل إجازتي التي وعدتني بها

(مدير المحطة): سيحدث ذلك لكن بعد أن نتناقش في بعض التعديلات

(المذيع) باستنكار: تعديلات؟ .. تعديلات من أي نوع؟

(مدير المحطة): لا تقلق .. مجرد أمور بسيطة لتحسين البرنامج

(المذيع): تحسين ماذا؟ .. ألم تقل بأنه حقق نجاحاً غير مسبوق؟ .. ماذا تريد أكثر من ذلك؟

(مدير المحطة) : أريد المحافظة على هذا النجاح من أي معكر قد يطرأ .. صحيح أنك نجحت في حلقتك الأولى لكن هناك بعض الأمور التي لا نستطيع تجاوزها ولا يمكن أن نكررها تفادياً لأي مفاجآت

(المذيع) وقد بدأ يشعر بالضيق من سير الحديث : سوف أنصت لما تقوله لكن لا تتوقع مني أن أهز رأسي بالموافقة دون نقاش

(مدير المحطة) : لا أبداً هذا من حقك .. نحن هنا للنقاش

(المذيع) متجهماً : هات ما عندك ..

(مدير المحطة) رافعاً ورقة من على سطح المكتب أمامه : لنبدأ بموضوع الآنسة (نور) ..

(المذيع) : أعرف أنها قدمت اعتذارها عن إعداد البرنامج .. انتقل للنقطة الأخرى

(مدير المحطة) : لا تتسرع .. (نور) موظفة مهمة عندي وهي مستاءة من طريقة تعاملك معها بالأمس وقد قدمت لي تقريراً مفصلاً هذا الصباح عن تجربتها وطلبت مني فتح تحقيق

(المذيع) بغضب : تحقيق؟! . من تظن نفسها تلك الـ ..

(مدير المحطة) رافعاً كفه مقاطعاً : لقد عالجت الأمر في حينه ووصلت معها لتسوية

(المذيع) وقد بدأ يفقد أعصابه : تسوية ماذا؟! .. تتحدث وكأني تحرشت بها! .. هذه الفتاة متغطرسة وتتدخل فيما لا يعنيها بدل أن تزاول عملها بصمت!

(مدير المحطة) : أنتما زميلان ويجب أن تتعاونا لا أن تتعاركا

(المذيع) : أخبرها ذلك ولا تخبرني أنا!

(مدير المحطة) : لقد أثارت عدة نقاط مهمة في تقريرها وفي الحقيقة أتفق معها في بعضها .. هل تريد سماعها؟

(المذيع) بعصبية : لا!

(مدير المحطة) ناظراً للورقة متجاهلاً رفض المذيع : تقريرها طويل ولن أرهقك بالتفاصيل لكن من المهم أن تسمع هذه النقاط التي ذكرتها ضمن بنود معوقات العمل ولفتت نظري :

١- تقديم نصائح طبية ونفسية دون وجود خلفية اختصاصية معتمدة

٢- الاعتراض على الفقرات الإعلانية

٣- التدخين داخل الاستديو

٤- التحدث مع المعدة في أمور شخصية وعدم احترام خصوصيتها

٥- الترويج للخرافات وتعزيز الجهل بدس المعلومات المغلوطة وغير المبنية على أسس علمية مما قد يؤدي لخلخلة النسيج الاجتماعي



(المذيع) متهكماً : خلخلة؟

(مدير المحطة) واضعاً الورقة على سطح الطاولة : هذا ما هو مكتوب

(المذيع) : لا يوجد خلل سوى برأسها .. البرنامج نجح لأني أدرته بطريقتي وإذا كنت تريد أن يستمر هذا النجاح الذي تتغنى به منذ الصباح فلا تتدخل وارمِ بهذه الورقة في القمامة

(مدير المحطة) : لا أنكر أن جزءاً كبيراً من النجاح الذي حققناه يعود الفضل فيه لك لكن النجاح الكبير والسريع قد يصبح نقمة علينا

(المذيع) : منذ متى كان النجاح نقمة؟

(مدير المحطة) : أنت لا تدرك نوع الانتباه الذي حظينا به وليس كله إيجابيّاً ومن جهات وأشخاص ودودين .. شكاوى المطالبة بإيقاف البرنامج بدأت منذ اليوم ومصدرها ليس الآنسة (نور) فقط

(المذيع) : وما رأيك أنت؟

(مدير المحطة) : رأيي أن نخفف قليلاً من حدة البرنامج

(المذيع) : وكيف تريد مني القيام بذلك؟ .. الناس هم من يتحدثون معظم الوقت وليس أنا

(مدير المحطة) : خفف من تعليقاتك ذات المضمون التوضيحي..

أقصد .. اكتفِ بتنسيق الحوار وإدارته فقط دون المساهمة فيه سواء بالتأييد أو النفي .. كن محايداً قدر الإمكان

(المذيع) : لو كنت استمعت لحلقة الأمس لعلمت بأن هذا ما كنت أقوم به

(مدير المحطة) : أنصت لكل دقيقة وأعرف أنك بذلت مجهوداً كبيراً لتحقيق ذلك وما أطلبه منك الآن هو بذل مجهودٍ أكبر لتحييد مشاركتك وتفاعلك مع المتصلين أكثر

(المذيع) : سيموت برنامجك بهذا الطريقة .. خير لك أن تلغيه بدل قتله بشكل بطيء

(مدير المحطة) : سنجرب وسنرى النتيجة قبل الحكم .. ما الذي ستخسره أنت؟ .. راتبك سيصرف لك كما هو وسأضيف له النسبة في الإعلانات كما وعدتك لو وافقت على الخطوط التي سنضعها

(المذيع) : ماذا عن ملاحظاتي الخاصة؟

(مدير المحطة) : تفضل .. كلي آذان صاغية

(المذيع) : أريد تقليص مدة البرنامج من أربع ساعات إلى ثلاث

(مدير المحطة) : لماذا؟

(المذيع) : لأسباب عديدة أهمها أن الأمر مرهق وكذلك لا أريد استقبال مكالمات بعد الثالثة فجراً

(مدير المحطة) : مبررات غريبة لكن لا بأس أنا موافق .. هل هناك شيء آخر؟

(المذيع) : أمر واحد فقط ..

(مدير المحطة) : تفضل ..

(المذيع) : ما موقفك من تفسير الأحلام؟ .. لاحظت أن بعض الاتصالات تتمحور حول هذا الموضوع وأريد معرفة سياسة المحطة بهذا الخصوص

(مدير المحطة) : جيد أنك سألت عن هذه النقطة .. تفسير الأحلام عنصر جذاب وقد يكون مفيداً لبرنامجنا ونحن هنا في المحطة كانت لنا تجربة سابقة في هذا المجال وكان هناك برنامج ناجح متخصص في تفسير الأحلام فقط

(المذيع) : وماذا حل به؟

(مدير المحطة) : ألغيناه ..

(المذيع) : لَمَ تلغونه إن كان ناجحاً؟

(مدير المحطة) : مقدمه اختفى في ظروف غامضة ولم نتمكن من التواصل معه .. وكأنه اختفى من على وجه الأرض .. لكن أنت موجود الآن ويمكننا استغلال نجاحك في إحياء نجاح ذلك البرنامج

(المذيع) : لم أفهم قصدك

(مدير المحطة) : المقدم السابق لم يكشف عن هويته أبداً وبقي شخصاً مجهولاً للمستمعين لكنه بالطبع معروف لدينا لذا يمكننا بسهولة ..

(المذيع) مقاطعاً : هل تريد مني انتحال شخصيته؟

(مدير المحطة) : لا ليس تمامًا .. أنا لن أجبرك على شيء لكني أتوقع أن بعض المتصلين السابقين لذلك البرنامج سوف يتواصلون مع برنامجك خاصة وأن صوتك قريب من صوته وقد لا يكتشفون الفرق

(المذيع) : أنا لا أحب ما تلمح إليه

(مدير المحطة) : أنا لا ألمح لشيء .. كل ما أقوله هو أن الموضوع بيدك لو أردت تفسير الأحلام والإبقاء على هويتك مجهولة كما فعل المقدم السابق .. أحياناً البقاء في الخفاء أمر مفيد

(المذيع) : أنا لا أنوي الكشف عن هويتي في كل الأحوال لكن ليس بانتحال هوية شخص آخر

(مدير المحطة) : هوية من؟ .. المقدم السابق كان مجهولاً

صمت المذيع متفكراً في الكلام حتى قطع مدير المحطة حبل أفكاره بقول :

«القرار لك في النهاية أنا فقط أخبرك بأننا في الإذاعة لا نمانع لو نسبت ذلك البرنامج لنفسك ..»

(المذيع) : حسناً .. سأفكر في الأمر

(مدير المحطة) باسماً : جيد .. ثم إن الموضوع ليس بتلك الصعوبة .. هل تخشى أن تخطئ؟

(المذيع) : بل أخشى أن أصيب ..

(مدير المحطة) : تصيب؟ .. لا تنكر أن تفسير الأحلام ما هو إلا تكهنات مخلوطة ببعض التبهير

(المذيع) : تبهير؟

(مدير المحطة) ضاحكاً : نعم! .. بدون البهارات الأكل يكون بلا طعم مستساغ ومذاق يسهل بلعه ومحتوى برنامجنا وليمة كبيرة يصعب هضمها دون تلك المنكهات!

(المذيع) : أنا لا أتحدث دون علم ولم أقل شيئاً من قبل في حياتي لم أكن واثقاً منه تمام الثقة

(مدير المحطة) : عن أي علم تتحدث؟ .. هذا برنامج للتسلية فقط

(المذيع) : ربما بالنسبة لك لكن ليس للمتصلين

(مدير المحطة) : لا أريدك أن تتحدث بهذه الطريقة أمام أحد عن

البرنامج كي لا توقعنا في المزيد من المشكلات القانونية .. فقط تلقَّ الاتصالات كما هي ولا تعلق عليها أكثر مما هو مطلوب

(المذيع) : فهمت .. تريد أن أكون مجرد دمية تهز رأسها لك ولعملائك ..

(مدير المحطة) : لا تعقد الأمور فالمسألة بسيطة ولا تستوجب كل هذا الانفعال

(المذيع) : أنا لست منفعلاً وعندما أنفعل سترى ذلك ..

(مدير المحطة) : على أي حال سنرى ما يجري مستقبلاً

(المذيع) مشعلاً سيجارة : على ذكر «التبهير» .. ماذا عن معدة الطبخ وشكواها؟

(مدير المحطة) : لا تقلق بهذا الخصوص .. لقد وصلت لتسوية معها كما أخبرتك وأقنعتها بسحب شكواها

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان للأعلى : وماذا كان المقابل؟

(مدير المحطة) باسماً : وما شأنك أنت؟ .. المهم أنها خرجت من الصورة وسوف يكون معك الأسبوع القادم معد جديد

تجهم المذيع وأطفأ عقب السيجارة في المطفأة المستقرة بينه وبين مدير المحطة ثم قال :

«أريده أن يكون رجلاً .. لقد اكتفيت من العمل مع النساء ..»

(مدير المحطة) ضاحكاً : لك ذلك! .. المهم أن نسير حسب التوجه الجديد

(المذيع) : ولو صدق حدسي وفقد البرنامج وهجه؟

(مدير المحطة) : وقتها لن يقع اللوم عليك لكن في الوقت الحالي لا تقدم أي نصائح أو تفسيرات قدر الإمكان .. اتفقنا؟

(المذيع) : هذه محطتك وافعل بها ما تشاء .. هل تريد مني شيئاً آخر؟

(مدير المحطة) باسماً وهو يخرج ورقة صغيرة مستطيلة الشكل من درج مكتبه ويمدها للمذيع : لا .. أريدك أن تبتهج فقط .. برنامجك هو البرنامج الأول في البلاد!

(المذيع) آخذاً الورقة : ما هذه؟

(مدير المحطة) : علاوة بسيطة

(المذيع) وعيناه تتأملان الرقم المكتوب في الشيك : مبلغ كبير ..

(مدير المحطة) : وهناك المزيد قادم في الطريق إذا تمكنت من الحفاظ على برنامجك واستمررت بإدارته بالشكل الصحيح

(المذيع) واضعاً الشيك في جيبه : تقصد إذا قمت بتسويق سلعتك بالطريقة الصحيحة

(مدير المحطة) : كل شيء له ثمن لكن ليس كل شيء يمكن أن يباع .. المسوق الجيد أهم من السلعة الجيدة ..

(المذيع) : أنا لست سلعة ..

(مدير المحطة) نافخاً سحابة من الدخان : أنت المسوق يا سيدي المذيع .. ومسوق ممتاز

لم يعجب المذيع حديث مدير المحطة لكنه صمت ولم يعلق واكتفى بالنهوض من مقعده قائلاً :

«فقط تذكر أن تعرض عليّ أي إعلان تجاري لسلعة تريد الترويج لها عبر برنامجي قبل الموافقة عليه .. لقد اكتفيت من إعلانات القرمشات والحفائظ وهذا أمر لن أتنازل عنه وتذكر أني لست حريصاً على هذه الوظيفة للدرجة التي تعتقدها ..»

(مدير المحطة) مسنداً ظهره لمقعده باسماً : أعرِف .. أعرف .. لن نعتمد أي إعلان دون الرجوع إليك .. هل أنت مسرور الآن؟

(المذيع) سائراً نحو باب الخروج : دواعي سروري ليست سهلة التحقيق كما تظن ..

الانطلاق نحو قعر القاع



قضى المذيع الأيام التي تلت اجتماعه بمدير المحطة في إعادة تنظيم حياته بالمبلغ الكبير الذي حصل عليه فقد اشترى سيارة وملابس جديدة وسدد ديونه كلها وحينما حل يوم موعد الحلقة الثانية وتحديداً تمام الساعة العاشرة مساءً من يوم الجمعة جلس كعادته في شقته يدخن سيجارته ويشرب قهوته وبينما كان مختلياً بأفكاره رن هاتفه بالرقم الغريب الذي سجله بمسمى «رقم غريب ١» فتردد في بادئ الأمر بالإجابة لكنه في النهاية قرر الرد على المتصل المجهول وفتح الخط قائلاً : «آلو نعم ..»

أجابه من الطرف الآخر صوت بدا مألوفاً له لكنه لم يتذكر صاحبه وقال: «بالتوفيق اليوم .. نحن ما زلنا نتابعك ..»

(المذيع): من معي؟

- نحن لسنا معك حتى الآن لكننا سنكون معاً قريباً .. إذا أثبت لنا أنك تستحق ..

(المذيع): من أين حصلت على هذا الرقم؟

- نحن نحصل على ما نريد وقتما نريد ..

(المذيع): أنتم من؟

أنهى المتصل اتصاله تاركاً المذيع يحدق بشاشة هاتفه في حيرة وعجب ..

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ بعد الاتصال الغريب حتى قام بإطفاء سيجارته برميها في كوب القهوة ناهضاً بعدها للخروج من شقته والتوجه للمحطة بسيارته الجديدة لبدء الحلقة الثانية من برنامجه الذي أحدث ضجة غير مسبوقة وبعد وصوله للمبنى توجه مباشرة للاستديو وقبل أن يدخل وجد شاباً في منتصف العشرين من عمره يجلس متقرفصاً عند الباب فسأله:

«من أنت؟ .. وماذا تفعل هنا؟»

نهض الشاب بسرعة وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة عريضة وقال بحماس كبير: أنا (أمجد) المعد الجديد!

(المذيع) واضعاً يده على مقبض الباب: ولَم تجلس هنا يا (أمجد)؟

(أمجد): لأن الاستديو مغلق ..

هز المذيع المقبض عدة مرات وتحقق من أنه مقفل ثم قال: ولَم هو مغلق؟ .. أين المفتاح؟

(أمجد): مع المعدة السابقة الآنسة (نور)

(المذيع) متجهماً: ماذا عن البرنامج الذي كان يبث قبلنا؟ .. لَم لَم يتركوا الباب مفتوحاً كما فعلوا في المرة السابقة؟!

(أمجد): تقصد السيد (لؤي)؟

(المذيع) وقد بدأ يفقد أعصابه لقرب وقت بث برنامجه: نعم السيد «أحمق»! .. لَم أقفل الباب خلفه؟!

(أمجد): لا أعرف .. لقد طلبت منه أن يتركه مفتوحاً عندما انتهى من برنامجه كي أقوم بالتجهيز لكنه رفض وقال لي أن أحصل على مفتاحي الخاص من الآنسة (نور) لكنها لا ترد على اتصالاتي .. هل تريد مني محاولة الاتصال بها مجدداً؟

(المذيع) رافعاً قدمه للأعلى: لا تتصل بأحد ..

رفس المذيع الباب وكسر القفل مباعداً درفتيه بقوة ثم قال: «هيا اذهب وجهز كل شيء لم يتبقَّ سوى سبع دقائق فقط ..»

(أمجد) يجري مسرعاً لوسط الاستديو المظلم مشعلاً أنواره: حاضر! .. كل شيء سيكون جاهزاً في الوقت! .. يمكنك الاعتماد عليّ!

أشعل المذيع سيجارة وبقي يدخنها خلال مراقبته المعد الجديد وهو يشغل ويجهز الأجهزة بسرعة وحماس وقبل أن تدق الساعة معلنة عن حلول منتصف الليل جلس (أمجد) على كرسيه واضعاً سماعاته على أذنيه رافعاً إبهامه للمذيع باسماً قائلاً:

«نحن جاهزان للبث!»

رمى المذيع سيجارته أرضاً وسار نحو مقعده وجلس عليه قائلاً: هل لديك مشكلة مع التدخين؟

(أمجد) مخرجاً علبة سجائر من جيبه: لا أبداً! .. لكني سأحترم المكان وأدخن وقت الفقرات الإعلانية

(المذيع) واضعاً السماعات على أذنيه: لا تحترم شيئاً سوى توجيهاتي ودخن وقتما تشاء ..

(أمجد) مشعلاً سيجارة ضاحكاً: أمرك!

تبسم المذيع وقال: يبدو أننا سننسجم معاً يا (أمجد) .. لنبدأ الحلقة ..

وضع (أمجد) السيجارة في فمه وأشار بسبابته للمذيع مشيراً له بأنها انتقلا للبث الحي ..

(المذيع) مقرباً فمه من الميكرفون :

«صباح الخير .. نلتقي معكم مجددًا في حلقة جديدة من برنامجنا الأسبوعي «هذا ما حدث معي» وكي لا نضيع الوقت ونستقبل أكبر عدد من المشاركات الليلة سوف نتحول مباشرة للمكالمات .. وللتنويه فإن وقت البرنامج تم تعديله ليصبح ثلاث ساعات فقط .. والآن لنأخذ اتصالنا الأول ..»

- السلام عليكم

(المذيع) : وعليكم السلام .. تفضل

- اسمي (ماجد) وأرغب في المشاركة

(المذيع) : تفضل يا (ماجد) .. نحن منصتون

(ماجد) : حسناً .. أنا إنسان منطقي ولا أومن بمسألة الأشباح أو العفاريت والجن وغيرها من هذه الأمور، لا شك أني مؤمن بوجود الجن كما ذكر في القرآن لكني لست مؤمنًا أبدًا بظهورهم أو قدرتهم على الدخول لعالمنا أو رؤيتنا لهم بأي شكل من الأشكال.

(المذيع) : ألا تؤمن بتشكلهم؟

(ماجد) : أومن بقدرتهم على ذلك لكن لست مقتنعًا بأن هذا يحدث

في زماننا فالمسألة لا تدخل العقل .. على أي حال دعني أكمل

(المذيع) : تفضل ..

(ماجد) : في إحدى المرات التي كنت أقطع فيها طريق سفر طويلاً بالسيارة ليلًا توقفت عند محطة مهجورة تقع عند مفترق الطريق الكبير قبل البلد التي كنت متوجهاً لها ..

(المذيع) : ولَمَ توقفت عندها إذا كانت مهجورة ؟

(ماجد) : كنت بحاجة ملحة للذهاب لدورة المياه

(المذيع) : وما حاجتك للمحطة فالعراء حولك على مد البصر أليس كذلك؟

(ماجد) : أعرف لكنني لا أستطيع قضاء حاجتي في مكان مفتوح .. الأمر نفسي لا أكثر .. كنت أحتاج نوعًا من الغطاء أو الجدران كي أستطيع قضاء حاجتي براحة فقلت في نفسي إن دورات المياه القديمة ستكون مكاناً مناسبًا لذلك.

(المذيع) : فهمت قصدك .. أنا لا أستطيع شرب الماء إلا إذا كان معبأ في قارورة ولا أستطيع شربه من كأس أبدًا مثل حالتك تمامًا

(ماجد) : .. نعم .. مع فارق التشبيه طبعًا

(المذيع) ضاحكاً : نعم بالطبع أكمل ..

(ماجد) : المهم .. أوقفت السيارة ودخلت لدورات المياه المهجورة وبالرغم من أنها هجرت لفترة من الزمن إلا أن رائحتها كانت سيئة جداً، وكان الهواء في ذلك المكان مكتومًا بشكل غريب، ولم يكن هناك أي إنارة سوى بصيص من نور القمر المكتمل والذي كان يمر من خلال بعض النوافذ ذات الزجاج المهشم، لذا استعنت بنور هاتفي كي أجد طريقي حتى وجدت مكانًا مقبولًا بعض الشيء لقضاء حاجتي.

(المذيع) باسماً : أتمنى أنك لن تغوص في التفاصيل أكثر فلقد وصلنا إلى حدث لا يهم المستمعين معرفة تفاصيله

(ماجد) : وقتها سمعت ذلك الصوت ..

(المذيع) : صوت ماذا؟

(ماجد) وهو يزفر : صوتًا مخيفًا قادمًا من إحدى دورات المياه المجاورة لي .. صوتًا أشبه بشخص يضحك وفي فمه ماء .. قهقهة غريبة .. لا أعرف .. كان صوتًا بشعًا جدًا .. الضحكة الأولى خفيفة لكنها كانت كافية كي أنهض قبل أن أقضي حاجتي.

(المذيع) : وماذا حدث بعد ذلك؟

(ماجد) : تحركت نحو باب الخروج بالطبع .. لقد اهتز كل ما كنت مؤمنًا به ذلك اليوم .. وعند وصولي للسيارة توقفت

(المذيع) : لماذا؟

(ماجد) : لم أكن مصدقًا لانجراف خيالي وكنت حينها مقتنعًا أن هناك تفسيرًا منطقيًا لما سمعت لذا قررت العودة

(المذيع) : تفكير منطقي ..

(ماجد) : كان يجب أن أتحقق مما سمعت أو تخيلت سماعه

(المذيع) : وهل تحققت؟

(ماجد) : عدت لدورة المياه ودخلت بحذر وتوجهت للمكان الذي صدر منه الصوت وقبل وصولي للمكان سمعت الضحكة مرة أخرى .. سمعت تلك القهقهة البشعة .. كانت أعلى من السابق وكأنها سعيدة بعودتي .. لم أستطع التقدم أكثر في الظلام لذا قررت استخدام إضاءة هاتفي كي أرى أمامي ..

(المذيع) : وماذا حدث بعد ذلك؟

(ماجد) : رأيته ..

(المذيع) : رأيت ماذا؟

(ماجد) : رأيته يطل برأسه مبتسمًا من إحدى دورات المياه .. كانت ابتسامته عريضة جدًا ووجهه مغطى بمادة مخاطية شفافة غريبة ..

عيناه .. عيناه سوداوان وخاليتان من البياض كأعين الدمى ..
جلده أبيض يميل للزرقة .. كان بشعًا جدًّا

(المذيع) : وماذا فعلت؟

(ماجد) : ماذا تظن أني فعلت؟ ... هربت جريًا بسرعة من المكان ولم أسمع سوى قهقهته خلفي .. لم ألتقط أنفاسي إلا بعد ما ركبت السيارة مبتعدًا عن ذلك المكان .. ومنذ ذلك الوقت لا أستطيع دخول دورات مياه الطرق.

صمت المذيع ولم يعلق ..

(ماجد) : أعرف أنك لا تصدقني .. أنا ما زلت لا أصدق ما رأيته

(المذيع) : لا لا أبداً أنا أصدقك الحمد لله على سلامتك وشكرًا لمشاركتك .. لنأخذ اتصالاً آخر

استمر المذيع في تلقي المكالمات والمشاركات حتى أشار له (أمجد) خلال حديثه مع أحد المتصلين بأنهم قد شارفوا على نهاية الساعة الأولى وحان وقت الانتقال للفاصل الإعلاني فأومأ له برأسه وهو يكمل الحديث مع المتصل وقال :

«وماذا كان السؤال الثاني الذي سألته للطفلة والذي غضبت بعده ولم تجب عليه يا (فراس)؟

(فراس) : .. لماذا تسأل؟

(المذيع) : مجرد فضول ..

(فراس) : .. كان سؤالًا عارضًا ولم أفكر به لكن يبدو أنه أثار حفيظتها .. سألتها وقلت: «لِمَ شعركِ مبتل بالماء؟»

(المذيع) : فقط؟

(فراس) : نعم فقط

(المذيع) : شكرًا (فراس) على مشاركتك .. لنأخذ فاصلاً إعلانياً ثم نعود بعده للساعة الثانية

نهض المذيع من مكانه وأشعل سيجارة وانضم له (أمجد) بعد ما قام بتشغيل الشريط الإعلاني ..

(أمجد) وهو يغلق الباب الذي تُرك مفتوحاً طيلة الساعة الأولى : الاتصال الأخير كان غريباً ..

(المذيع) : هل هذا الاتصال فقط ما أثار انتباهك؟

(أمجد) واقفاً بجانب المذيع آخذاً نفساً عميقاً من سيجارته : في الحقيقة كل الاتصالات كانت غريبة خصوصاً تلك المتصلة التي تحدثت عما حدث معها هي وأمها

(المذيع) : تقصد (هند)؟

(أمجد) : نعم ..

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : ما زلنا في بداية الليلة ..

(أمجد) رامياً بعقب السيجارة أرضاً : أنا متأهب وجاهز لما تبقى منها أياً كانت المفاجآت

(المذيع) : أين كنت تعمل قبل أن يحولوك إلى هنا؟

(أمجد) : كنت المعد لبرنامج «نغمات منعشة»

(المذيع) باسماً بتهكم : «منعشة»؟

(أمجد) ضاحكاً : نعم .. برنامج يقدم أحدث الإصدارات الغنائية ويتلقى طلبات وإهداءات المستمعين على الهواء

(المذيع) : تغيير جذري عن البرنامج الذي كنت تعده ..

(أمجد) : أعرف وأنا متحمس لهذه التجربة

(المذيع) : المعدة السابقة كانت متحمسة أيضاً ولم تتمكن من الاستمرار بعد الحلقة الأولى

(أمجد) : تقصد الآنسة (نور)؟ .. أنا لست مثلها .. ليس انتقاصاً لها فهي أكثر خبرة مني لكنني لست هي

(المذيع) : اسمع يا (أمجد) .. يجب عليّ أن أوضح لك أمراً هامًّا قبل أن ننتقل للساعة الثانية

(أمجد) : تفضل كلي آذان صاغية

(المذيع) : مهما سمعت أو رأيت لا تحاول مقاطعتي أبداً أو الاعتراض على شيء مهما كان ذلك لا يعجبك أو يتعارض مع مبادئك أو ما تؤمن به وسنكون على وفاقٍ تام

(أمجد) : من هذه الناحية لا تقلق .. أنا من أشد المعجبين بالبرنامج منذ حلقته الأولى وكوني أصبحت معداً له في هذا الوقت المبكر من انطلاقته هو شرف وفرصة كبيرة أشكرك على منحها لي

(المذيع) : أنا لم أمنحك شيئاً لن تحصل عليه دون إثبات نفسك .. فقط حاول ألا تتدخل كثيرًا في عملي واهتم بعملك أنت فقط .. السفينة لا يمكن أن يكون لها ربانان

(أمجد) : حاضر يا سيدي .. لا تحمل همّاً أبداً بهذا الخصوص

(المذيع) باسماً : لنعد للأثير إذًا وحول لي الاتصال التالي

بعد ما عاد الاثنان لمقاعدهما رفع (أمجد) يده مشيراً لبدء الساعة الثانية ..

(المذيع) : عدنا لكم أعزائي المستمعين والساعة الآن الواحدة صباحًا ومستمرون في أخذ اتصالاتكم حتى الثالثة فجرًا .. معنا الآن اتصال جديد .. تفضل



- مرحبًا

(المذيع) : مرحبًا بك عرفنا بنفسك وما هي مشاركتك؟

- حسنًا .. أنا (نبيل) أعمل كطبيب عام في أحد المستشفيات الخاصة كنت مناوبًا ذات ليلة مع طاقم محدود من الممرضين والممرضات وبعض عمال الصيانة والتنظيف ولم نتلقَّ تلك الليلة أي حالة خطرة تستوجب حضور أي طبيب مختص؛ إلى أن دخل علينا رجل يسند بكتفه رجلًا آخر وأخبرنا بعد ما وضعنا المصاب على طاولة الفحص بأنه صدم هذا الرجل في الشارع بسيارته وأغمي عليه وبالرغم من أن الصدمة كانت قوية إلا أنه لم يَرَ أي جروح ظاهرة على جسده أو أي ضرر واضح سوى فقدانه للوعي، لذا حمله وأحضره إلينا كي نتحقق من سلامته

(المذيع) : هل أبلغتم الشرطة؟

(نبيل) : نعم فهذا شيء روتيني نقوم به في مثل هذه الحالات بالرغم من أن المصاب لم يكن يحمل أي وثائق تدل على هويته ولا حتى هاتفاً محمولاً. كانت جيوبه خالية تمامًا لكننا لم نفكر كثيرًا في الأمر لأن التعرف على هويته كان من اختصاص الشرطة وهدفنا الأول والأخير التحقق من سلامته.

(المذيع) : وماذا حدث بعد ذلك؟

(نبيل) : قمنا بجميع الفحوص الأولية اللازمة وكانت النتيجة غريبة

(المذيع) : غريبة كيف؟

(نبيل) : المصاب بالرغم من تعرضه لصدمة قوية حسب ما ذكر الرجل إلا أنه لم يعانِ من أي رضوض أو جروح ظاهرة لذا اضطررنا لأخذ بعض الصور بالأشعة السينية وهنا كانت الصدمة .. الصور لم تظهر أي عظام

(المذيع) : تقصد أنها لم تظهر أي عظام مكسورة؟

(نبيل) : لا .. لم تظهر أي عظام بتاتاً وكأن جسده مجوف وخاوٍ من الداخل، مع أنني يمكن أن أتحسسها بيدي المجردة لكنها في صور الأشعة لا يمكن رؤيتها، فطلبت من الممرضة إعادة التصوير لأنني كنت على يقين أن هناك مشكلة في الجهاز

(المذيع) : وهل أظهرت الصور الأخرى شيئًا ؟

(نبيل) : لم نلحق لأن جهاز نبضات القلب لم يكن يشير لأي نبضات بعد ما قمنا بإيصاله لذا أعلنت وفاته في تلك اللحظة، لكن ما جعلني أقف محتارًا ومرعوبًا بعض الشيء هو أنني أستطيع وبكل وضوح رؤيته وهو يتنفس، كنت أرى صدره يرتفع وينزل أمامي

وجهاز القلب يشير إلى أنه لا يملك نبضًا .. أمسكت بمعصمه وقد كان باردًا كالموتى فلم أجد أي نبض .. الرجل يظهر جميع علامات الميت لكنه ما زال يتنفس

(المذيع) : وماذا فعلتم بعد ذلك؟

(نبيل) : في هذه الأثناء وصلت الشرطة فخرجنا أنا والممرضة التي كانت معي لاستقبالهم وعندما عدنا معهم ليروا المصاب لم نجده على السرير .. اختفى .. لم يكن له أثرٌ في الغرفة

(المذيع) : كيف اختفى .. هل أفاق؟

(نبيل) : لا أعرف فالغرفة لم يكن بها نافذة وخارجها كانت تقف ممرضة وأكدت أنها لم تتحرك من مكانها ولم ترَ أحدًا يخرج من المكان

(المذيع) : وماذا عن الرجل الذي صدمه؟

(نبيل) : كان جالساً في غرفة الانتظار .. تحدثت الشرطة معه ولم يخبرهم بشيء مفيد سوى أن ذلك الرجل خرج أمامه فجأة في وسط الشارع ولم يرَه قادمًا من جهة .. أغلقت الشرطة القضية ولم توجه أي تهمة للرجل .. ولم أجد حتى هذا اليوم أي تفسير علمي لما رأيته ذلك اليوم ..

(المذيع) : شكرًا دكتور (نبيل) .. شكرًا على مشاركتك .. لنأخذ اتصالاً آخر

أكمل المذيع الساعة الثانية من حلقته الثانية بعد أن تلقى مجموعة أخرى من الاتصالات التي زادت غرابة واحداً تلو الآخر مع تقدمها مما دفعه لأخذ فاصل جديد بعد ما أنهى اتصالاً مع شخص يدعى (صلاح) تحدث عن تجربته مع فتاة في طريق مهجور ..

(المذيع) : شكرًا يا (صلاح) لمشاركتنا .. نحتاج لفاصل قصير ثم سنعود للساعة الثالثة والأخيرة من حلقة برنامجنا الليلة ..

انتقل (أمجد) للفاصل الإعلاني ثم قال : عذراً يا سيدي .. لدي استفسار

(المذيع) وهو يشعل سيجارة كالعادة : ما هو؟

(أمجد) : هل كانت فكرة تقليص الحلقة إلى ثلاث ساعات فكرتك؟

(المذيع) : نعم بالاتفاق مع مدير المحطة

(أمجد) : هل يمكن أن أسأل لماذا؟

(المذيع) : لن تستفيد شيئاً من معرفة السبب .. هيا لنعود ..

(أمجد) : حاضر

- أعطى المعد المذيع الإشارة للبدء فقال : عدنا لكم أعزائي المستمعين مع اتصال جديد .. تفضل ..

- صباح الخير أنا (عزام) وعمري ستة عشر عامًا ولدي قصة حدثت لي منذ أسابيع قليلة ..



(المذيع) : تفضل كلنا آذانٌ صاغية ..

مرت الدقائق مع كل اتصال حتى أعطى (أمجد) المذيع خلال حديثه مع أحد المتصلين الإشارة بأن لديهم وقتاً لتلقي اتصال واحد فقط قبل ختام البرنامج فقال :

«شكرًا لمشاركتك يا (دانة) .. المعد يشير لي بقرب انتهاء وقت البرنامج لذلك سنأخذ آخر اتصال معنا الليلة .. تفضل ..»

- صباح الخير.

(المذيع) : صباح النور تفضل ما هي مشاركتك؟

- بصراحة ليس لدي مشاركة ولكن عندي طلب ..

(المذيع) : طلب؟ .. تفضل

- برنامجك السابق كان لتفسير الأحلام أليس كذلك؟

(المذيع) مستذكراً حديثه مع مدير المحطة عن هذا الموضوع : بلى صحيح لكنه ألغي منذ أشهر

- أعرف لكنني أتمنى أن تفسر لي حلمي .. هذا هو طلبي

(المذيع) : لم أعد أفسر الأحلام ..

- أرجوك ..



صمت المذيع ولم يعلق ..

- الحلم متكرر ويزعجني كل ليلة ..

(المذيع) : تفضل لكن أرجو من السادة المستمعين ألّا يتصلوا بالبرنامج لطلب تفسير الأحلام في المستقبل لأني لن أفعل

- شكرًا لك .. أحلم كل ليلة بثلاثة غربان .. غراب أسود وغراب أبيض والثالث بلا ريش .. الغراب الأسود أعور ويجلس على كتفي الأيمن وينعق بقوة في أذني كلما قررت المشي، والغراب بلا ريش يجلس على كتفي الأيسر وينقر كتفي ويعض أذني أيضاً كلما قررت التحرك للأمام، أما الغراب الأبيض والذي هو أكبرها حجماً فيجلس على رأسي فقط ولا يفعل شيئًا على الإطلاق سوى النظر إليهما وإطعامهما بفمه من وقت لآخر .. هل من تفسير لهذا الحلم؟

(المذيع) : نعم هل ترغب بسماعه ..؟

- لم أتصل إلا رغبة في تفسيره

(المذيع) : كما تشاء وتذكر أن العلم عند الله والتفسير ليس بيقين لكنه مجرد تعبير لرموز الرؤيا

- حسنًا .. أنا منصت ..

(المذيع) : الغربان في الحلم هي العوائق الثلاثة التي تعيقك عن التقدم والمضي قدمًا في حياتك .. الغراب بلا ريش هو الإحساس بالعيب والخجل من بعض الأمور التي لا علاقة لها بهما لكنهما يمنعانك من استكشاف وتجربة الكثير في حياتك القصيرة، أما الغراب الأسود فهو الخوف الذي يشل حركتك كلما عزمت على المضي قدمًا في مستقبلك القابع أمامك ويجعلك متسمرًا في مكانك تراه لكنك لا تستطيع الوصول إليه.

- وماذا عن الغراب الأبيض ..؟

(المذيع) : .. الغراب الأبيض هو أسوؤها .. هو الذي يبقي بقية الغربان على قيد الحياة لتستمر في تعذيبك وتقويض حياتك .. هو من يجدد قوتهما بإطعامهما كلما ضعفا بسبب مقاومتك لهما .. هو أساس المشكلة بل هو المشكلة بحد ذاتها

- وماذا يكون هذا الغراب الأبيض؟

(المذيع) : الأمل ..

لم يعلق المتصل وأنهى اتصاله ..

(المذيع) : شكرًا لاتصالك .. كنتم مع برنامج «هذا ما حدث معي» نرجو أنكم استمتعتم بحلقة هذا الأسبوع ونراكم الأسبوع القادم بإذن الله في الموعد نفسه .. إلى اللقاء .. وتصبحون على خير

رفع المذيع السماعات من على أذنيه بينما انتقل (أمجد) لفاصل إعلاني طويل ريثما يأتي الفريق الآخر بعدهما لبث البرنامج التالي ..

خرج الاثنان من الاستديو وسارا بعضهما بجانب بعض وهما يدخنان متوجهين للمصعد وعند وقوفهما أمامه بانتظار وصوله قال (أمجد) : «حلقة جيدة ..»

(المذيع) : لكن مرهقة كالعادة ..

(أمجد) مبتسماً : عندما أراك الأسبوع المقبل ستكون قد استعدت عافيتك بالكامل

(المذيع) : ستستمر معي إذًا ..

(أمجد) : ولِمَ لا أستمر ؟ .. العمل معك شرف كبير وأعرف أني سوف أتعلم الكثير منك

فُتح باب المصعد فسار المذيع ووقف وسطه ثم قام بالضغط على زر الدور الأرضي وقبل أن يغلق بابه قال : «علمي علم لا ينتفع به ..»

الظلام نهاية النفق



استمر المذيع في الأسابيع التي تلت في إكمال تقديم البرنامج ومع كل حلقة تنقضي تزداد شهرته وشعبيته وجلبت تلك الشهرة معها الكثير من المشكلات والصدامات بداية مع مدير المحطة الذي كان مستاءً من تجاوز المذيع من وقتٍ لآخر لسياسات البرنامج والخطوط العريضة التي اتفقا عليها وتزايد الشكاوي التي ترد للمحطة بخصوص طريقة تعامله مع بعض المتصلين وتقديمه لهم التفسيرات والحلول لما كانوا يطرحونه على الهواء وبالرغم من أن المدير لم يكن يريد إلغاء البرنامج بسبب نجاحه الكبير إلا أنه هدد بذلك في أكثر من مناسبة على أمل تراجع المذيع عن طريقته بإدارة الحوارات لكن ذلك لم يزده إلا عناداً وتمادياً فيما كان يقوم به حتى حلت ليلة فاصلة في مسيرة البرنامج ومذيعه المتمرد.

سيارة المذيع تتوقف في مواقف مبنى الإذاعة ليلاً قبل انطلاق

حلقة برنامجه الأسبوعي بنصف ساعة تاركاً محركها يعمل ..
يفتح نافذته ويشعل سيجارة ويبدأ بتدخينها بصمت وهو يستمع
للبرنامج الذي يسبق برنامجه على المحطة نفسها ..
تُفتح بوابة المبنى الرئيسة ويخرج منها (أمجد) ويبدأ بالسير نحو سيارة
المذيع ..

عند وصوله لنافذة السيارة المفتوحة يُطل منها مبتسماً ويقول: «ماذا
تفعل هنا؟ .. لِمَ لا تدخل للمبنى وتستعد للبرنامج؟»
(المذيع) نافثاً سحابة من الدخان: «احتجت قليلاً من الوقت مع
نفسي قبل أن نبدأ حلقة هذا الأسبوع .. أنت معد البرنامج وعملك
أهم من عملي وحضورك مبكراً أولى مني ..»
(أمجد) ضاحكاً: شكراً لإطرائك لكن البرنامج بدونك لن يتم
(المذيع) وهو سارح في مدخل مبنى الإذاعة: هل عاودت تلك
الفتاة الاتصال مرة أخرى؟
(أمجد): تقصد التي اتصلت الأسبوع الفائت بخصوص الكتاب
الذي قرأته؟
(المذيع): نعم ..
(أمجد): لا .. ربما تتصل اليوم

(المذيع) : أريد منك الليلة أن تحاول التحدث مع المتصلين قبل تحويلهم عليّ

(أمجد) باستغراب : لماذا؟

(المذيع) : القصص التي نستقبلها على البرنامج لفتت انتباه الشرطة

(أمجد) بقلق : الشرطة؟

(المذيع) : نعم .. تلقيت اتصالاً بالأمس من مدير شرطة المدينة .. يبدو أنه من متابعي البرنامج

(أمجد) : وماذا كان يريد؟

(المذيع) : يريد منا تزويده بأرقام بعض المتصلين

(أمجد) : لَم يريد أرقامهم؟

(المذيع) وهو يطفئ سيجارته في مطفأة السيارة : يقول إن بعض الاتصالات مريبة وأحداثها مشابهة لجرائم وقضايا مفتوحة وقيد التحقيق عندهم ولم تحل بعد وقد يحتاجون للتواصل مع أصحابها

(أمجد) : لو فعلنا وتسرب الخبر فلن يتصل بنا أحد وسنفقد مصداقيتنا

فتح (المذيع) الباب وهم بالترجل من سيارته قائلاً : فقط تحدث معهم قبل أن تنقلهم على الهواء وإذا كانت قصصهم تتعلق بجرائم فلا تحول اتصالاتهم

(أمجد) متراجعاً للوراء لإعطاء المجال للمذيع للخروج من سيارته : أغلبهم يرفض التحدث عن قصته قبل الحديث معك .. لقد حاولت

(المذيع) خلال سيره نحو مدخل مبنى الإذاعة والمعد يسير بجانبه : أخبرهم أنها سياسة الإذاعة الجديدة .. لا نريد مشكلات إضافية فلدينا ما يكفينا .. البرنامج يزداد شهرة والأعين بدأت تحوم حولنا وأغلبها متربصة وتبحث عن زلاتنا

(أمجد) مخرجاً علبة سجائره مشعلاً لفافة : حتى لو تمكنت من ذلك فلا أظن أني أستطيع الحكم على القصة ومدى صلاحيتها للبث وقد أخفق في قراراتي

وقف (المذيع) وأدار نظره نحو (أمجد) وقال : ماذا تقترح إذاً؟ .. أجبني كمعد للبرنامج وليس كصديق

(أمجد) بثقة : استقبل جميع الاتصالات وليحدث ما يحدث .. لا تتنازل عن مبادئك لأجل سطوة السلطة وهيمنة الرقيب .. المهم فقط ألا تتفاعل مع المتصلين سواء بالتصديق أو التكذيب فهذا هو الأمر الذي قد يوقعنا في مصيبة لا تحمد عقباها

(المذيع) : ماذا حدث لحديثك عن عدم التنازل عن المبادئ والخضوع لتحكم الرقيب؟

(أمجد) : يبقى هناك حدود يجب ألا نتجاوزها وأن نكون متعقلين .. هل اتفقنا؟

(المذيع) : هل تظن أني سأنصت لك؟

(المعد) : في الحقيقة لا لكني يجب أن أحاول

(المذيع) يستأنف المسير نحو مبنى الإذاعة باسماً : «كنت أعرف أنك ستقول ذلك ..»

تقدم (أمجد) أمام المذيع ليفتح له باب المدخل ثم قال مبتسماً :

«وأنا أعرف أنك لم تكن ستستجيب لهم لكنك تريد إقحامي معك في المسؤولية ..»

(المذيع) يدخل مبنى الإذاعة ضاحكاً : لن أسجن وحدي!

(أمجد) وهو يدخل خلفه : أرجوك لا تذكر السجن وتخيفني ..

توجه المذيع مع (أمجد) للاستديو المخصص لبرنامجهما وجلس كل منهما على مقعده الخاص ووضعا السماعات في انتظار أن تدق الساعة تمام الثانية عشرة .. عند منتصف الليل ..

(أمجد) خلال انتظارهما حلول وقت البرنامج :

«ألا تلاحظ أن الاتصالات تزداد غرابة يوماً بعد يوم؟ .. هل تعتقد أن بعض المتصلين يلفقون تلك القصص؟»

(المذيع) مشعلاً سيجارة: «لقد تناقشنا في هذا الموضوع أكثر من مرة وإجابتي لم تتغير .. هذا وارد .. لكن جزعهم وهم يروون قصصهم ونبرات أصواتهم خلال استعادة ذكرياتها المؤلمة يصعب تصنعها ..»

(أمجد) وهو يدير بعض المقابس: ربما ..

رفع المعد سبابته في إشارة إلى أنهما انتقلا على الهواء فبدأ المذيع بالحديث قائلاً:

«صباح الخير .. مرحباً بكم في حلقة جديدة من برنامجنا الأسبوعي «هذا ما حدث معي» وقبل أن نبدأ حلقة هذا الأسبوع أحب توجيه شكر خاص لمعد البرنامج الذي بدونه لم يكن لهذا البرنامج وجود ..»

تبسم (أمجد) لهذا الإطراء المفاجئ ووجه نظره للمذيع الذي بادله الابتسام ..

(المذيع) يستأنف كلامه قائلاً: لنبدأ بأول اتصال معنا اليوم .. تفضل عرفنا باسمك ..

- صباح الخير أنا (ولاء) .. وأرغب بالمشاركة

(المذيع): صباح النور .. تفضلي نحن منصتون

(ولاء): القصة حدثت معي في عمرٍ صغير عندما كنا نقيم في منزلنا القديم

(المذيع) : كم كان عمرك وقتها؟

(ولاء) : كنت في السنة الثانية بالمدرسة على ما أظن

(المذيع) : وماذا حدث في تلك الفترة؟

(ولاء) : بالرغم من أن الحي الذي كنا نقيم فيه كان قديماً إلا أنه يضم حديقة جميلة بها الكثير من الألعاب .. كنت أحب الأرجوحة كثيراً وألعب بها كل يوم .. كانت أرجوحة بمقعد خشبي معلق بسلاسل حديدية قوية .. كنت أعشق التأرجح عليها لأنها أعطتني الإحساس بالطيران لكن لم يكن يتسنى لي اللعب بها إلا إذا كنت مع أمي وأبي فلم يكن يُسمح لي بالخروج وحدي ومن شدة تعلقي بتلك الأرجوحة كنت أطل من نافذة غرفتي وأراقبها في الأوقات التي لا أستطيع اللعب بها

(المذيع) : هل كان منزلكم قريباً من الحديقة؟

(ولاء) : نعم فالحديقة كانت تقع وسط حينا تماماً ولحسن حظي منزلنا كان ضمن تلك البيوت المحيطة بها ونافذة غرفتي تُطل عليها مباشرة

(المذيع) : جميل .. وماذا حدث؟ .. هل صدر أمر بإزالة الحديقة؟

(ولاء) : لا .. لكن .. كنت صغيرة في ذلك الوقت ولم أفهم ما رأيته ..

(المذيع) : ماذا رأيتِ؟

(ولاء) : الحديقة كانت تضاء ليلاً بالرغم من أن مرتاديها أقل بكثير من النهار وأغلبهم من الكبار وبعد منتصف الليل تصبح فارغة تماماً .. قبل خلودي للنوم كنت أحب أن أطل من النافذة لإلقاء نظرة أخيرة على الحديقة وتحديداً على أرجوحتي المفضلة .. مواعيد نومي في ذلك العمر لم تتجاوز العاشرة ليلاً لذا لم أنتبه

(المذيع) : لم تنتبهي لماذا؟

(ولاء) : استيقظت إحدى الليالي بسبب العطش وذهبت للمطبخ في الطابق السفلي لشرب الماء وعند عودتي لغرفتي مررت لا شعورياً بالنافذة لأنظر للحديقة .. و .. ورأيتها تتحرك ..

(المذيع) : ما الذي يتحرك؟

(ولاء) : الأرجوحة .. كانت تتحرك وحدها وكأن أحداً يلعب بها ..

(المذيع) : ربما الريح القوية تلك الليلة حركتها

(ولاء) : قد يكون ذلك صحيحاً لكن على أي حال لم أجزع كثيراً في الواقع .. لا أعرف لماذا .. ربما لأني كنت نصف نائمة .. لكن لَم لم تتحرك الأرجوحة المجاورة لها؟

(المذيع) : هل عدتِ للنوم؟

(ولاء) : نعم في الحال لكن عندما استيقظت وذهب للمدرسة بدأت أفكر في الموضوع

(المذيع) : كم كانت الساعة عندما رأيتِ الأرجوحة تتحرك؟

(ولاء) : لا أذكر لكن بالتأكيد أنها تجاوزت منتصف الليل

(المذيع) : قصة غريبة .. لنأخذ اتصالاً آخر

(ولاء) : انتظر القصة لم تنتهِ

(المذيع) : عذراً .. تفضلي أكملي

(ولاء) : انتظرت حتى عطلة نهاية الأسبوع وقررت السهر لأراقب الأرجوحة علها تتحرك مرة أخرى

(المذيع) : وهل تحركت؟

(ولاء) : نعم .. تحركت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل واستمرت بالتأرجح لساعة كاملة قبل أن تتوقف وكان ذلك يوم الخميس وتكرر الأمر بالطريقة نفسها يومي الجمعة والسبت أيضاً .. الوقت نفسه .. المدة نفسها ..

(المذيع) : أشعر بأنكِ قمتِ بشيءٍ آخر غير المراقبة

(ولاء) بصوتٍ متوتر قليلاً : نعم ..

(المذيع) : قررتِ الذهاب للحديقة ليلاً خلال تحرك الأرجوحة .. هل أنا محق؟

(ولاء) : للأسف نعم وأنا نادمة إلى هذا اليوم على قيامي بذلك

(المذيع) : لماذا؟

(ولاء) : خرجت من المنزل ليلة الخميس التالية عندما بدأت الأرجوحة بالتحرك ولم أخبر أحداً بما رأيت وتركت باب المنزل مفتوحاً بشكل جزئي كي أتمكن من العودة .. سرت نحو الحديقة الواقعة أمام منزلنا مباشرة وعيني لا تفارق تلك الأرجوحة المتحركة .. مع اقترابي منها سمعت صرير السلاسل بسبب هدوء المكان ومع ذلك استمررت بالسير نحوها ولم أتوقف حتى توقفت الأرجوحة وكأن من كان يركبها انتبه لي أو رآني .. كانت المسافة بيني وبينها عند توقفي مترين تقريباً

(المذيع) : هل عدتِ بعد أن توقفت الأرجوحة؟

(ولاء) : لا .. قمت بشيء أحمق .. أكملت المسير وركبتها وأخذت أتأرجح بهدوء

(المذيع) : تصرف غريب ..

(ولاء) : أعرف لكني كنت صغيرة ولم أفكر في العواقب

(المذيع): وماذا كانت العاقبة؟

(ولاء): صرخ شيء بقوة في أذني قائلاً: «هذا ليس دورك!!» .. سقطت على الأرض مفزوعة وبدأت بالجري نحو المنزل وعند وصولي وجدت أن الباب مغلق فضربت الجرس بجنون وأنا أبكي إلى أن فتح لي أبي وما أن فُتح الباب حتى انطلقت مسرعة لغرفتي ودخلت فراشي وأنا أبكي كالمجنونة

(المذيع): وبالطبع لم يصدق أحد قصتكِ وحجتكِ للخروج

(ولاء): لم أخبرهم بما حدث بالرغم من تكرار سؤال أبويّ وإصرارهما على معرفة الحقيقة وفي اليوم التالي أخذاني لطبيب قال بأني قد تعرضت لصدمة جراء حالة من المشي أثناء النوم فتحول سخطهما لشفقة وقلقٍ علي

(المذيع): آه نعم العلم المنطقي .. هو خير ملجأ عندما لا نريد التصديق

(ولاء): ربما هذا ما حدث بالفعل .. ربما كنت أحلم وأسير وأنا نائمة

(المذيع): تحلمين لثلاثة أيام؟ .. على أي حال شكراً لاتصالك ومشاركتنا قصتك .. لنأخذ الاتصال الثاني معنا الليلة

عند وصول المذيع للاتصال الأخير في الساعة الأولى مع متصل اسمه

(سامي) حدث أمر خلال الحوار حول مسار الليلة وخلق جواً من التوتر مع (أمجد) بسبب طريقته المعتادة في التعامل مع الاتصالات ..

(سامي) : أنا لست مجنوناً وأعرف ما رأيت

(المذيع) : لم يقل أحد بأنك مجنون لكن أحياناً قد نفسر الأمور على غير حقيقتها

(سامي) : وما تفسيرك أنت؟

(المذيع) : أنا؟

(سامي) : نعم أنت .. يهمني رأيك

وجه المذيع نظره نحو (أمجد) المحتقن بسبب مسار الحوار ثم قال للمتصل : «أنا مؤمن بأنك رأيت شيئاً خارقاً للطبيعة .. كينونة لا تنتمي لعالمنا أو بعدنا وهذا الكائن علق بطريقة ما في ذلك العداد الكهربائي وأنت قمت بتحريره من مشكلته دون قصد عندما لمسته .. لكن هذا مجرد رأيي ..»

(سامي) : شكراً .. أنا مؤمن بما قلته أيضاً

أشار (أمجد) بيده بوجهٍ متجهم للمذيع بأنه سينتقل لفاصل إعلاني ..

(المذيع) : شكراً (سامي) على مشاركتك .. ننتقل لفاصل سريع ونعود لكم ..

ما أن انتقل البرنامج لفقرة الإعلانات التجارية حتى خلع (أمجد) سماعاته ونهض من مقعده وتوجه للمذيع الذي خلع هو الآخر سماعاته وهم بإشعال سيجارة وقال له بغضب:

«ماذا تظن نفسك فاعلاً؟! .. ألم نتحدث في هذا الأمر أكثر من مرة؟»

(المذيع) ينفث سحابة من الدخان دون أن ينظر في أعين (أمجد) ويقول ببرود: أي موضوع؟

(أمجد) بعصبية: لا تتغابَ! .. لقد تحدثنا أكثر من مرة بأنك مجرد مذيع يستقبل المكالمات وآراؤك الشخصية تحتفظ بها لنفسك!

(المذيع) يأخذ نفساً آخر من سيجارته: لا يمكنني التظاهر بعدم تصديق هؤلاء الناس .. خاصة أنا .. وهذه ليست أول مرة فلمَ أنت غاضب الآن؟

(أمجد) بنبرة أقل حدة: أنا أعرفك جيداً وأحترمك وأحترم ما تحاول القيام به .. غيرك كان سيضحك على هؤلاء الناس ويسخر منهم أو يتهمهم بالجنون لكن لا تجعل تعاطفك معهم بسبب ما مروا به ينسيك أنك تحمل مسؤولية

(المذيع): أي مسؤولية؟

انقطع الحوار بفتح باب الاستديو ودخول إحدى موظفات المحطة وقولها: «لديك اتصال عاجل يا سيد (أمجد) ..»

(أمجد) : أنا الآن أعمل ولا أستطيع أخذ أي اتصال

(المذيع) يبتسم ويطفئ سيجارته : ربما يكون اتصالاً مهماً ..

(أمجد) متجاهلاً تعليق المذيع وموجهاً كلامه للموظفة : من المتصل؟

(المساعدة) وهي ترفع أحد حاجبيها : أعتقد أنه من جهة أمنية ..

(أمجد) بسخط للمذيع وهو يهم بالخروج : هل أنت مسرور الآن؟!

(المذيع) ضاحكاً على توتر المعد : ماذا عن البرنامج؟!

(أمجد) للموظفة : خذي مكاني حتى أعود!

خرج (أمجد) وأغلق باب الاستديو خلفه بقوة وجلست الموظفة مكانه فقال لها المذيع وهو يلبس سماعاته باسماً : هل أنتِ جاهزة؟

لبست الفتاة المرتبكة من الموقف السماعات ثم رفعت إبهامها في إشارة منها إلى أنهما عادا على الهواء ..

(المذيع) : عدنا لكم مع اتصال آخر .. تفضل ..

- صباح الخير

(المذيع) مبتسماً : صباح النور .. تفضل عرفنا باسمك وأخبرنا بقصتك بسرعة ما دمنا لا نزال على الهواء ..

تبسمت الموظفة لتعليق المذيع وهو بدوره بادلها الابتسام ..

- أنا الدكتور (وحيد) أعمل في تخصص أمراض الدم وأرغب في المشاركة بعد إذنك

(المذيع) : أهلاً دكتور .. من النادر أن يتصل بنا أحد من المجال الطبي

(د. وحيد) : أعرف قصدك ولا يمكن أن تلومنا

(المذيع) : لا أبداً الكل له الحق في الإيمان بما يشاء لكن بما أنك اتصلت علينا اليوم فأعتقد أن لديك مشاركة مميزة

(د. وحيد) : هي مجرد ملاحظة لاحظتها وأنا أمارس عملي كطبيب ومن باب الأمانة العلمية أريد ذكرها

(المذيع) : تفضل كلنا آذان صاغية ..

أدارت الفتاة البرنامج بشكل جيد بالرغم من بعض المنغصات المفاجئة بين الحين والآخر سواء من المذيع أو المتصلين الغريبين المشاركين ومع ذلك تماسكت حتى وصلت لنهاية الساعة الثانية لكنها نسيت أن تعطي المذيع إشارة التنبيه بقرب الفاصل الإعلاني وقد كان في بداية حديثه مع متصلة جديدة والتي استهلت مكالمتها بقول: «أحب أن ألتهم نفسي ..»

(المذيع) : عفواً؟

- أحب أكل لحمي ..

(المذيع) : لنتعرف عليكِ أولاً

- أنا (يسرى) .. وليس لدي قصة ..

(المذيع) : لَمَ اتصلتِ بالبرنامج إذاً؟

(يسرى) : أحببت الحديث مع أحدٍ فقط

الموظفة تشير للمذيع عما إذا كان يرغب منها بقطع الاتصال وهو يشير لها بالنفي ..

(المذيع) : تفضلي نحن منصتون لكِ ..

(يسرى) : بدأت بقضم أظافري وشيئاً فشيئاً انتقلت لأكل الجلد الجاف حول أناملي .. كنت أستمتع بذلك كثيراً .. جرحت نفسي مرة وأنا أقضم جلدة متدلية من خنصري .. كانت تلك أول مرة أتذوق فيها الدم

(المذيع) : وهل أحببتِ مذاقه؟

(يسرى) : لا بل عشقته وأصبحت أتعمد جرح نفسي عندما أشتاق لتلك النكهة الغنية

(المذيع) : صفي لنا ذلك المذاق ..

الموظفة تنظر للمذيع بتعجب لكنها لا تعلق ..

(يسرى) : هل تذوقت صدأ الحديد من قبل؟ .. يشبهه نوعاً ما

(المذيع) : وهل تطور الأمر لأشياء أخرى؟

(يسرى) : نعم لكن لا أظن أنه من اللائق أن أتحدث بذلك على الهواء ..

(المذيع) : هل ترغبين بإضافة شيء قبل انتقالنا لاتصال آخر؟

(يسرى) : لا .. شكراً

(المذيع) : لننتقـ..

انقطع حديثه عندما شاهد (أمجد) يدخل الغرفة وقد كان بادياً على وجهه الضيق وأشار للموظفة بالنهوض ليأخذ مكانها .. فخلعت بدورها السماعات وخرجت من المكان بهدوء ..

(المذيع) ونظره موجه لصديقه المُعد : «سوف ننتقل الآن لفاصل إعلاني سريع وسنعود لكم ..»

خلع المذيع سماعاته وصمت مراقباً (أمجد) وهو ينقل البرنامج للفاصل بوجهٍ عابس ..

(المذيع) : هل ستخبرني بما حدث؟

(أمجد) والضيق على وجهه : ماذا تقصد؟

(المذيع) : هيا أخبرني .. لا تقلق لن أستاء ..

(أمجد) : حلقة الليلة ستكون الأخيرة

(المذيع) بتعجب : لماذا؟

(أمجد) : يبدو أنك أغضبت أحداً مهماً وقد أمر بإيقاف البرنامج ولقد أمضيت نصف الساعة الأخيرة أتحدث مع مدير المحطة الساخط والذي تم إيقاظه من نومه لإيصال الخبر له على عجالة وكنت أحاول إقناعه أن ننهي هذه الحلقة على الأقل

أخرج (المذيع) علبة سجائره وطرق قاعها مبتسماً ثم قال : بصراحة أنا مستغرب أننا بقينا كل هذه الأشهر على الهواء ..

(أمجد) : ماذا تقصد؟

(المذيع) : هل تظن حقاً أن القصص التي يرويها المتصلون كذب ومن خيالهم؟ .. هذه القصص معظمها حقيقية والكثير لا يريدون سماعها وتناقلها بشكل علني

(أمجد) بتهكم : لا تقل بأن المسألة مؤامرة كبرى تحاك ضدك .. البرامج يتم إيقافها دائماً ولأسباب أقل وأتفه

(المذيع) يشعل السيجارة ويأخذ منها نفساً : وما السبب الذي قُدم إليك كي يتم إيقاف البرنامج؟

(أمجد) ووجهه يتغير : لم يكن هناك سبب واضح .. كان أمراً مباشراً بالإيقاف

(المذيع) ينفخ سحابة دخانية في الهواء : أمراً مِمَّن؟

(أمجد) وهو يلبس سماعاته : أمراً من شخص لا تريد العبث معه.. هيا لقد انتهى الفاصل الإعلاني .. لننهِ الساعة الثالثة والأخيرة.. حرفيّاً

(المذيع) يلبس سماعته وعيناه على صاحبه والسيجارة تتدلى من فمه : «مرحباً بكم مرة أخرى .. معنا اتصال جديد .. تفضل..»

- مساء الخير أو صباح الخير .. أريد التحدث دون ذكر اسمي بعد إذنك

(المذيع) نافخاً بعض الدخان : لا يهم تفضل ..

لم يمضِ وقت طويل قبل أن ينشب خلاف آخر بين المذيع و(أمجد) بعد اتصال من فتاة اسمها (خلود) ..

- صباح الخير .. كيف حالك أستاذ؟

(المذيع) : الحمد لله بخير .. عرفينا بنفسكِ

- أنا (خلود) ..

(المذيع) : تشرفنا يا (خلود) .. تفضلي كلنا آذان صاغية

(خلود) : قبل عدة سنوات أصبت بمرض غير شائع .. مرض منعني من الرمش أو حتى إغماض عينيّ .. نوع من التشنج لأجفاني وحاول الأطباء كثيراً علاجي حتى بالجراحة لكن دون فائدة فبقيت أعيش على القطرات والمراهم كي لا تجف عيناي وأصاب بالعمى ومعظم الوقت كنت أبذل كل ما في استطاعتي كي لا أجهد عينيّ ويتفاقم الأمر

(المذيع) : أسأل الله لكِ الشفاء العاجل ..

(خلود) : شكراً .. مع مرور الوقت تأقلمت وكنت أُصبر نفسي دائماً بالمقارنة مع من فقدوا بصرهم وأرى أني بحالٍ أفضل

(المذيع) : فقدان البصر ليس بالأمر السيئ عندما تملك البصيرة ..

(خلود) : معك حق .. النوم إحدى المشكلات العصبية التي كنت أواجهها كل ليلة فقد كنت أضع مرهماً خاصّاً للنوم بالإضافة لتغطية عينيّ بغطاء أسود خاص كي لا أنزعج من الإضاءة .. اعتدت على ذلك مثلما اعتدت على أشياءَ كثيرة لكنني لم أعتد على تبعاته

(المذيع) وقد بدا صوته أكثر تأثراً : أكملي ..

(خلود) : بدأت أرى أشياء غريبة .. أجساماً سوداء تخطف أمامي من وقتٍ لآخر .. الطبيب يقول بأنه أمر طبيعي لأن عقلي لم يعتد على مرضي بعد وذلك سبب لي بعض الهلوسات لكني لم أصدقه لأنه من الواضح أنه كان يخدعني .. ما كنت أراه لم يكن هلوسات .. كانت أجساماً تجري وتقفز أمامي وبعضها كان له رأس وأطراف .. لا أعرف كيف أشرح لك

(المذيع) : أعرف ما تعنين .. هذه الأجسام ..

رفع (أمجد) يده وأشار للمذيع محذراً إياه من التعليق على الموضوع..

(المذيع) بتضجر مما فعله (أمجد) : .. هذه الأجسام .. هل ما زلتِ ترينها؟

(خلود) : أنا أراها الآن وأنا أتحدث معك .. هل تعرف ما هذه الأجسام يا أستاذ؟

(المذيع) وهو ينظر لـ (أمجد) المحدق به بحدة : لا .. لا فكرة لدي..

(خلود) : شكراً لسماعك قصتي ..

(المذيع) بنبرة ضيق واستياء وهو يخلع سماعاته : شكراً لمشاركتكِ.. سننتقل لفاصل إعلاني ..

تفاجأ (أمجد) من إعلان المذيع الانتقال لفقرة إعلانية لأنه لم يعطه الإشارة بذلك فارتبك وفصل النقل الهوائي مؤقتاً دون وضع فاصل إعلاني ثم نهض من مقعده وتوجه لصاحبه الذي وقف في أحد أركان الاستديو يدخن سيجارة أشعلها للتو وقال له بعصبية : «ما بك؟! .. لمَ انتقلت للإعلان دون أن أعطيك الإشارة؟»

(المذيع) بغضب وسخط : أنا لست دمية! .. ونبرة حديثك الجديدة هذه معي لن تثمر عن شيء!

(أمجد) بهدوء : أعرف لكني أريد حمايتك من الوقوع في المزيد من المشكلات

(المذيع) بعصبية : عن أي مشكلات تتحدث؟! البرنامج أوقف! ما الذي سيحدث أكثر من ذلك؟!

(أمجد) واضعاً كفه على كتف المذيع : أنت تعرف أي نوع من المشكلات يمكن الوقوع فيها لو تحدثت بحرية .. صدقني إيقاف البرنامج ليس أسوأ ما يمكن أن يحدث لك

(المذيع) وهو يزفر : أستطيع مساعدة هؤلاء الناس .. لمَ لا يُسمح لي بذلك؟!

(أمجد) : لن نخوض هذا النقاش مجدداً .. هيا لنعد وننهِ هذه الليلة بسلام .. أرجوك

(المذيع) يرمي سيجارته على الأرض ويدوس عليها بقدمه بحنق: جهل أحمق!

سار (أمجد) نحو مقعده ورفع سماعاته قائلاً: هيا لقد أوقفنا البث بدون سبب

عاد (المذيع) لمكانه ولبس سماعاته منتظراً الإشارة حتى تلقاها..

(المذيع): عدنا لكم بعد انقطاع بسبب خلل فني.. لنأخذ اتصالاً آخر.. تفضل

كنت أظن أن البرنامج توقف..

(المذيع): لا مطلقاً واجهنا خلل بسيط.. عرفينا بنفسك..

- أنا (بيسان).. وأريد التحدث عن تجربتي التي مررت بها

(المذيع): عفواً.. قبل أن تسردي لنا حكايتك هل لي بسؤالٍ شخصي بعد إذنك؟

(بيسان): تفضل..

(المذيع): من سماكِ بهذا الاسم؟

(بيسان) باستغراب: أمي على ما أعتقد.. لِمَ تسأل؟

(المذيع): لا شيء.. تفضلي كلنا منصتون لكِ

(بيسان) : منذ صغري وأنا أحب الحديث مع الجدار ..

(المذيع) : نعم؟

أكمل المذيع تلقي الاتصالات فيما تبقى من الساعة الثالثة وكان من ضمنها اتصال هزه نفسيّاً من متصلة اسمها (بدرية) وهذا لم يحدث له من قبل لكنه استجمع نفسه بعدها وأكمل البرنامج حتى وصلوا للاتصال الأخير الذي سبقه فاصل إعلاني سريع تحدث فيه مع (أمجد) الذي قال وهو يشعل له سيجارته : «هل فكرت كيف ستختم البرنامج؟»

(المذيع) ساحباً نفساً طويلاً وعميقاً من لفافة التبغ الأخيرة : لا يهم كيف سأختم البرنامج ..

(أمجد) : ما المهم إذاً؟

(المذيع) : المهم ألا ينتهي بتوقف البث ..

(أمجد) بتوجس : ماذا تقصد؟

عاد المذيع لمكانه وأشار بصمت لـ (أمجد) بأن يعيد البث المباشر دون أن يجيب على سؤاله ..

(أمجد) يشير له بعودة البرنامج على الهواء بعد ما عاد مكانه والقلق بادٍ على محياه ..

(المذيع) : عدنا لكم مع الاتصال الأخير لهذه الليلة لكن ابقوا معنا بعده لأننا في أسرة البرنامج لدينا إعلان أخير قبل أن نختم الليلة .. متصلنا التالي .. تفضل ..

- سعدني أن أكون المشاركة الأخيرة لهذه الليلة .. أنا (نوال) ومن أشد المعجبين بالبرنامج

(المذيع) : ختام البرنامج مسك بإذن الله .. تفضلي ..

(نوال) ضاحكة : أشعر بتوتر!

(المذيع) : لا بأس خذي مهلك في السرد

(نوال) وهي تزفر : أنا أحب السباحة .. في البحر في المسابح المغلقة في أي مكان به ماء تجدني متحفزة للقفز والعوم مباشرة

(المذيع) : هواية جميلة ..

(نوال) : من النادر جدّاً أن تكون الظروف ملائمة لأعوم وحدي بحرية فغالباً أكون مع أسرتي أو مع صديقاتي ولم يتسنَّ لي ممارسة هوايتي المفضلة بالعوم وحدي

(المذيع) : ولِمَ تريدين العوم وحدك؟

(نوال) : جربته مرة ووقعت في غرامه .. ينتابني شعور جميل عندما

أصبح مع الماء وحدي .. شعور كالحلم .. عزلة بنفسي وبأفكاري .. تجربة فريدة أحببتها جدّاً

(المذيع) : ومتى كانت آخر مرة خضتِها؟

(نوال) : هي نفسها المرة التي لم أعد بعدها للعوم مجدداً

(المذيع) : لماذا؟ .. ما الذي حدث؟

بعد ما انتهت المتصلة الأخيرة من رواية قصتها قالت :

«هذه أول مرة أروي ما حدث لأحد ولحسن حظي أن وجهي لم يصب بأي كدمات ولم يتعرض للأذى كبقية جسدي الذي تمكنت من تغطيته حتى تماثلت للشفاء ..»

(المذيع) : الحمد لله على سلامتكِ

(نوال) : هل لي بسؤال؟

(المذيع) : تفضلي ..

(نوال) : ما الذي حدث معي ..؟

أنزل المذيع رأسه ولم يجب وقد لاحظ (أمجد) ذلك الانكسار عليه وشعر بالحزن والأسى لما آلت إليه الأمور ..

(نوال) مستأنفة حديثها : لدي إحساس قوي بأنك تعرف

بقي المذيع على حاله ولم تكن له ردة فعل ..

(نوال) : ألن تجيبني ..؟

رفع المذيع رأسه وقال : شكراً لاتصالك يا (نوال) ..

(نوال) : العفو .. شكراً لإنصاتك .. كنت أظنك تهتم ..

أغلقت المتصلة الأخيرة لبرنامج «هذا ما حدث معي» الخط وأشار (أمجد) لصاحبه بالبدء في كلمته الختامية قبيل إنهاء الحلقة الأخيرة لكنه كان سارحاً يفكر في عبارة (نوال) التي قالتها قبل أن تغلق الخط مما اضطره لأن يلقي قلمه تجاهه فتنبه المذيع له وانقطع سرحانه فتحدث قائلاً :

«أعزائي المستمعين فاصل سريع وسنعود مع كلمة أخيرة للبرنامج كونوا معنا ..»

خرج (أمجد) لفاصل إعلاني وهو مستغرب مما قام به المذيع وخلع سماعاته وسار نحوه قائلاً : «ماذا تفعل؟ .. نحن لم نتفق على أي فاصل إعلاني قبل كلمة الختام ..»

(المذيع) يخلع سماعاته ويقول لصاحبه : «أريد خدمة أخيرة منك .. كصديق وليس كمعد للبرنامج ..»

(أمجد) وهو مرتاب : ماذا تريد؟

(المذيع) : أريد أن أنهي البرنامج وحدي ..

(أمجد) : ماذا تقصد وحدك؟

(المذيع) مبتسماً بحزن : أريد أن أكون وحدي في الغرفة .. بدونك .. أريد الحديث مع جمهوري لآخر مرة بدون معدٍّ يحدق بي

(أمجد) بتوجس : ماذا تنوي أن تفعل؟

(المذيع) : لا نية لي للقيام بشيء .. إنه مجرد طلب أخير من صديقي الوحيد في هذا المكان وإذا لم تنفذه لي فسأتفهم ذلك ..

صمت (أمجد) لثوانٍ بعد ما أطلق زفرة وقال : «حسناً لكن لا تطل في الحديث فالبرنامج الذي يلينا على وشك البدء ..»

تبسم (المذيع) وقال : «لا تقلق مجرد بضع كلماتٍ مقتضبة ..»

هز (أمجد) رأسه ونقل البرنامج على الهواء قبل خروجه وإغلاق الباب خلفه ..

نهض المذيع وسار نحو الباب وأقفله بالمفتاح ثم سحب الكرسي الخاص بالمعد وحشره في مقبضه وعاد بعدها ووضع سماعاته وأشعل سيجارة وبدأ بالتحدث مع جمهوره للمرة الأخيرة :

«مرحباً بكم مرة أخرى .. برنامجنا الليلة سوف يسدل الستارة

على آخر حلقة من حلقاته الأسبوعية وقد يتساءل البعض عن السبب بالرغم من نجاحه وجماهيريته المتزايدة .. لكن .. منذ متى ونحن نجد تفسيراً لأي شيء .. تكذيب الحقيقة لن يغيرها ورؤيتها من عدمها ليست العامل الحاسم في تصديقها .. نحن اليوم نعيش في عالمٍ يعتمد على الحقائق الملموسة فقط لذا ركن الكثير قلوبهم وأحاسيسهم على قارعة التجاهل وركبوا فلك العقلانية المطلقة وأبحروا في بحر الماديات الثابتة ظناً منهم أنها ستصل بهم لساحل الحقيقة .. لذا حاولت من خلال هذا البرنامج تسليط بعض الضوء على شيء يسير من الأحداث التي يتعرض لها العديد منا بشكل يومي ومتكرر دون التدخل أو التعليق لكن ومع ذلك ما زال هناك من يريد تكميم أفواهنا حتى وإن كان ما نقوله يعتبر من وجهة نظرهم أكاذيب أو هلوسات أمراض نفسية .. أعتذر لكل متصل لم أتمكن من مساعدته بالرغم من قدرتي على ذلك .. كنت أريد حماية البرنامج ليستمر لكن فيما يبدو أنه حتى الكلام ممنوع ولو من باب النقاش..

سأحاول في اللحظات الأخيرة أن أكفر عن بعض تقصيري السابق في حقكم ولن أخشى العاقبة لأني اكتشفت اليوم أنه لا يوجد شيء أسوأ من التنازل عن مبدأ عشت به سنين طويلة فهذا

لا يستحق تأنيب الضمير الذي سيلاحقك لتجاهل مساعدة الناس أو على أقل تقدير التخفيف عنهم ..»

«عزيزي (سامي) المتصل الذي اتصل سابقاً وقال بأنه عامل بشركة الكهرباء إذا كنت لا تزال تسمعني فالشيء الذي اعتدى عليك وخرج من عداد الكهرباء يسمى بـ (المزغ) وهو من أنواع الجن ولو أنه رآك كان سيقتلك بلا شك. لقد علق في التيار الكهربائي بصندوق العداد وأنت عن غير قصد حررته والحمد لله على سلامتك.

أما (د. وحيد) فالمريض الذي لم تستطيعوا تخديره ممسوس وعلى الأرجح أنه مسحور بسحرٍ مأكول من أحد أقربائه .. أعرف أنك لن تقبل هذا الكلام لكنها الحقيقة ..»

في تلك اللحظة بدأ مقبض باب الاستديو يهتز بقوة من شخصٍ يحاول الدخول من الخارج تبعه طرقات قوية وعنيفة وصرخات تطلب من المذيع فتح الباب ..

أشعل المذيع سيجارة أخرى بعد ما رمى بعقب الأولى وسحب منها بعض الدخان ونفثه قائلاً :

«لا أملك الكثير من الوقت لكني سأحاول الإكمال قدر

المستطاع .. بالنسبة للمتصل الذي حذره الرجل الغريب ليلاً خلال خروجه للمشي ولم يستطع التعرف عليه أقول له: انظر جيداً في المرآة وستعرف من الذي لاحقك وحذرك من ركوب الطائرة .. آنسة (شهد) اسمعيني جيداً أبوكِ مديون لذا يجب أن تبحثي مع إخوتكِ عمن يطلب منه مالاً من الذين كان يتعامل معهم في تجارته وإذا لم تجدوا أحدًا فتصدقوا عنه أو أقيموا له صدقة جارية .. وهناك احتمال آخر وهو أنه متزوج دون علمكم ولديه أطفال لهم نصيب في الميراث .. ابحثوا عنهم ..»

الطرق يشتد على الباب والأصوات في الخارج تزداد عدداً وقوة ونبرات التهديد والوعيد من رجال الأمن ومدير المحطة الذي حضر تحتد ..

(المذيع) مستأنفاً حديثه دون اكتراث:

«آنسة (خلود) علاج عينيك بسيط ولا يتطلب الكثير .. هو خارج عن المألوف قليلاً لكن سيفيدك بإذن الله .. فقط قومي بـ..»

كُسر باب الاستديو ودخل مجموعة من الرجال مع مدير المحطة المستشيط غضباً وأشار بسبابته للمذيع وقال بصوتٍ مرتفع:

«أمسكوه!»

تبسم المذيع وعيناه على الرجال المتقدمين نحوه لإلقاء القبض عليه وقال :

«كنتم مع برنامج «هذا ما حدث معي» .. تصبحون على خير ..»

القابض على القضبان



بعد ما قطع البث عن الحلقة الأخيرة للبرنامج سيق المذيع وسلم للشرطة ووجهت له مجموعة من الاتهامات التي لم تكن لتتسبب له بالكثير من الضرر ولن يتجاوز عقابها السجن لعدة أسابيع أو أشهر على الأكثر مع دفع غرامة مالية كما أخبره المحامي الموكل بالدفاع عنه لكنه فوجئ بإصدار المحكمة حكماً بسجنه مدة خمس عشرة سنة وسط ذهول من تابعوا القضية باهتمام من الإعلام والعامة والذين عزوا وبرروا ذلك الحكم المشدد من القاضي بسبب رغبته في إرسال رسالة قوية لمن سماهم مروجي الخرافات ومستغلي ضعف وجهل الناس لكن البعض شكك بنزاهة القضاء وأن هناك أيادي خارجية

ساهمت وحرصت على صدور مثل هذا الحكم القاسي.

بعد أن قضى المذيع بضع سنوات من محكوميته لم يعد أحد يتحدث عنه أو عن قضيته المثيرة للجدل مثلما حدث في السنة الأولى فقد زال الوهج الإعلامي عنها وطواها النسيان وهو قابع في السجن المظلم خلف القضبان الباردة.

بالرغم من قساوة حياة السجن إلا أن المذيع تكيف معها بشكل سريع وكون بعض الصداقات والعداءات كذلك مع المساجين والحراس على السواء ومكنه ذكاؤه من خلق بيئة صالحة له للاستمرار والبقاء حتى تنقضي تلك السنون الطوال التي لا تزال أمامه بعد ما فقد الأمل بالخروج عندما رُفض استئنافه للحكم عدة مرات.

صداقات المذيع داخل السجن المعتم لم تكن قوية ووطيدة سوى مع أحد الحراس.. حارس ضخم وقوي يهابه جميع المساجين لأن تعامله معهم كان صارماً جدّاً ولم يكن يقدم أي تنازلات أو استثناءات لأحد عدا المذيع واهتم لأمره كثيراً ووفر له الحماية والعديد من المزايا التي حرم منها بقية المساجين لامتنانه الشديد مقابل خدمة قدمها له في أيامه الأولى التي دخل فيها السجن.

الشمس تسطع على سطح الساحة الواسعة للسجن الكبير ذي الأسوار العالية..

مجموعة من المساجين منتشرين ليقضوا ساعة فسحتهم اليومية ..

في الطرف الآخر من ساحة السجن رجل مسند ظهره للحائط الخرساني ..

دخان سيجارته يتصاعد وهو يتأمل زملاءه ..

يتمتم بكلماتٍ خلال تدخينه وسرحانه ..

يقترب منه الحارس الضخم ويقف بجانبه بصمت يشاركه النظر ..

تحدث الحارس الضخم دون أن يلتفت إليه قائلاً : «لَمَ تتكلم مع نفسك دائماً أيها المذيع؟»

(المذيع) : هل سمعت عن «اضطراب تبدد الشخصية» من قبل يا (خليفة)؟

(خليفة) : لا .. هل تعاني منه؟.. هل هذا سبب حديثك الدائم مع نفسك؟

(المذيع) : أطباء النفس حفنة من المخادعين .. أدخلوني في متاهات أكثر ضياعًا من المرض نفسه .. هو وحده فقط من تمكن من علاجي .. وتعلمت منه علاج غيري ..

(خليفة) : عمن تتحدث؟

أخذ المذيع نفساً عميقاً من سيجارته وقال : كنت تلميذه كما كان يقول ..

(خليفة) : عدت للهرطقة مرة أخرى كعادتك

(المذيع) : وما الذي يجبرك على البقاء بجانبي والاستماع لهرطقاتي كما تقول؟

(خليفة) وهو يلتقط السيجارة من بين أصبعي المذيع ويأخذ نفساً منها : «لقد أنقذت حياة ابنتي وأنا مدين لك ..»

نداء بمكبر صوت مزعج يطلب من نزلاء السجن العودة لزنازينهم ..

يرمي الحارس الضخم السيجارة ويدعسها بقدمه قائلاً : هيا .. لقد حان وقت العودة

(المذيع) : أنا لم أنتهِ من التدخين بعد

(خليفة) : يمكنك التدخين في زنزانتك وسوف أتغافل عنك كالمعتاد

بدأ المذيع بالتحرك وسار خلف المساجين المتوجهين لباب دخول العنابر..

تشابهت الأيام في مرورها .. وأصبحت لا تفرُق عن الأخرى ..

لكن أحدها اختلف .. لم يكن كالبقية ..

تحدث الحارس الضخم مع المذيع بينما كان يدخن سيجارته كالمعتاد في الساحة خلال مراقبته للمساجين وقال له : «كيف حالك اليوم؟»

(المذيع) نافخاً بعض الدخان من أنفه : بخير.. هل من جديد؟

(خليفة) : لا يستجد شيء في هذا المكان إلا المصائب

يكمل المذيع تدخينه مبتسماً لدقائق ثم يقول : هل من الممكن أن تتركوني وحدي بدون رفيق في الزنزانة بعد ما أطلق سراح زميلي السابق (كهرب)؟

(خليفة) وهو يأخذ السيجارة من يد المذيع : تعرف أن هذا نخالف للقوانين .. لا أستطيع مساعدتك في هذا الأمر

(المذيع): لا بأس.. من هو زميلي الجديد؟

(خليفة) نافخاً سحابة من الدخان : القرار عند مأمور السجن لكننا سنعرف بنهاية اليوم

(المذيع) مستعيدًا سيجارته من يد الحارس : المهم ألا يشخر أو يصرخ خلال نومه مثل (كهرب)

(خليفة) يسعل ضاحكاً : لا أضمن لك ذلك!

انتبه المذيع خلال سرحانه في المساجين المتجولين في الباحة لسجين لم يرَه من قبل فقال للحارس وهو يشير إليه بيده الحاملة للسيجارة : من هذا؟

(خليفة): أحد المساجين الجدد .. وصل اليوم مع الدفعة الصباحية

(المذيع) آخذًا نفسًا من سيجارته: ما تهمته؟

(خليفة): قتل مجموعة من الأطفال إن لم تخني الذاكرة

(المذيع): جريمة بشعة .. هيئته لا تدل على أنه يمكنه القيام بأمر كهذا

(خليفة) محدقاً بالشخص الذي تحدثا عنه: إن كنت تعلمت شيئاً من هذا المكان الكئيب فهو أن المظهر الخارجي لا يدل أبداً على ما تبطنه القلوب وتخفيه العقول

(المذيع): أرض المَعاتيهِ أدرى بمجانينها ..

(خليفة) مغيراً محور الحديث: بالمناسبة.. كنت ألقي نظرة على قوائم الزوار اليوم ورأيت أن اسمك مدون عليها

(المذيع) باستغراب: ماذا؟.. هل تقصد أن هناك من يريد زيارتي؟

(خليفة): نعم ..

(المذيع) بتعجب: أنا لم أتلقَّ زيارة واحدة منذ دخولي هنا.. فقط أعز أصدقائي (جمال) حاول زيارتي عدة مرات لكني كنت أرفض لقائه

(خليفة): لماذا رفضت مقابلته؟

(المذيع): لم أكن أريد أن يراني أحد وأنا بهذه الحالة

(خليفة): ربما يكون هذا الزائر أحد أقربائك

(المذيع) رامياً عقب السيجارة تحت قدمه : لا أحد من أقربائي الأحياء تربطني به علاقة قوية لتكبد عناء زيارتي في السجن .. هل أستطيع رفض مقابلته؟

(خليفة) : هذا من حقك كما فعلت مع صاحبك لكن لا أنصحك بذلك

(المذيع) ملتفتاً نحوه بوجهٍ متسائل : لَمَ؟

(خليفة) وهو يراقب المساجين : الزيارة تبدو مهمة لأن مكان اللقاء بينك وبينه محدد في مكتب مأمور السجن وليس غرف الزيارة المعتادة

(المذيع) : وماذا يعني ذلك؟

(خليفة) : إذا لم يكن أحد أقاربك فلعل هناك تطورًا في قضيتك وهذا الزائر من جهة رسمية ويريد نقل الخبر إليك شخصيًا

صمت المذيع وأشعل سيجارة أخرى وبدأ بتدخينها سارحاً في الأرض تحت أقدامه ..

(خليفة) : قابله .. لن تخسر شيئًا..

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : متى موعد هذه الزيارة؟

(خليفة) : بعد انتهاء فترة التجول في الباحة وعودة الجميع لزنازينهم .. وقتها سوف آخذك لمكتب المأمور

(المذيع) بنبرة ساخرة: لدينا كل الوقت في الدنيا .. فليس لدي شيء أقوم به

(خليفة): بالرغم من أنك أمضيت في السجن مدة طويلة إلا أن علاقتك مع بقية المساجين لا تزال محدودة وسطحية جداً .. لِمَ يا ترى؟

(المذيع): الإنسان يخاف من القناع الضاحك أكثر من الوجه العابس أو الغاضب لأنه يجهل ما يقبع خلف ذلك القناع .. لم أثق بالبشر من قبل وهذا السجن ليس المكان المناسب لأغير هذه الفكرة والمبدأ

(خليفة): ألم تشتقْ لحريتك؟

(المذيع): الحرية الحقيقية تكفل لك حق اختيار أن تبقى سجينًا ..

(خليفة): تتحدث وكأنك تستطيع الخروج من هنا في لحظة

رمى المذيع السيجارة ثم قال: أنا أخرج وأعود كل يوم ..

(خليفة): أقنع نفسك بما تريد لكنك سجين هنا؟

(المذيع): جسدي هو المقوض أما عقلي فحر وروحي محررة ..

(خليفة): أيهما تفضل؟ .. أن تعيش وحيداً أم تموت وحدك ..؟

أخرج المذيع سيجارة أخرى وأشعلها قائلاً: أن أعيش لنفسي وأموت لغيري ..

(خليفة) : هل تزوجت من قبل؟

(المذيع) : ولَم هذا السؤال الغريب؟

(خليفة) : لا أعرف .. أتخيل أن شخصًا مثلك وبتفكيرك لن يستطيع التعايش مع شريك حياة .. هل أنا محق؟

(المذيع) : كنت ..

مد السجان يده وأخذ السيجارة من يد المذيع ثم قال : وما الذي حدث بينكما؟

(المذيع) : لم يحدث شيء .. تجربة أكدت لي أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال التعايش مع شخص لا يؤمن بمبدأ الاعتذار على خطأ اقترفه ..

(خليفة) نافخاً سحابة من الدخان : تركتها لأنها لم تعتذر منك؟

(المذيع) : أنا من لم يعتذر .. ولن أعتذر .. أخطائي أنا من يتحمل عواقبها ولا أحتاج تبريرها لغيري .. من يريدني سيقبل بأخطائي مثلما سأقبله بأخطائه

(خليفة) : بعض الأخطاء لا يمكن السكوت عنها .. يجب على الإنسان أن يحمي مشاعر من يحب

(المذيع) : كل أرضٍ ستداس، وكل سقفٍ سيقع .. لا يمكنك أن

تحمي أحداً لأنك لست مسؤولاً عن أحد .. لذا فضلت أن أكون بمفردي متفرداً بذاتي وألا يكون بقربي شخص يجد نفسه في صراع دائم بين رغبته في الحديث وحاجته للصمت والتي تنتهي غالباً بكلام مدجج بالمثاليات المثيرة للغثيان .. أسوأ حوار يمكن أن تخوضه هو مع بشر يعتقد أنه ملاك

(خليفة) : أنت في المكان الصحيح إذاً فلا يوجد ملائكة هنا ..

(المذيع) : ولا على أي بقعة من هذه الأرض ..

يشاهد المذيع من بعيد المسجون الجديد وهو يتعرض للكمة قوية من أحد المساجين يسقط على أثرها أرضاً ..

(المذيع) يهم بالسير نحوه قائلاً : «حسناً سنلتقي بعد ما تُطلق صفارة العودة للزنازين ..»

بعد ما يقارب نصف الساعة أطلقت الصفارة معلنة عن انتهاء فترة التجول في باحة السجن وبدأ المساجين بالتوجه لباب المبنى للعودة لزنازينهم ومن بينهم المذيع الذي استقبله الحارس الضخم قائلاً : «هل أنت مستعد؟»

(المذيع) : تتحدث وكأني متوجه لغرفة الإعدام .. هو لقاء قصير وسينتهي

(خليفة) مبتسماً: هيا بنا إذًا

أوصل الحارس المذيع لمكتب المأمور الذي كان فارغاً وقتها وطلب منه الجلوس عند مكتبه والانتظار..

(المذيع): هل سيطول الأمر؟

دخل مأمور السجن قبل أن يجيب الحارس وقال له: «شكراً يا (خليفة).. يمكنك الانصراف..»

خرج الحارس وأغلق الباب خلفه..

جلس المأمور وقال خلال بحثه بين الأوراق على سطح مكتبه: «كيف حالك؟»

(المذيع): بخير..

(المأمور) وهو لا يزال يبحث بين الأوراق: كيف كانت إقامتك عندنا خلال الأعوام التي قضيتها معنا؟

(المذيع) بتهكم: خدمة الغرف يمكن أن تكون أفضل

توقف المأمور عن البحث في الأوراق ووجه نظره لثوانٍ للمذيع ثم التقط ملفاً ونهض وخرج من المكتب.

(المذيع) محدثًا نفسه: «ما الحكاية؟»

لم يمضِ وقت طويل حتى دخل رجل غريب وجلس أمامه واضعاً ساقًا على ساق مبتسماً ..

(المذيع) : ومن تكون أنت؟

- كيف حالك؟

(المذيع): ما حكايتكم مع «حالي» اليوم؟.. بخير! بخير!

- لندخل في الموضوع مباشرة إذًا

(المذيع) : يستحسن ذلك

- أنا جزء من منظمة يهمها أمرك .. منذ أن بدأ برنامجك «هذا ما حدث معي» ونحن مهتمون بطرحك ونتابعه باستمرار

(المذيع) : شكراً.. هل أتيت لتحصل على توقيعي؟

- أتيت لضمك ..

(المذيع): ضمي لمن؟

- لمنظمتنا ..

(المذيع) بتهكم : بإذن الله عندما أخرج بعد تسع سنوات يمكنك تقديم عرضك لي للانضمام لإذاعتكم

- نحن لسنا جهة إعلامية

(المذيع): ماذا إذًا؟

- يمكن أن تعتبرنا جهة أمنية نوعًا ما

(المذيع) : أمنية؟ .. لا، شكراً اكتفيت من التعامل معكم

- زميلك الجديد في الزنزانة سيحاول قتلك الليلة ..

(المذيع): أنا لا أعرفه ولم أقابله بعد

- لقد تمت الترتيبات كي يكون رفيقك في الزنزانة قاتلًا مرسلًا لك ..

(المذيع) : مرسل من قبل منظمتكم؟

- نحن هنا لإنقاذك ..

(المذيع) : إنقاذي مِمَّن؟

- من الذين نطاردهم ونلاحقهم يوميًا وأنت كنت أحد أسباب كشفهم دون أن تشعر.. برنامجك اختصر علينا الكثير وهذا الأمر أزعجهم

(المذيع) : أزعج من؟.. تحدث بوضوح

- مثلما تريد منظمتنا تجنيدك في صفوفها لأنها ترى فيك فائدة كبيرة لها ولتوجهاتها هناك منظمة أخرى موازية لنا ترى أن ما تقوم به مضر لها ولمخططاتها وتريد إسكاتك.. وللأبد

(المذيع) : أنا لا أفهم كلمة مما تقول ..

- ستعرف كل شيء بعد خروجك معي من هنا

(المذيع) ضاحكاً : للتذكير فقط .. أنا محبوس هنا ولست مستأجراً وما زال أمامي الكثير حتى أرى النور

- موافقتك على الانضمام لنا هي مفتاح خروجك .. ما قولك؟

(المذيع) : هل تقصد أنك تستطيع إخراجي من هذا المكان قبل انتهاء محكوميتي؟

- نعم .. اختر مصيرك .. الخروج من هنا كعضو بمنظمتنا أم الموت الليلة في فراشك على يد القاتل المُرسل إليك؟

(المذيع) : حتى لو وافقت فلن تستطيع إخراجي من هنا اليوم، المسألة تستلزم إجراءات طويلة ومبيتي في فراشي الليلة أمر لا مهرب منه

- اترك الأمر لنا .. فقط أعطني إجابة الآن

(المذيع) : وما المطلوب مني في هذه المنظمة؟

- لا شيء.. فقط أن يستمر برنامج «هذا ما حدث معي»..

(المذيع): تتحدث وكأن مصير البرنامج بيدي

- سيكون بيدك وستكون مدير ومالك المحطة بأكملها ..

(المذيع) بتعجب : أنت تتحدث بثقة غريبة

- وافق وسترى إلى أي مدى أستطيع دعم كلامي بالأفعال

(المذيع) : سأوافق لسببٍ واحد فقط وهو أنني مقتنع أنك تهرطق

وقف الرجل مبتسماً ورتب هندامه وفتح الباب ليرى مأمور السجن يقف منتظراً ويقول : «هل وافق؟»

- «نعم.. سوف نرحل معاً الآن ..» .. قالها وعينه على المذيع وقبضته على مقبض الباب

سار مأمور السجن ووقف أمام المذيع ومد إليه هاتفه الذي صودر منه قبل دخوله السجن وقال : يجدر بك شراء آخر فقد أصبح قديماً بعد السنوات التي قضيتها هنا

(المذيع) وهو يأخذ الهاتف : إن كان لا يزال يعمل فلن أغيره .. سأستخرج له شريحة أخرى فقط

أشار المأمور بعدها له بأن ينهض ويخرج مع الرجل الواقف عند الباب بانتظاره ..

وقف المذيع وسار حتى وصل للرجل ثم توقف وقال له : من أنتم؟

(الرجل) : نحن «المستشارون» وأنت منذ اليوم واحد منا وستعمل معنا ولمصلحتنا ..

عدنا لكم مجدداً



خرج المذيع من السجن كما وُعد وتم تسليمه عقود ملكية المحطة بالكامل عن طريق مديرها السابق الذي أصبح نائبه وبعكس ما كان متوقعاً فلم يرغب المذيع بمباشرة عمله على الفور ووجه بأن يسير الوضع كما هو وسوف يديره مؤقتاً من شقته حتى يكون مستعدّاً للعودة. خلال عدة أسابيع تلت ذلك اليوم بدأت الترتيبات لإطلاق برنامج «هذا ما حدث معي..» مجددًا ومعه ستكون عودة المذيع بشكل كامل ورسمي للإشراف على كل شيء في المحطة وتم إبلاغ جميع الموظفين والعاملين للاستعداد لذلك.

يوم الجمعة .. منتصف الليل .. ليلة ماطرة

يجلس المذيع خلف طاولته السابقة ..

استعدادًا لبث الحلقة الأولى من برنامج «هذا ما حدث معي..»

بعد انتظار طال كثيراً ..

تدخل عليه معدة البرنامج وتمد يدها له قائلة : مرحباً يا سيدي وعوداً حميداً ..

(المذيع) وهو يضع السماعات على أذنيه بعد مصافحتها : سيدك؟

(المعدة) خلال جلوسها أمامه عند لوحة استقبال المكالمات: أنت مدير المحطة ومالكها الآن وهذا لقبك ..

(المذيع) مشعلاً سيجارة : لذلك سنتبع سياسة جديدة بالبرنامج

(المعدة): تفضل يا سيدي ..

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : نبهي على المتصلين ألّا يُعرِفوا بأسمائهم .. ستكون الاتصالات مباشرة بدون تعريف كي يجدوا أريحية أكبر في طرح قصصهم

(المعدة) وهي تلبس سماعتها : حاضر

(المذيع) : لكن هذا لا ينطبق عليكِ .. ما اسمك

(المعدة) : .. (نرمين)

(المذيع): هناك أمر آخر يا (نرمين) أريدكِ أن تأخذيه بعين الاعتبار أيضاً

(نرمين): تفضل

(المذيع): سوف أقدم استشارة لكل من يريد

(نرمين) : أمرك

(المذيع) وهو يبادلها الابتسام : لنأخذ أول اتصال إذًا ..

أشارت (نرمين) للمذيع بأنهما انتقلا للهواء فأومأ برأسه واقترب من الميكرفون وأخذ نفساً ثم قال :

«ليلة ماطرة أعزائي المستمعين .. ليلة يسرنا فيها الإعلان عن عودة برنامج «هذا ما حدث معي» من جديد بعد انقطاع دام وامتد لعدة سنوات بسبب إجازة إجبارية اضطررت لأخذها كما يعرف معظمكم .. لكن نعدكم هذه المرة أن نحاول البقاء مستمرين وألا نقطع التواصل معكم ما دمتم تثقون بنا وتتصلون علينا .. ثلاث ساعات من الآن سنقضيها في تلقي مشاركاتكم ولنبدأ باتصالنا الأول .. وكما كان شعارنا دائماً .. نحن منصتون ..»

- صباح الخير .. أنا سعيدة لعودة البرنامج .. كنت من متابعيه قبل عدة سنوات

(المذيع) : مرحباً بكِ وكما تم التوجيه من قبل معدة البرنامج سوف نتلقى الاتصالات بدون التعريف بالأسماء

- نعم أخبرتني بذلك .. هل أتحدث عن تجربتي الآن؟

(المذيع) : تفضلي ..

- حسناً .. أنا الفتاة الوحيدة في منزلنا بين خمسة إخوة .. ترتيبي هو الثانية بعد أخي الأكبر .. ونتيجة هذا الجو المشحون بالذكورة كانت معظم إن لم يكن جميع أنشطتنا العائلية منذ صغرنا تتمحور حول اهتماماتهم هم وأنا لا أقول ذلك على سبيل التذمر لا إطلاقاً فقد كانت حياتي مليئة بالمغامرات الجميلة والشيقة بسبب حياة إخوتي الحركية فمثلاً تجدنا نخرج في رحلات خلوية بشكل متكرر وغالب ما نقوم به هو لعب الكرة وركوب الدراجات النارية والصيد في بعض الأحيان وحب أبي لتربية الخيول فقد كان ركوبها جزءاً أساسيّاً من حياتنا خلال نشأتنا إلى أن أصبحنا جميعاً نجيد الفروسية وأحد إخوتي احترفها وفاز بعدة جوائز واستمر الوضع على هذا الحال حتى تقدمنا في العمر وأنا تزوجت وأنجبت وانخرط

أولادي مع أخوالهم في حب تلك الأنشطة التي لا يزالون يمارسونها إلى هذا اليوم وفي الحقيقة أصبحت أجد متعة أكبر بعد ما أصبحت أشارك أبنائي تلك الاهتمامات خاصة عندما يلجؤون إلي لتعليمهم بعض الأمور التي يجهلونها

(المذيع) : النساء شقائق الرجال وأنتِ خير مثال على ذلك ..

- ولم أكن سأستبدل بحياتي هذه أي حياة أخرى فلعلها كانت سبب نجاتنا مما تعرضنا له وأنوي حكايته لك وللمستمعين اليوم

(المذيع) : ونحن منصتون ..

- كما أخبرتك سلفاً أننا نحب الرحلات الخلوية ولم تكن أي وجهة خارج نطاق استكشافنا خاصة عندما كبرنا وأصبحنا نقود المركبات بأنفسنا دون الحاجة لأبي ليأخذنا إلى تلك الأماكن .. برّاً أو بحراً .. كل التضاريس جلناها وبتنا فيها لعدة أيام لكن كان هناك مكان نتردد عليه لسنوات وهو في الواقع أول مكان أخذنا له أبي ونحن صغار ونحمل له في قلوبنا معزة خاصة .. جمع بين دفء الرمال الحرة وسحر المياه الفاتنة .. بحيرة .. بحيرة كبيرة في وسط الصحراء تتكون مرة في العام بعد موسم الأمطار السنوي الذي تمر به منطقتنا وفي

كل عام لا نفوت الفرصة لزيارتها والتخييم عند ضفافها لأيام وهي عادة توارثناها وورثناها لأطفالنا وأصبحت وجهة سنوية لعائلتنا التي تكبر يوماً بعد يوم

(المذيع) : تبدو منطقة ساحرة بالفعل ..

- مهما تكلمت عنها ووصفتها لن أفيها حقها .. لكن .. المنطقة أخفت شيئاً ما لم نتمكن يوماً من تحديده ووضع يدنا عليه ..

(المذيع) : شيء ماذا؟

- منذ صغرنا وبالرغم من السعادة التي نشعر بها عند زيارة البحيرة إلا أن نفوسنا تصاب بنوع من .. الضيق .. تنشب خلافات بيننا ونتجاوزها سريعاً لكن حين نفكر فيها عندما نعود للمنزل نضحك على أنفسنا لتفاهة الأسباب التي نشب بسببها الخلاف .. أبي لا نراه يغضب بشكل مخيف إلا هناك .. أمي تمرض دوماً وكنا نعزو ذلك إلى أنها تصاب بحساسية ما من النباتات البرية التي تنمو بعد هطول الأمطار .. قصص كثيرة لو ذكرتها فسوف أستغرق ساعات لكن خلاصتها هي أن أغلب ذكرياتنا السيئة جزء كبير منها وقع عند تلك البحيرة

(المذيع) : لَمِ استمررتم بالذهاب إليها إذًا؟

- لأنه وكما لنا ذكريات سيئة هناك فإن أجمل أوقاتنا وذكرياتنا

التي لا تنسى حدثت هناك أيضاً .. قد يبدو كلامي متناقضًا لكن هذا ما كان يحدث

(المذيع) : أتفهم ذلك ..

- لكن هذا أصبح من الماضي فلم نعد نذهب إلى تلك البحيرة وآخر زيارة لها كانت قبل ثلاثة أعوام تقريباً

(المذيع) : وهي الزيارة التي أفترض أنها سبب اتصالكِ اليوم

- نعم صحيح .. تلك الرحلة الأخيرة كانت كبيرة .. من حيث التجهيزات وعدد المشاركين فيها فجميع إخوتي وقتها كانوا قد تزوجوا وأنجبوا فلك أن تتخيل عددنا كيف أصبح مع أطفالنا وأزواجنا هذا بالإضافة لأمي وأبي لكن ومع هذا كنا متحمسين كالعادة وتوجهنا للبحيرة وخيمنا حولها وبتنا ليلتنا الأولى بعد سهرة طويلة تسامرنا فيها واستعدنا الكثير من الذكريات ويجدر بي ذكر أن إحساس الضيق الذي كان ينتابني أنا وإخوتي في كل زيارة لم يبرح وكان حاضراً لكننا تجاوزناه كالعادة لمعرفتنا بأنه شعور عابر وسيزول بعد عودتنا لكننا لم نتجاوز سلسلة الحوادث التي حدثت بعدها .. أولها حدث صباح اليوم الأول عندما قفز معظمنا في البحيرة للسباحة وبعد وقت قصير سمعنا استنجاد ابن أخي الأوسط

الذي غرق بالرغم من أنه كان يجيد السباحة مما أضفى على رحلتنا غمامة منذ اليوم الأول خاصة عندما أصرت أمه على العودة لأخذه للمستشفى والاطمئنان عليه ولم نمنعها لأننا أتينا بثلاث سيارات كبيرة وهم استقلوا إحداها فعادت مع أخي وأطفالها وصاحبتهم إحدى زوجات إخواني لأنها كذلك رغبت بالعودة لشعورها بالتعب بسبب حملها

(المذيع) : ألم يعد زوجها معها؟

- حاول لكنها رفضت لأنها كانت تعرف حبه الشديد للمكان ولم ترد أن تنغص عليه رحلته وأخبرته بأنها ستبات عند أهلها حتى يعود

(المذيع) : تضحية نبيلة منها ..

- نعم لكن تضحيتها ذهبت سدى في نهاية المطاف

(المذيع) : كيف؟

- في المساء حاولنا تلطيف الأجواء بطبخ وليمة عشاء كبيرة لكن الأمر تحول لمصيبة أخرى حيث علقت النيران بمخيمنا بطريقة غريبة لم نجد لها تفسيراً إلى هذا اليوم ولم نتمكن من إخماد الحريق الذي التهم معظم أشيائنا في أقل من ساعة

(المذيع) : هل تعرض أحد للأذى في هذا الحريق؟

- لا لكن أمي أصيبت بحالة غريبة .. ظننا في البداية أنها حساسيتها المعتادة لكن جسدها تحول للون الأزرق وكأنها كانت تختنق لذا اتخذنا قرار الرحيل في الحال كي نأخذها للمستشفى هي الأخرى لكن ترتيب ما تبقى من حاجياتنا التي لم تلتهمها النار كان سيستغرق وقتاً طويلاً لذا اضطر أبي للانطلاق هو وأمي قبلنا بسيارته الكبيرة وأخذا معهما جميع الأطفال لنبقى نحن ونهتم بكل شيء ونلحق بهم .. بقيت أنا وأخي الأكبر وأخي الآخر الذي رحلت زوجته الحامل وكانت الخطة هي أن نقوم بتحميل ما نستطيع من الأغراض والحاجيات المهمة فقط والتحرك من المكان في الحال لكن العمل استغرق وقتاً أطول مما ظننا ولم ننتهِ إلا قبل الفجر بساعة تقريباً فقررنا البقاء والصلاة هناك حتى بزوغ النهار ثم ننطلق بعدها

(المذيع) : وهل سارت الخطة كما خططتم؟

- إلى أن انتهينا من تجهيز السيارة كان كل شيء يسير على ما يرام ولم تبدأ الأمور الغريبة إلا بعد ما جلسنا وأشعلنا بعض الحطب والجمر المتبقي معنا أمام البحيرة وجلسنا نتسامر في

انتظار وقت صلاة الفجر .. أول ما تعرضنا له هو الرجم بسيل من الحجارة أتت من كل الاتجاهات والغريب في الأمر أن المنطقة رملية ولا يوجد حجارة بها بتلك الكمية لكننا تعرضنا لكم هائل منها ولم تتوقف إلا بعد ما هربنا منها لوسط البحيرة ودخلنا مفزوعين حتى وصل الماء لخواصرنا وبقينا مذهولين مما حدث للتو لكننا لم نلحق أن نتناقش لأن النار على الساحل ارتفعت فجأة وكأنها بركان انفجر وأخذت تشتعل بقوة وتصاعدت ألسنتها لعلو كبير وكأنها استعراض للألعاب النارية حتى توقفت فجأة وخمدت تاركة المكان في ظلمة تامة

(المذيع) : أظن أن هذا كان كافياً لتهربوا من المكان في الحال

- وهذا ما حدث .. ما أن حطت أقدامنا على الساحل حتى جرينا نحو السيارة وركبناها وأدار أخي الأصغر المحرك وانطلق بسرعة لكننا لم نبتعد عدة أمتار حتى انقلبت السيارة على جانبها .. انقلبت بدون سبب ودون الاصطدام بشيء أو الصعود لارتفاع كي يخل بتوازننا .. وكأن أحداً قد دفعها من الجانب .. نزلنا من السيارة ولحسن الحظ لم يصبْ أي منا بأذى واقترح أخي الأكبر أن ندفعها ونعيدها للطريق فوق الرمال لأن

انقلابها لم يكن مكتملاً مستعينين بالرافعة المخصصة لتبديل الإطارات المعطوبة

(المذيع) : تبدو مهمة صعبة وشبه مستحيلة

- إخوتي أشداء وبنيتهم الجسدية قوية ثم إننا قمنا بإنزال جميع الحاجيات المحملة عليها لتخفيف وزنها وقررنا تركها .. كان همنا الخروج من المكان بأي شكل وبأسرع وقت

(المذيع) : وهل نجحتم في إعادة السيارة لوضعها الطبيعي؟

- كنا في طور إعادة السيارة على إطاراتها لكننا تراجعنا عندما عاد رجم الحجارة على ظهورنا وبقوة أشد من السابق لدرجة أن زجاج السيارة تحطم بالكامل ورأس أخي الأكبر شج وبدأ ينزف .. كان الأمر مرعباً خاصة في الظلمة التي كنا بها ولم نجد ملجأً سوى الاختباء على الجانب الآخر من السيارة حتى توقف سيل الحجارة المندفع نحونا لكن توقفه لم يكن نهاية المعاناة فقد تبعه مجموعة من الأصوات الغريبة كالهمسات الغاضبة التي تخللها ما أظنه بعض السباب فظننا للوهلة الأولى أن هناك مجموعة أخرى غيرنا منزعجة من وجودنا لكننا لم نتمكن من رؤية أحد أو سيارة أخرى حولنا .. بقينا مختبئين معانقين بعضنا لبعض ولا أنكر أني

بكيت قليلاً وقتها لشعوري بأننا لن ننجو لكن والحمد لله مع أول مؤشر لبزوغ نور الصباح توقف كل شيء وتمكنا من تعديل السيارة والرحيل من المكان وترك كل شيء خلفنا بلا عودة ولم نحكِ ما حدث للبقية إلا بعد عدة أشهر عندما بدؤوا يثيرون رغبتهم في العودة للمكان مع اقتراب موسم الأمطار الجديد .. وإلى اليوم لم نجد تفسيراً لما مررنا به

(المذيع) : هل ترغبين في سماع التفسير؟

- كنت أظن البرنامج لا يقدم تفسيرات للقصص

(المذيع) : سنقدمها فقط لمن يرغب في سماعها وهي وجهة نظري الشخصية فقط وقابلة للخطأ والصواب ..

- وأنا أثق برأيك .. من تعرض لنا ذلك اليوم؟

(المذيع) : التفسير الوحيد لما ذكرتِ هو أن تلك المنطقة حول البحيرة هي منازل للجن القاطنين ووجودكم فيها يزعجهم وهذا يفسر كل الأمور التي ذكرتِها من ضيق وحوادث غريبة حدثت لكم في الماضي لكن فيما يبدو أن زيادة أعدادكم في الرحلة الأخيرة أثارت سخطهم بشكل أكبر مما دفعهم لإرسال رسالة أقوى لحثكم على الابتعاد وعدم العودة

- والرسالة وصلت .. شكراً لك

(المذيع) : شكراً لكِ أنتِ لمشاركتنا قصتكِ .. لنأخذ اتصالاً آخر

- السلام عليكم

(المذيع) : وعليكم السلام .. تفضل نحن منصتون ..

- أنا شخص يحب التجول بالأسواق الشعبية المتنقلة .. التي تعرض بضائع متنوعة بثمن زهيد وما يشدني بالذات هو التحف والمقتنيات الخاصة والشخصية التي يرغب أصحابها في التخلص منها لسبب ما والتي غالباً ما تكون معروضة بأسعار رخيصة جداً أقل من قيمتها الحقيقية بكثير وحتى لو أمضيت يومي كله في التجول دون أن أشتري شيئاً أخرج وأنا في حالة استمتاع وسعادة

(المذيع) : صحيح هذه الأسواق لها متعة خاصة حتى لو لم تقتنِ من معروضاتها

- بالفعل لكن ما حدث معي في إحدى المرات هو أن زوجاً من الصنادل الجلدية شدني وما لفت انتباهي أكثر هو أن الرجل الذي عرضه لم يكن يبيع الأحذية فبضاعته مكونة من مجموعة من اللحوم والأسماك المجففة فكنت مستغرباً من عرضه لتلك الصنادل لذا سألته فقال لي بأنه اشترى زوجاً جديداً ولا يريد هذا الزوج لأنهما لا يزالان بحالة جيدة وصناعتهما

عالية الجودة لكن ذلك المديح لا يتناسب مع السعر الذي طلبه مقابلاً لهما فلو أنه قدمهما بالمجان لكان أفضل له

(المذيع) : وهل اقتنيتهما؟

- نعم .. في البداية لم أكن أنوي استخدامهما لأن طرازهما قديم بعض الشيء لكني كنت منجذباً لتصميمهما وبعد تجربتهما وجدت أنهما بمقاس قدمي تماماً بالرغم من أني أكاد أجزم بأن أقدام ذلك الرجل كانت أصغر مني بكثير لذا قررت استخدامهما لبضعة أيام وهنا تعلقت بهما ولم أخلعهما إلا للضرورة فقط فقد شعرت براحة عجيبة في المشي ونشاط غير مسبوق خلال السير بهما .. أكاد أقسم أنه حتى صحتي تحسنت وشعري وبشرتي أصبحا أكثر نضارة وتحققت من ذلك بعد تعليقات من حولي

(المذيع) : وعندما تخلعهما تشعر بتراجع هذه التغيرات .. أليس كذلك؟

- بلى .. بلى .. وصلت لمرحلة تعلق مريض بهما .. أصبحت أنام وأستحم بهما لأني عندما أخلعهما أعود لوضعي السابق وأفتقد نشاطي وزهوة جسدي وأنا أنتعلهما

(المذيع) : هل لاحظت أموراً أخرى على زوج الصنادل هذا؟

- ظننت أني أتوهم لكن مع المراقبة اليومية تيقنت من ملاحظتي وهي أنهما يتغيران ما بين الليل والنهار

(المذيع) : وضح أكثر ..

- في النهار يكون الجلد مشدوداً ولامعاً وملائماً على قدمي لكن مع حلول الليل يحدث العكس تماماً .. يفقد الصندل رونقه وتتراخى شدة الجلد ويصبح كالخرقة البالية ويكون انتعاله وقتها صعباً لأنه مرتخٍ جدًّا ولا يمسك بقدمي بشكل جيد لكني أجبر نفسي على تحمل ذلك لحاجتي للمزايا التي أشعر بها خلال انتعالي له .. هل أنا أتوهم أم أن هناك شيئاً لا أعرفه؟

(المذيع) : أنت لست واهماً .. هذا الصندل نوع خاص من الأحذية كان يصنع في الماضي البعيد للمزايا أنفسها التي ذكرتها لكن مع الوقت تم تجريم وتحريم صناعته .. لا أبالغ لو قدرت عمر هذا الصندل بمئات السنين

- لماذا؟ .. ما السر في صناعته كي يتم تحريمه ومنعه؟

(المذيع) : السر ليس في طريقة صناعته بل في الجلد المستخدم ..

- لم أفهم .. هل هو جلد لحيوان نادر وعلى وشك الانقراض؟

(المذيع): سأكتفي بالقول بأنه ليس جلد حيوان من الأساس ..

- هل هناك ضرر من احتفاظي به واستخدامه؟

(المذيع): نعم إذا لم تستخدمه وتحافظ عليه بالشكل الصحيح ونصيحتي لك هي بألّا تفعل وأن تحتفظ به في صندوق ما بعيداً عن الأنظار لكن إذا كنت مصرّاً على استخدامه فيجب عليك اتباع القواعد التي تقيك من ذلك الضرر المصاحب لسوء استخدامه

- هل يمكن أن تخبرني بتلك القواعد؟

(المذيع): أولاً يجب ألا تنتعله ليلاً مهما وجدت نفسك راغباً في ذلك فهذا وقت الراحة المخصص للجلد ويجب أن تحتفظ بالصندل وسط علبة مصمتة لا يدخلها الضوء مهما كان بسيطاً وألا تغسلهما نهائيًا واكتفِ بتنظيفهما بخرقة مبللة فقط ولا تنتعلهما وأنت مريض كي لا تعديهما

- أعديهما؟

(المذيع): نعم .. هذا النوع من الأحذية يصاب بالمرض ويختزن الموبقات لذا احذر من ذلك

- هل هناك تعليمات أخرى؟



(المذيع) : لا تجعل أحداً غيرك يجربه وهو في حوزتك إلا إذا قمت ببيعه على شخصٍ آخر وكذلك لا تقتل به أي دابة أو حشرة أو تضرب أحداً به ولا ..

قاطع المتصل المذيع قائلاً : ما هذا كله؟ .. أعتقد أني سأتخلص منه

(المذيع) : وأنا مؤيد لهذا القرار لأنك فيما يبدو لا تعرف ماذا اشتريت ولن تستطيع تحمل مسؤوليته دون أن تؤذي نفسك أو غيرك دون قصد

- لذلك لن أبيعه .. سأرميه فقط

(المذيع) : لا تفعل .. ادفنه في أرض رملية وسط حفرة عميقة

- لَم تتحدث عن هذا الصندل وكأنه كائن حي؟

(المذيع) : ادفنه فقط .. لنأخذ اتصالاً آخر قبل أن ننتقل للفاصل الأول من حلقة اليوم

- «آلو ..» .. قالها صوت طفولي صغير ..

(المذيع) بشيء من التعجب : أهلاً يا صغيرتي .. كم عمركِ؟

- سبع سنوات ونصف السنة ..

(المذيع) : هل يعرف أهلك أنكِ تتصلين في هذا الوقت المتأخر؟



- لا لكني خائفة وهو في الخارج الآن

(المذيع) : خائفة من ماذا؟ .. تحدثي ولا تخشي من شيء

صمتت الطفلة لعدة ثوانٍ ثم بدأت بالبكاء ..

أشار المذيع للمعدة بأن تأخذ الاتصال بنفسها وتتحدث مع الطفلة وتحول له اتصالاً آخر ..

(المذيع) : تفضل ..

- أنا (آمنة) وأرغب بالمشاركة

(المذيع) : سياسة البرنامج الجديدة يا (آمنة) هي أن تكون المشاركة بدون التعريف بالاسم

(آمنة) : أنا آسفة لم أكن أعلم .. هل أغلق الخط؟

(المذيع) : لا بأس .. تفضلي نحن منصتون ..

(آمنة) : مشاركتي هي عن أحلامي

(المذيع) : تقصدين كوابيسك .. هل هي مزعجة؟

(آمنة) : لا لا .. أحلامي جميلة جدّاً وأستمتع بها لدرجة أني أريد النوم في كل الوقت كي أعيش أحداثها

(المذيع) : ما المشكلة إذًا؟

(آمنة) : المشكلة هي نسياني لها بسرعة بعد استيقاظي ولا أتذكرها

(المذيع) : وكيف تعرفين أنها جميلة إن كنتِ لا تتذكرين تفاصيلها؟

(آمنة) : الشعور الذي ينتابني بعد الاستيقاظ منها يؤكد لي ذلك لكنني أحزن عندما لا أستطيع تذكر تلك التفاصيل .. أشعر بالقهر لأني لا أتمكن من ذلك ومؤخراً وحتى خلال نومي وجدت التفاصيل لم تعد واضحة كالسابق وبدأت أخشى فقدان هذا الشيء الجميل في حياتي وأريدك أن تعطيني حلًّا

(المذيع) : سأعطيكِ الحل لكن قبلها أريد أن أسألكِ سؤالاً من بعد إذنكِ

(آمنة) : تفضل

(المذيع) : كيف هي حياتكِ الواقعية .. التي تدور أحداثها خارج عالم الأحلام

(آمنة) : طبيعية .. عادية جدًّا .. بل روتينية لحد الملل .. لا شيء يحدث فيها .. محصورة فقط بين البيت والمدرسة ومن وقتٍ لآخر أخرج مع أمي للسوق أو لزيارة الأقرباء .. هذا ملخص حياتي في سطرين

(المذيع) : حياة مستقرة ولا تدعو للتذمر



(آمنة) : لست متذمرة لكني أشعر بالملل منها .. لا أريد أن أبدو كناكرة وجاحدة لحياتي لكن أرغب بأكثر .. لا أن أعيش فقط .. أريد تذوقها وتنفسها وأن أنتشي بها .. عندما يبتلعني الملل أقوم بتصرفات غريبة مغايرة لطبيعتي .. وأنا لا أريد ذلك ..

(المذيع) : كم عمركِ؟

(آمنة) : سأكمل الرابعة عشرة بعد عدة أشهر

(المذيع) : ما زلتِ في مقتبل العمر ولا يزال الوقت مبكرًا على البحث عن أكثر .. الحياة ستأتيكِ بخيرها وشرها عاجلاً أم آجلاً مهما طال الزمن فلا تستعجلي

(آمنة) : وإلى أن تأتي كما تقول أريد العيش في أحلامي أكثر .. أعرف أن الحياة ستخطفني وتعصف بي قريباً لكني لا أريد خسارة عالمي هذا دون أن أشبع منه .. هل تستطيع مساعدتي في تحقيق ما أصبو إليه؟

(المذيع) باسماً : نعم ... اشربي نصف كوب ماء قبل النوم والنصف الآخر بعد الاستيقاظ هذا سيساعدكِ على تذكر أحلامكِ .. وشرب كمية كبيرة من عصير التفاح قبل النوم سيمكنكِ من الحصول على أحلام واضحة التفاصيل لدرجة قد تظنينها واقعاً

(آمنة) : شكراً جزيلاً .. لكن هل لي بسؤال؟

(المذيع) : تفضلي

(آمنة) : هل هذا سحر؟

(المذيع) : هذه حقائق علمية ونتائجها هي السحرية .. شكراً لاتصالكِ (آمنة) .. سنأخذ فاصلاً ونعود لكم لنكمل الساعة الثانية من حلقة اليوم ..

دقات الدقائق الدقيقة



نهض المذيع من مكانه وسار نحو منصة (نرمين) التي أغلقت للتو مكالمتها مع الصبية الصغيرة وانتقلت للفاصل الإعلاني وقال لها :

«ما الذي حدث مع تلك الطفلة؟»

(نرمين) : تمكنت من الحصول منها على تفاصيل منزلها ورقم هاتفها وأبلغت الشرطة

(المذيع) : لماذا ما الذي حدث؟

(نرمين) : يبدو أن هناك من يؤذيها من أهلها واتصلت بنا

(المذيع) : لم أتوقع طفلة في عمرها تتابع برنامجنا

(نرمين) : الغريب أنها لم تملك الحنكة الكافية للاتصال بالشرطة

(المذيع) : ابتداءً من الحلقة القادمة أريدك أن تركبي جهازاً كاشفاً للأرقام المتصلة ..

(نرمين) : حاضر لكن لماذا؟

(المذيع) : نحن نستخدم خطّاً ثابتاً ونحتاج هذه الخاصية .. يجب أن يكون لدينا بعض المعرفة بمن يتصلون بنا .. أرقامهم على الأقل تحسباً لأي مفاجآت فلو انقطع الخط لأي سبب مع تلك الطفلة كنا سنشعر بالذنب لعدم قدرتنا على مساعدتها

(نرمين) : معك حق .. لكن يجب أن نطلب تفعيل هذه الخاصية من شركة الهاتف وهذا قد يستغرق بعض الوقت

(المذيع) : لا تشغليني بالتفاصيل يا (نرمين) فقط احرصي ألا نبدأ الحلقة القادمة دون وجود جهاز كاشف للأرقام الواردة على البرنامج

(نرمين) : أمرك

عاد المذيع لمقعده وأشار لـ (نرمين) بنقل البث للهواء ..

(المذيع) : عدنا لكم لنستكمل الساعة الثانية من حلقتنا الأولى ونستهلها بالمتصل التالي .. تفضل نحن منصتون ..

- صباح الخير .. مشاركتي قد لا تكون مرعبة .. أعتقد أنها مضحكة بعض الشيء

(المذيع) : ومن قال لك إن هذا برنامج للرعب؟ .. يمكن لأي شخص مشاركتنا أي قصة شريطة أن تندرج تحت تصنيف الغرابة على الأقل

- هي غريبة بلا شك ولم أصادف أحداً يعاني مما أعاني منه

(المذيع) : ومِمَّ تعاني؟

- في الحقيقة لا يمكن تسميتها معاناة بمعنى الكلمة

(المذيع) زافرًا : لِمَ لا تدخل في صلب الموضوع وتترك الحكم لنا؟

- حسناً اقتراح جيد .. هل تعرف «العصعص» ؟

(المذيع) : تقصد العظمة الموجودة أسفل الظهر؟

- نعم هي بعينها .. عصعصي يرتعش ويتحرك قبل حدوث شيء

(المذيع) : لم أفهم ..

- أقصد أني أشعر باهتزازه عندما يكون هناك خطر مقترب مني أو شيء سيئ سيحدث في الجوار

(المذيع) : مثل اهتزاز ذيل الكلب .. مع فارق التشبيه طبعاً .. لا أقصد إهانتك

- بالعكس تفسيرك يصف حالتي تماماً .. أشعر أني حيوان يملك حواس خارقة

(المذيع) : هي ليست خارقة .. الكثير من الحيوانات تملكها مثل القطط والكلاب وتكون أنشط عند حيوانات أخرى مثل الذئاب وبعض الطيور .. فذيولها هي إحدى حواس الاستشعار لديها التي تستخدمها للتنبؤ بالأخطار المحدقة بها مثل الزلازل أو الأعداء المتربصين بها في الخفاء لكن هذا ليس مألوفاً عند البشر بالرغم من أن بعض نظريات التطور تقول بأن عظمة العصعص ما هي إلا ذيل غير مكتمل النمو للإنسان لكن ذلك مجرد فرضيات غير مثبتة ولا نريد الخوض في هذا الموضوع

- وماذا تظن أنت؟

(المذيع) : أعتقد أنك أحد الأدلة أن الموضوع ليس مجرد فرضية ..

- وما هو العلاج؟

(المذيع) : هل الموضوع يزعجك للحد الذي يستلزم علاجاً؟

- في الحقيقة لا .. لقد تكيفت معها وفي أكثر من مناسبة استفدت منها

(المذيع) : أعطنا مثالاً ..

- أذكر مرة كنت سأدخل متجراً لبيع المجوهرات لشراء هدية لزوجتي وعند وصولي لعتبة الباب أخذ ذيلي .. أقصد «عصعصي» بالاهتزاز بقوة لدرجة أن خطواتي وأنا أمشي أصبحت مضحكة فتوقفت وابتعدت عن المكان فتوقف الاهتزاز فحاولت مجددًا الدخول فتكرر الأمر ذاته فقررت الرحيل كي لا أتعرض للسخرية من الناس ونهاية ذلك اليوم علمت من نشرة الأخبار بأن ذلك المحل تعرض للسرقة في الوقت نفسه الذي كنت موجوداً فيه وأصيب البائع وبعض الزبائن بإطلاق نار من السارق راح ضحيته اثنان منهم

(المذيع) : عصعصك استشعر نية ذلك المجرم من خلال طاقته السلبية .. في الغالب أنه كان موجوداً في الداخل عندما حاولت الدخول .. شكراً لاتصالك ومشاركتنا هذه التجربة الفريدة .. لنأخذ اتصالنا التالي ..

- صباح الخير .. أنا سعيدة بإتاحة الفرصة لي للمشاركة

(المذيع) : ونحن سعداء باتصالكِ .. تفضلي

- أنا أعاني من مرض غريب لكن هذا ليس سبب اتصالي فقد تأقلمت معه وتقبلته مع مرور الوقت لكن ما أريد الحديث

عنه وإزاحته عن كاهلي هو شعورٌ بالذنب يطاردني لأني لم أصبْ به وحدي فقد تسببت بإصابة أخي الصغير كذلك ..

(المذيع) : هل يمكن أن أعرف ماهية هذا المرض؟

- لا أذكر مسماه الطبي لكن يصاب فيه الجسد بالهزال والتعب والوهن ويصاحبه كل أعراض الشيخوخة مثل الشيب والتجاعيد والأمراض المزمنة .. وكأنه نوع من التسارع في تقدم العمر

(المذيع) : هناك مرض نادر مطابق لتلك الأعراض وهو غير معدٍ كي تشعري بالذنب فإصابة أخيك به سببها غالباً وراثي

- كنت سأصدق ذلك لولا ما حدث لنا ونحن صغار في محل البقالة

(المذيع) : وما الذي حدث؟

- اعتدت أنا وأخي منذ أن سُمح لنا بالخروج للشارع ونحن طفلان على الذهاب لمحل البقالة المجاور لمنزلنا لشراء المثلجات كل يوم بالمال الذي تعطينا إياه أمي لهذا الغرض .. وقتها كنت في العاشرة وأخي قد أتم للتو عامه الرابع .. محل البقالة الذي كنا نرتاده يديره رجل عجوز من سكان حارتنا ولم نتحدث معه قبلها قط فقد كنا نختار ما نشاء من البراد

وأقوم أنا بمد المبلغ له والخروج مع أخي عائدين للمنزل ونبدأ بتناولها ونحن في الطريق لأننا كنا نفضل المثلجات المقولبة على عصا خشبية ولو انتظرنا حتى نصل للمنزل لتناولها لكانت ستذوب من حرارة الشمس .. وفي أحد الأيام بعد خروجنا من المحل ووقوفنا أمام مدخله لفتح مغلفات المثلجات سقطت المثلجة الخاصة بأخي على الأرض فأخذ يبكي ويطالبني بشراء واحدة أخرى له فعرضت عليه أن يأخذ مثلجتي لكنه رفض لأنها لم تكن النكهة التي يفضلها وأصر عليّ أن أبتاع له واحدة جديدة وأنا لم أكن أملك قيمتها وخلال بكائه ومحاولاتي بإقناعه بالتحرك للعودة للمنزل خرج صاحب البقالة العجوز ومد له واحدة بديلة وقال: «خذ هذه!» .. مد أخي يده مبتسماً والدموع لا تزال تسيح من على وجنتيه ليأخذ المثلجة لكني منعته وقلت للبائع بأننا لا نملك قيمتها فقال لي عبارة غريبة

(المذيع): ماذا قال؟

- قال: «يمكنكِ أن تسددي قيمتها بشيء آخر غير المال ..» .. استنكرت كلامه وسحبت أخي من أمامه وهممت بالهرب لكنه استأنف حديثه وقال: «سنة من عمركِ أو عمره هو

استوقفتني تلك العبارة ولم يطرأ في بالي وقتها حقها ..» .. إلا أنه رجل عجوز أصابه الخرف فوافقت لإسكات صياح وبكاء أخي الصغير الذي وبلا شك سيلقي باللوم عليّ عند أمي وسينالني عتابها وسخطها وستحملني مسؤولية ما حصل ..»

(المذيع) : وكيف قدمتِ له سنة من عمرك كما طلب؟

- بعد ما أخذ أخي المثلجة وضع العجوز كفه على رأسي لمدة لم تتجاوز الثانيتين ثم أبعدها وقال: «لقد وصلني الثمن ..» .. عدنا للمنزل وانتهى ذلك اليوم الغريب ولم نضطر لمواجهته إلا في اليوم التالي عندما ذهبنا مجدداً للبقالة لكنه هذه المرة لم يبقَ صامتاً ومتجاهلاً لنا كعادته بل نهض من مكانه بمجرد رؤيتنا واستقبلنا بابتسامة وترحيب على غير المعتاد وأخرج المثلجات بنفسه من البراد ومدها لنا وقال: «ثمن الواحدة سنة من عمرك وعمره ..» .. أخذت المثلجات ومددت له المال وقلت: «لا، شكراً .. معنا مال اليوم!» لكنه حاول إقناعنا بأن نحتفظ بالمال ولا نبدده ونستفيد منه ونقدم له عوضاً عن ذلك سنة من أعمارنا الطويلة وأننا لن نشعر بفقدانها

(المذيع) : وهل وافقتِ؟

- ضع نفسك مكاني وقتها .. كنت صغيرة وساذجة ولم أستوعب معظم كلامه من الأساس .. كل ما فهمته أنني سأحصل على مثلجات مجانية مقابل لا شيء وأن ذلك الرجل قد فقد عقله وهذه فرصة لاستغلال ذلك .. وقد فعلت .. بقينا أنا وأخي نتردد على محله يومياً ونأخذ ما نريده وندفع مقابله سنين من أعمارنا كما كان يطلب ولم يكتفِ أخي الصغير بالمثلجات فقط فقد بدأ يأخذ المزيد من الحلوى ليتناولها في المنزل مدعياً لأمي أن هذا ما اشتراه لكن ذلك بالطبع رفع من فاتورته وكان العجوز يقاضيه ثلاث سنوات من عمره عوضاً عن واحدة .. بالرغم من أني لم أكن أشعر بالخطر خلال زياراتنا تلك إلا أني وبعد اليوم العاشر تقريباً توقفت عن الذهاب للبقالة وغيرنا وجهتنا لمحل آخر أبعد مسافة وأصبحنا نشتري حاجياتنا بمالنا فقط

(المذيع) : ولمَ هذا التغير المفاجئ؟ .. هل بدر من العجوز شيء أثار نفوركما؟

- لا مطلقاً .. لم يكن يقوم بشيء عدا وضع يده لثوانٍ على رؤوسنا عندما أراد أخذ سنوات عمرنا كما كان يقول لكني ولسبب ما لم أشعر بالارتياح وأنا أشاهد وجهه وهو يقوم

بذلك .. ملامحه عبرت عن استمتاع يصل لحد الانتشاء .. لا أعرف شعرت بالتقزز منه وقررت عدم العودة له

(المذيع) : قرار حكيم

- لكن فيما يبدو أنه كان متأخراً .. أنا اليوم تجاوزت الثلاثين وأخي كان سيتجاوز الخامسة والعشرين بعد أسبوع

(المذيع) : كان؟

- لقد توفاه الله قبل عشر سنوات بالمرض نفسه .. وكما أخبرتك .. أشعر بالذنب الشديد لأني أنا من تسبب فيما حدث وسمحت لذلك العجوز بأن يسلبه سنوات عمره ولم أقف حائلة دون ذلك

(المذيع) : هل تؤمنين حقّاً أن ما حدث لكما هو بسبب ما قام به الرجل؟

- إن كان لديك تفسير آخر فأنا منصتة ..

(المذيع) : أصدقكِ القول لا يوجد عندي تفسير لكن ما أنا متيقن منه هو أنه لم يسلب من أعماركما لكنه أخذ شيئاً آخر

- أخذ ماذا؟

(المذيع) : ما يكفيه لتحسين حياته لكن ليس لإطالتها .. الآجال



مكتوبة ومحددة ولا يمكننا تقديمها أو تأجيلها لكن يمكننا أن نعيشها بطريقة مختلفة .. شكراً لاتصالك ..

- السلام عليكم .. أنا (فاروق) وأعرف أنه ليس من الضروري أن أعرف بنفسي لكنني أريد ذلك من بعد إذنك

(المذيع) : لا مانع لدي فهذا خيارك .. تفضل نحن منصتون

(فاروق) : لقد عرفت بنفسي على أمل أن يسمع صديقي هذه المشاركة ويتواصل معي أو معكم لأنه مفقود وأبحث عنه منذ زمن

(المذيع) : لا شك أن محاولتك هذه هي بعد ما تواصلت مع الشرطة والسلطات المختصة

(فاروق) : لم يبقَ جهة مختصة إلا وتواصلت معها لقد استنفدت جميع الطرق وهذه مجرد محاولة إضافية قبل ذهابي

(المذيع) : ذهابك إلى أين؟

(فاروق) : للمكان الذي فُقد فيه فقد استجد شيء منذ عدة أيام وتجدد الأمل عندي

(المذيع) : كيف ومتى فُقد صاحبك؟

(فاروق) : مضى على ذلك عام تقريباً .. أنا وهو من هواة تسلق الجبال واستكشاف المناطق البرية والوديان العميقة وقد مارسنا هذه

الهواية لسنوات طويلة وبلغنا فيها مرحلة من الاحتراف الكبير فقد أتقنا أسس البقاء والنجاة في أقسى الظروف وكنا نضع بالاعتبار أي احتمال فلم نكن نخرج في أي رحلة استكشافية إلا ونحن مزودان بكل وسائل الأمان ونأخذ أقصى درجات الاحتياط لأي مفاجأة ونتوقع الأسوأ دوماً وهذا سر استمرارنا طيلة تلك السنوات بالرغم من خطورة الأماكن التي كنا نزورها ونستكشفها وهذا ما يجعلني غير مقتنع بالتفسير الذي قدمته الشرطة لما حدث

(المذيع) : وما الذي حدث؟

(فاروق) : قررنا أن تكون مغامرتنا الجديدة في منطقة جبلية لم نستكشفها من قبل بالرغم من أنها في بالنا منذ زمن لكن وبسبب خطورتها وعزلتها وشدة وعورة تضاريسها قمنا بتأجيل ذلك حتى نحصل على هواتف وأجهزة خاصة تعتمد على الأقمار الصناعية في حال احتجنا لطلب النجدة أو المساعدة لأي سبب .. لم نكن سنخاطر بالتوغل في سلسلة الجبال تلك دون أخذ كافة الاحترازات لتأمين حياتنا وبالفعل توجهنا إليها وأوقفنا سيارتنا خارج حدودها وأكملنا رحلتنا سيراً على الأقدام ولم نتوقف إلا بعد عدة ساعات مع غروب قرص الشمس وقررنا التخييم في سفح أحد الأودية لنكمل سيرنا في اليوم التالي تجاه الجبل الذي نستهدفه ونرغب بتسلق قمته المعروفة بـ «قمة العصب»

(المذيع) : ما سبب تسميتها بهذا الاسم؟

(فاروق) : لا أعرف لكن هذا هو اللقب الذي أطلقه سكان المناطق المجاورة على تلك السلاسل الجبلية .. أعتقد أن هناك سبباً للتسمية لكني أجهله

(المذيع) : ومتى بلغتما القمة؟

(فاروق) : بعد ما تناونا عشاءنا وبقينا أمام النار لما يقارب الساعة نتحدث ونتسامر فيها قررنا الخلود للنوم بافتراش الأرض ونجوم السماء المتناثرة لحافنا ولم يمضِ دقائق من الصمت ونحن نحاول النوم في ذلك المكان شبه المظلم حتى سمعنا ما يشبه صوت الطقطقة .. ظننا في البداية أنها بعض الصخور الصغيرة التي سقطت من أعلى الوادي فهذا يحدث ومألوف لكن ومع تكرار الصوت تيقنا من أنه شيء مختلف .. صوت واضح ومحدد .. كان يشبه نعيق البومة .. شعرنا بالرعب ونهضنا من مضاجعنا في الوقت نفسه وبقينا واقفين بوجوه متسائلة وآذان منصتة وصاغية إلى أن حددنا مصدر الصوت .. كهف صغير كان يبعد عنا بضعة أمتار نزولاً وقفنا أمامه ونحن مفزوعان من الصوت الصادر منه والذي زاد حدة وحماساً وكأنه يدعونا للدخول

(المذيع) : وهل دخلتما؟

(فاروق) : بالطبع لا .. قررنا الرحيل عن المكان على الفور وجمعنا حاجياتنا وحملنا حقائبنا على ظهورنا وهممنا بإكمال رحلتنا صعودًا حتى نبتعد بالقدر الكافي عن ذلك الكهف ولم نحصل إلا على ساعتين من النوم قبل الفجر وعندما تيقنا أننا ابتعدنا مسافة كافية ومع شروق الشمس استأنفنا رحلتنا نحو الجبل وتسلقنا قمته والتقطنا الصور التذكارية فوقها وكان ذلك أول العصر تقريباً فتشاورنا عمّا إذا كان هناك متسع من الوقت لنصل للسفح قبل حلول الليل لكننا في النهاية آثرنا البقاء والمبيت فوق الجبل خاصة وأن الأجواء كانت جميلة جدًّا وتأجيل النزول للصباح بدا فكرة حسنة وقتها ففعلنا ما فعلناه في الوادي وتناولنا طعامنا ونمنا باكراً كي نحصل على القوة الكافية لإكمال رحلة العودة

(المذيع) : ومتى رجعت لسفح الجبل مع صاحبك في اليوم التالي؟

(فاروق) : أنا لم أرَ (أيمن) مجدداً بعد ذلك اليوم .. استيقظت منتصف الليل على صوت رنين هاتفي وتفاجأت بأن فراش صديقي خاوٍ وأنه من كان يتصل بي فأجبته ولاحظت أن صوته كان مشبعاً بالتوتر والرعب وهو يقول لي: «أين أنت؟!» .. استغربت من سؤاله وقلت له : «ماذا تقصد أين أنا؟ .. أنا مكاني ولم أتحرك .. أين ذهبت أنت؟» .. أجابني (أيمن) وتوتره يزداد ويتحول لنبرة منهارة : «لا

أعرف ..» .. حاولت تهدئته كي أفهم منه شيئاً يساعدني على تحديد مكانه وقلت : «خذ نفساً عميقاً واشرح لي ما حدث بالتفصيل .. لا تقلق فقط حافظ على هدوئك ..» .. حكى لي أنه استيقظ في مكان مظلم ومكتوم وأنه كان مستلقياً على ما يشبه مجموعة من الأغصان أو العصي الخشبية والرائحة المحيطة به تشبه الغبار النتن وعندما استخدم ضوء هاتفه المحدود اكتشف أنها كومة من العظام ويعتقد أنه في كهف ما فطلبت منه إرسال موقعه لي بالاستعانة بهاتفه

(المذيع) : هل هذه الهواتف التي تستعين بالأقمار الصناعية تملك تلك الخاصية؟ .. ثم كيف استطاع الحصول على إشارة وهو وسط كهف؟

(فاروق) : الهاتف الذي حصلنا عليه متطور جدّاً ويملك خاصية التواصل مع الهواتف الأخرى المشابهة له بشكل مباشر لمدى معين لا يتجاوز عدة كيلومترات وهذا التواصل يُمكنه من الاستفادة من الخط المفتوح في أي منها .. بمعنى أن هاتف صديقي كان متواصلاً معي بذبذباته فقط واستعان بهاتفي المتصل بالقمر الصناعي للحصول على إشارة .. هذا ما يجعل تلك الهواتف مميزة ومفيدة لمثل هذه الرحلات



(المذيع) : تقنية عجيبة لم أسمع عنها من قبل .. هل تمكنت من تحديد موقعه؟

(فاروق) : نوعاً ما .. فالموقع الذي أرسله لي أشار للوادي حيث بتنا قبلها بليلة ولم يخطر ببالي سوى ذلك الكهف الذي سمعنا منه الصوت المفزع فطلبت منه إغلاق الخط لتوفير البطارية وأن يبقى مكانه حتى أصل إليه بالرغم من أن ذلك كان سيستغرق بضع ساعات لكني اختصرتها بعدم حمل أي شيء معي لجعل حركتي أخف وأسرع عدى كشاف صغير أشعلته عند وصولي قبل الفجر بقليل أمام مدخل الكهف وناديت على (أيمن)

(المذيع) : وهل تلقيت إجابة؟

(فاروق) : لا .. وحاولت الاتصال به ولم يجب عليّ فدخلت الكهف واكتشفت أنه كان متشعباً وأكبر بكثير مما تصورت وشعرت أني لو توغلت فيه أكثر فسوف أتيه أنا الآخر وخلال حيرتي وتفكيري اتصل بي (أيمن) وكان صوته هذه المرة أكثر رعباً وجزعاً وكان يتنفس بسرعة ويلهث وكأنه يجري وقال: «هناك شيء معي هنا! .. إنه يلاحقني!» .. حاولت التماسك وأخبرته بأني في الكهف نفسه لكني لا أستطيع رؤيته أو سماعه لكنه لم يكن بحالة ذهنية تسمح له باستيعاب ما أقول ..

شعرت بأنه يصارع للبقاء على قيد الحياة فطلبت منه إرسال موقعه مجدداً ففعل وهنا صدمت ..

(المذيع) : لماذا؟

(فاروق) : الموقع الذي أرسله كان بعيداً جدًّا عن الموقع السابق وكأنه في منطقة مختلفة تمامًا ولو كنت سأسير نحوه فسوف أستغرق نصف يوم على الأقل لأصل إليه

(المذيع) : أليس من المحتمل أن يكون ذلك بسبب خلل ما في الأجهزة؟

(فاروق) : افترضت ذلك وقررت ألا أضيع وقتًا أكثر وأن أخرج من الكهف لطلب النجدة من الرقم الذي نحصل عليه من المراكز الأمنية والمخصص لمثل هذه الحالات الطارئة وكان تجاوبهم فوريّاً وطلبوا مني الموقع فزودتهم به وطلبوا كذلك الانتظار حتى يصلوا

(المذيع) : وصاحبك .. هل انقطع تواصلك معه بعدها؟

(فاروق) : هنا يأتي الجزء الغريب من القصة .. الجهات المختصة قالوا لي إنهم سيصلون على دفعات لموقعنا وأول من كان سيبلغ الموقع هو طوافة مخصصة للإجلاء السريع ستصلنا خلال ساعة فقط وسيتبعها سيارات الأمن والإسعاف التي ستستغرق ضعفي ذلك الوقت تقريباً لكن ما حدث هو أنه وبينما كنت أنتظر وصولهم

تلقيت اتصالاً من (أيمن) الذي لم يجب على اتصالاتي به لأكثر من نصف ساعة وعند إجابتي عليه قال لي بهدوء غريب إنه بخير وقد خرج من الكهف وفي طريقه للمنزل

(المذيع) : خرج كيف ومن أين؟

(فاروق) : هذا كان سؤالي تماماً ولم أجد منه أي إجابة واضحة أو مرضية فمجمل حواره معي ارتكز على طمأنتي وتشجيعي على الرحيل والالتقاء به في المنزل وقبل أن أحاول الاستفسار منه أكثر عن أي معلومات إضافية أغلق الخط والهاتف وفقدت الاتصال معه والأغرب من هذا كله المصطلحات التي استخدمها خلال حديثه

(المذيع) : ماذا تقصد؟

(فاروق) : مثلاً لم يكن يستخدم كلمة «منزل» أو «بيت» بل كان يقول «دار»، واستبدل بكلمة «أنا بخير» أو «أنا في أمان» عبارة «أنا غير ممسوس بأذى»، أو عبارة «أنا أخطو على الأرض بحرية» عندما كان يريد قول: «أنا أمشي» أو «أسير» .. مصطلحات غير مألوفة للحديث .. هل فهمت ما أعني؟

(المذيع) : نعم فهمتك... وعلى ماذا انتهى الموضوع؟

(فاروق) : وصلت الطوافة وعلى متنها رجل أمن وطبيب بالإضافة لقائدها وشرحت لهم ما حدث فطلبوا مني مرافقتهم لإعادتي للمدينة

لكني رفضت الرحيل دون صاحبي فأخبروني بأنهم سيبلغون الفرقة التي ستتبعهم بأن يبحثوا عنه في المنطقة كلها وأن وجودي لا فائدة منه في ذلك الوقت .. ولم يجدوه .. وبعد مضي ما يقارب العام على اختفائه فقد الجميع الأمل بعودته أو إيجاد جثته لأنهم افترضوا أنه تعرض للافتراس أو سقط في مكانٍ عميق يصعب الوصول إليه وكنت سأفقد الأمل مثلهم لولا الاتصال الذي وصلني منه قبل عدة أيام على هاتفي المركون في غرفتي في إحدى الليالي ..

(المذيع) : هل اتصل بك على الهاتف الخلوي الاعتيادي أم الآخر الذي يعتمد على الأقمار الاصطناعية؟

(فاروق) : كان بحوزته الاثنان لكنه تواصل من الهاتف النقال الاعتيادي ورأيت رقم هاتفه المخزن يشع بنوره على شاشة هاتفي ولم أصدق ما رأيته وفتحت الخط وبالفعل تحدث (أيمن) معي وكان بحالته الطبيعية لكنه بدا في حالة شبه مخدرة أو فاقدة للإدراك ولم يتمكن من قول شيء سوى: «أنا ما زلت أنتظرك في الكهف ..» وقبل أن أحاول أخذ تفاصيل أخرى منه انقطع التواصل معه مجدداً .. أنا على يقين بأنه لا يزال على قيد الحياة وينتظر مني إيجاده وكما أخبرتك في بداية اتصالي بأني سوف أعود قريباً لتلك المنطقة للبحث عنه وسأجده

(المذيع) : سيد (فاروق) .. صاحبك مات .. لا تعد إلى هناك كي لا تواجه المصير نفسه ..

(فاروق) : لكن ..

(المذيع) مقاطعاً : الهاتف الذي معه لن يعمل بعد عام وحتى لو حدث ذلك فمن تحدث معك لم يكن (أيمن) فمحاكاة الأصوات ليست بالأمر الصعب عليهم .. وهم يستطيعون التشكل وخداع ضحاياهم بسهولة لأنهم يملكون ذكاء عالياً وليسوا كالبهائم التي تحركها غرائزها فقط ومن الواضح أن هذا فخ منصوب لك

(فاروق) : عمن تتحدث؟ .. من تقصد بـ «هم»؟ .. جنّاً؟

(المذيع) : لا .. هذه الكينونات ليست من الجن .. فقط لا تعد لتلك المنطقة وتقبل مصير صديقك واطلب له الرحمة .. لنأخذ اتصالاً آخر

- سلام .. أريد المشاركة

(المذيع) : تفضل ..

- هل هناك علاقة بين قصر قامة الرجل وتسلطه؟

(المذيع) : لم أفهم قصدك

- لاحظت أن أكثر الرجال المتسلطين والمتعجرفين الذين تعاملت معهم خلال حياتي كانت قاماتهم قصيرة

(المذيع) : الخصائص الجسدية تؤثر بلا شك على تصرفات الفرد وتوجه ردود أفعاله لكن ليس بالضرورة في كل الأحوال فمثلاً



يشاع أن من تكون المسافة بين عينيه صغيرة يتصف بالحمق والتسرع لكن هذه ليست قاعدة يمكن الاعتماد عليها ولا يوجد لها أساس علمي يدعمها

- أعتقد أن قصار القامة من الرجال بالذات يحاولون دوماً إثبات هيمنتهم وسيطرتهم كتعويض عن نقص قامتهم خاصة إن تولوا مناصب قيادية تعطيهم سلطة على غيرهم

(المذيع): لا أتفق مع هذا التعميم

- حسناً ٩٩٪ منهم

(المذيع) باسماً: هل لقصتك علاقة بهذه المقدمة؟

- نعم .. مديري في عملي يبذل كل ما في وسعه وسلطته كي يجعل حياتي جحيماً ولا أجد سبباً لذلك فأنا لست مقصراً في أي جانب من جوانب متطلبات وظيفتي لكنه مع ذلك ينتهز كل فرصة لإثارة الملاحظات والانتقاص من أدائي ولم أجد مبرراً غير أنه يحاول تعويض نقصه الخاص

(المذيع): ذكرتني بثالث اتصال ورد في تاريخ البرنامج .. كان ذلك قبل عدة سنوات .. شخص مثلك كان يشكو من مديره بالعمل

- هل كان مديره قصير القامة أيضاً؟

(المذيع): أعتقد أن هناك سبباً آخر لتسلطه عليك عدا قصر قامته

- صدقني هذا هو السبب الوحيد .. قربه من الأرض يصيبه بالجنون ويريد ممارسة هذا الجنون علينا

وضعت (نرمين) كفها على فمها كاتمة ضحكة باغتتها من حديث ذلك المتصل الذي استأنف المذيع حواره معه باسماً وقال :

«تقول: «علينا» .. هل هذا يعني أن جميع زملائك يعانون من المشكلة نفسها؟»

- لم ينجُ أحد من تسلطه لكني أنا من حظي بنصيب الأسد بحكم تعاملي المستمر والمباشر معه لذا قررت الانتقام منه وتلقينه درساً لن ينساه

(المذيع) : إذا كنت قد ألحقت أي أذى جسدي به فأرجو أن تنتبه إلى أننا لا نرحب بمثل هذه المشاركات في برنامجنا وستكون معرضاً للمساءلة القانونية

- لقد بصقت في قهوته التي يطلب مني إعدادها له كل صباح .. هل هذا يعتبر جريمة؟

(المذيع) : جريمة أخلاقية بلا شك .. وماذا استفدت من ذلك؟

- شعرت بالراحة وأحسست بأني اقتصصت منه

(المذيع) : تصرفك لم يكن موفقاً كان الأولى محاولة الحديث والتفاهم معه .. هل كررت هذا الفعل الشنيع؟

- لم أكن أنوي ذلك لكن الأحمق وبخني لأن القهوة التي أعددتها له في اليوم التالي لم تعجبه وامتدح التي بصقت فيها فاستمررت

(المذيع): قصتك هذه لا تتماشى مع محتوى البرنامج

- ما حدث بعدها هو سبب اتصالي

(المذيع): وما الذي حدث؟

- بعد شهر تقريباً من إعداد القهوة وتقديمها له بالطريقة و«المكونات» أنفسها تغيرت معاملته معي تماماً وأصبح يتودد لي ويتقرب مني بدرجة مبالغ فيها ويقضي معظم وقته في مكتبي سواء كان لديه عمل أم لا وأحيانًا ألمحه يحدق بي باسماً بطريقة غريبة لدرجة أنه كان يُثني على عملي الذي لم تتغير طريقة أدائه نهائيّاً

(المذيع) بتهكم : في زمن الوقاحة أصبحت الأخلاق مصدرًا للدهشة .. أليس هذا ما كنت تريده منذ البداية؟

- بالطبع لا .. لقد أصبح كالورقة اللزجة العالقة بحذائي والتي لا يمكنني التخلص منها مهما ركلت .. شعرت باختناق شديد خاصة عندما بدأ يتصل بي خارج أوقات العمل بحجة أنه يريد أن يدعوني للغداء أو العشاء .. لا

يوجد أسوأ من قصير متسلط سوى قصير دبق .. لقد سبب لي إحراجًا كبيرًا مع زملائي الذين بدؤوا يتحدثون عنا وعن هذا التقارب المفاجئ لأنه لا يزال يعاملهم كما كان في السابق لكن أصبحت أنا المستثنى فقط ويومًا بعد يوم المشكلة تكبر وتعلقه بي يزداد ووصل لمرحلة مرضية

(المذيع) : هل توقفت عن البصق في قهوته؟

- نعم .. لكن ما علاقة ذلك بمشكلتي معه؟ .. أنا أريد التخلص منه فقط

(المذيع) : هل أفهم من ذلك أنك تفضل عودته لتسلطه السابق؟

- بل أتمنى ذلك فبعد ما كان علة مزعجة أصبح همّاً ثقيلاً وخانقاً

(المذيع) زافرًا : حسناً .. كم يوم إجازة تملك؟

- لا أعرف .. لدي عدد من الأيام المتراكمة .. ربما مجموعها يعادل ستين يوماً تقريباً

(المذيع) : لن تحتاج سوى أربعين منها سيكون ذلك كافياً .. ابتعد عنه وعن مكان عملك مدة لا تقل عن أربعين يوماً شريطة ألا تتواصل معه أبداً حتى يزول الأثر

- أثر ماذا؟



(المذيع) بتهكم : أثر جاذبيتك .. وعندما تعود للعمل ستجد مديرك قد عاد لرشده

- هل أنت متيقن من هذه الطريقة؟

(المذيع) : نعم .. ولا تبصق في قهوة أحد مجددًا .. شكراً لمشاركتك لنأخذ اتصالاً آخر ..

- أهلاً .. أنا بعكس المتصل السابق علاقتي مع مديري ممتازة بالرغم من أن مشاركتي تتعلق به نوعاً ما وعن معلومة أخبرني بها وأريد التحقق منها .. قالها المتصل ضاحكاً ..

(المذيع) : يسعدنا سماع ذلك .. تفضل نحن منصتون

- أنا أعمل في محطة كبيرة لتحلية مياه البحر وهي من المحطات القديمة وموقعها بعيد بعض الشيء فهي متمركزة على ساحل يبعد عن أقرب مدينة مئات الكيلومترات

(المذيع) : ولمَ اختيار موقع ناءٍ كهذا؟

- لأسباب كثيرة أهمها وجود مصانع في تلك المنطقة تستفيد منا ونستفيد منها وكذلك تفادياً لإلحاق أي ضرر بيئي بالشواطئ التي يرتادها الناس .. والمنطقة كان مخططاً لها أن تكون مدينة صناعية كبيرة لكن هذا لم يحدث وأصبح نقل المحطة مكلفاً بعد إنشائها فاستمرت تزود القرى والمدن القريبة منها بالمياه



المحلاة بواسطة أنابيب طويلة يمتد بعضها وسط الصحراء الفارغة وأحياناً تكون بمحاذاة الطريق السريع عند اقترابها من أي مدينة وجزء من عملي اختص بصيانة هذه الأنابيب لذا كنت أتنقل كثيرًا على مدار ٢٤ ساعة حسب الظروف الطارئة التي لا وقت محدداً لها والتي قد تنشأ في أي لحظة دون سابق إنذار

(المذيع) : عمل شاق ومتعب

- لكنه مجزٍ مادياً والحق يقال أن الشركة التي أعمل فيها تعوضني عن وقتي وجهدي بشكل لا يدعوني للتذمر

(المذيع) : الرضا الوظيفي من أسس الإنجاز ..

- وبسبب هذا الرضا تجاهلت ما حدث معي في إحدى الليالي: فبعد انتهائي من عمل صيانة دورية لجزء من الأنابيب الممتدة في قلب الصحراء وقفت مسندًا ظهري لأنبوب كبير لأدخن سيجارة قبل أن أركب سيارتي وأعود للمحطة .. بقيت أتأمل المكان المظلم حولي وأنا أنفخ سحابات الدخان في الهواء ومن شدة الهدوء المحيط بي كنت أستطيع سماع صوت الدخان وهو يخرج من فمي ولا أنكر أن ذلك وترني قليلاً فبدأت أصفر بعض الألحان بشفتي لأكسر ذلك الصمت حتى أنتهي



من سيجارتي لكنها سقطت من فمي بعد ما تعرضت لصفعة قوية

(المذيع): صفعة؟ .. من صفعك؟

- لا أعرف .. صحيح أن المكان كان مظلماً لكن ليس لدرجة تمنعني من رؤية شخص يقترب مني ويقف أمامي ليصفعني .. من صفعني كان شخصاً أو شيئاً لا يمكن رؤيته

(المذيع): وكيف تعرف أنها صفعة؟ .. لعلها ..

- الصفعة هي الصفعة ولا يمكن أن أتيه عنها .. اليد التي لطمتني كانت باردة وقوية ولا مجال للتشكيك بذلك

(المذيع): وماذا فعلت؟

- للوهلة الأولى لم أستوعب ما حدث ولم أهرب أو أجرِ بل بقيت سارحاً في الأفق المظلم ومشاعر الخوف والتوتر تختلط وتتقلب في جوفي وكما هو معتاد من أي مدخن عندما يكون بهذه الحالة

(المذيع) مقاطعاً: قمت بإخراج سيجارة أخرى وأشعلتها ..

- نعم .. ونفسًا بعد نفس استعدت توازني وهدوئي ورجحت أني تخيلت الأمر برمته وعدت للتصفير مجددًا لكن الصفعة

الثانية حسمت الموضوع ودفعتني للجري مسرعًا لسيارتي وركوبها والهرب من المكان ولم أتوقف إلا عند بوابة المحطة وعندما حكيت ما تعرضت له لمديري لم يستغرب وقال لي بأن هذا نتيجة صفيري في ذلك المكان .. ما رأيك في كلامه؟

(المذيع) : أتفق معه ..

- حقّاً؟

(المذيع) : نعم .. النهي عن التصفير معروف في حضارات كثيرة خاصة عند البحارة القدماء لاعتقادهم بأنها عادة تجلب المصائب وتحث العواصف على الهبوب .. لقد حركت سكوناً بصفيرك وأزعجت القاطنين وجاءك الرد على سوء أدبك من وجهة نظرهم

- هل تلمح إلى أنهم كانوا من الجن؟

(المذيع) : أيّاً ما كانوا فهم لم يقبلوا وجودك في ذلك المكان وإزعاجهم في تلك الساعة

سكت المتصل ولم يعلق على كلام المذيع ..

(المذيع) : هل لديك استفسار آخر؟

- لا، شكراً

(المذيع) : شكراً لاتصالك .. تبقى لنا وقت لمكالمة أخيرة قبل أن ننتقل لفاصل الساعة الثانية من حلقة الليلة .. تفضل نحن منصتون ..

- كيف حالك؟

(المذيع) : الحمد لله بخير .. تفضلي

- لدي مشكلة مع يوم الثلاثاء

(المذيع) باسماً : هذه أول مرة أسمع أحدًا لديه مشكلة مع يوم .. ولِمَ لديكِ مشكلة معه؟

- لم تكن لدي مشكلة معه أو مع أي يوم في السابق لكن مع مرور الأيام وتقدمي في العمر بدأت ألاحظ مصادفات غريبة تحولت لوقائع مخيفة عندما أصبح لدي مجموعة من البيانات الكافية لأصل لنتيجة حاسمة وهي أن هذا اليوم بالذات لدي مشكلة معه أو بالأحرى هو من لديه مشكلة معي

(المذيع) : تتحدثين عن يوم الثلاثاء وكأنه شخص

- أعرف أن ما أقوله قد يبدو للوهلة الأولى ضرباً من الجنون لكن معظم المنغصات في حياتي حدثت في ذلك اليوم .. تتراوح بين مشكلات بسيطة ومصائب عظيمة لكن لا يمكن أن أعيش يوماً من أيامه إلا بمصيبة أو خبر سيئ

(المذيع) : كل إنسان يمر بظروف صعبة ومواقف مؤلمة خلال حياته وهذا أمر طبيعي لعل الأمر مجرد مصادفات لا أكثر

- ألا تظن أني حاولت تبرير ذلك بالمنطق نفسه الذي تتحدث

به؟ .. لكن الحقيقة كانت أكبر من أن أتجاهلها .. لدرجة أن تبريراً بسيطاً مثل «النحس» لا يمكنه تفسير ما يحدث لي في هذا اليوم

(المذيع) : هل يمكن أن تذكري لي بعض الأمور التي حدثت لكِ في هذا اليوم كي يكون لدي تصور عما تتحدثين عنه؟

- سأذكر أبرزها لأنها أكثر من أن أسردها جميعًا .. بدأ الأمر عندما كنت في العاشرة تقريباً بوفاة أبي حين تلقيت الخبر وأنا ألعب وحدي في غرفتي .. أذكر ذلك اليوم جيداً .. كنت سعيدة يومها حتى بلغني خبر وفاته من أمي حين دخلت غرفتي وهي تبكي .. تعرضي لحادث مروري كدت أفقد حياتي بسببه .. وصول نتائج الفحص الطبي لابني الوحيد الذي تعرض لوعكة صحية التي أكدت إصابته بمرض مستعصٍ لم ينجُ منه .. وفاته كانت يوم الثلاثاء أيضاً .. استلام ورقة طلاقي .. تلقي رسالة فصلي من الجامعة .. الكثير والكثير من المصائب والنكسات التي عصفت بي طيلة الخمس والعشرين سنة التي عشتها في هذه الدنيا وقعت في ذلك اليوم المشؤوم والمضحك المبكي أن يوم مولدي هو الثلاثاء كذلك وبدأت أشعر أنه سيكون يوم موتي أيضاً

(المذيع) : من المحزن أن تكون أعظم مشكلاتنا ذات حلول بسيطة ..

- معنى ذلك أنك تملك حلًّا وتفسيراً لما أمر به؟

صمت المذيع لثوانٍ متفكراً ثم قال : ركزي على العلة وتجاهلي التعليل ..

- لا يهمني السبب بقدر الخلاص من هذه الدوامة .. هل تستطيع مساعدتي؟

(المذيع) : أحتاج منكِ قبلها بعض المعلومات قبل أن أجيبكِ

- اسألني ما تشاء

(المذيع) رافعاً نظره لساعة الحائط أمامه : لن نقوم بذلك على الهواء .. ابقي على الخط وسوف أكمل معكِ المكالمة بينما نأخذ الفاصل الثاني

أشار المذيع للمعدة بالانتقال للفقرة الإعلانية وتمرير المكالمة بشكل خاص ثم قال :

«زوديني بتاريخ ميلادكِ والوقت تحديداً إذا كنتِ تملكين تلك المعلومة ..»

بعد ما زودته المتصلة بالمعلومات التي طلبها والتي دونها على ورقة قام برسم بعض الدوائر والخطوط ثم قال : ما هو اسمك؟

- (بسمة) ..

(المذيع) : هل هذا اسمك الأصلي؟

(بسمة) : ماذا تقصد؟

(المذيع) وهو لا يزال يرسم المزيد من الخطوط والدوائر : أقصد هل هذا هو الاسم الذي منحه أبواكِ لكِ ولم تغيّريه؟

(بسمة) : لا لم أغيره .. لَم تسأل؟

(المذيع): اتركي الأسئلة لي .. فقط جاوبي

(بسمة) : حاضر

(المذيع) : أريد معرفة لون عينيكِ وشعركِ وكذلك لونكِ المفضل واسم والديك و..

أجابت (بسمة) على جميع الاستفسارات التي سألها المذيع ومع كل إجابة كان يقوم بإجراء تعديلات على الرسمة حتى انتهى منها وبقي يراقبها لثوانٍ ثم قال :

«خريطتكِ عجيبة .. حدوث مثل هذا التعامد شبه مستحيل .. هل مر بكِ يوم «ثلاثاء» بلا مشكلات أو تلقي خبر سيئ قط؟»

(بسمة) : نعم .. أكثر من مرة .. وكنت دائماً أتساءل عن السبب لكني لم أجده .. يحدث في بعض أيام «الثلاثاء» ألا يحدث شيء على

الإطلاق وأجتازه بسلام وأظن لوهلة أن الأمر انتهى لكن ما ألبث أن يخيب ظني ويحدث شيء ما يحطم تفاؤلي

(المذيع) رافعاً رأسه وكأن فكرة طرأت على باله : هل حدث لكِ شيء الثلاثاء الفائت؟

- لا

(المذيع) : أين كنتِ وقتها؟

- مسافرة مع أختي وكنا في ذلك الوقت على الطائرة ولا أخفي عليك أن رعباً شديدًا تملكني خشية حدوث شيء ونحن في الجو

(المذيع) : تقصدين أنكِ لم تفترقي عن أختك طيلة يوم الثلاثاء؟

- نعم .. فقد كنا بعضنا مع بعض من يوم الاثنين ولم نفترق لأننا بقينا نجهز لتلك الرحلة مما اضطرني للمبيت معها كي نخرج معاً للتوجه للمطار توفيراً للوقت

(المذيع) : توقعي في مكانه إذًا ..

(بسمة) : توقع ماذا؟

(المذيع) منتبهاً للمعدة وهي تشير له بقرب انتهاء وقت الفاصل :

«اسمعيني يا (بسمة) .. كل شيء مقدر ومكتوب وبيد الله ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بالمستقبل أو يعرف ما يخفيه لنا .. فطريقنا مرسوم منذ يوم ولادتنا .. لكن ..

(بسمة) : لكن ماذا؟

(المذيع) : بعض الظروف تحيد بنا عن مسارنا المرسوم قليلاً لكنها لا تستطيع أن تغير وجهتنا الحتمية .. هي أشبه بالعقبات أو المطبات في طريقنا والتي يمكن تفاديها لو رأيناها وهي مقبلة علينا مسبقاً .. هل فهمتِ ما أعني؟

(بسمة) : لا لم أفهم شيئاً ..

المذيع) : لا يهم .. المهم ما أريد منك القيام به كل يوم ثلاثاء .. تجنبي أن تكوني وحدكِ .. لا تقضي يوم «ثلاثاء» ولو كان ذلك لدقيقة واحدة بدون صحبة حتى ينقضي اليوم

(بسمة) : وإلى متى أستمر على ذلك؟

(المذيع) : للأسف مدى الحياة ..

(بسمة) : وهل هذا هو الحل لمشكلتي؟

(المذيع) : بإذن الله نعم

(بسمة) : سأفعل إذًا .. الأمر هين لو كان في ذلك خلاصي

(المذيع) : هل لديكِ استفسار آخر؟

(بسمة) : لا وشكراً لك

(المذيع) : لا تشكريني فقط كوني بأمان

أغلقت المتصلة الخط فأشار المذيع لـ (نرمين) خلال حرقه الورقة التي رسمها بولاعته عن جاهزيته لبدء الساعة الثالثة والأخيرة من حلقة اليوم ..

الحجاب والغمامة



«عدنا لكم مع الساعة الأخيرة لهذا اليوم ونستهلها مع الاتصال التالي .. تفضل نحن منصتون ..»

- بالطبع أنت منصت

(المذيع) : عفواً؟

- إلى متى سوف تخدع هؤلاء السذج الذين يتصلون بك لتتلاعب بمشاعرهم بهرطقاتك وخرافاتك؟

رفعت (نرمين) يدها في إشارة للمذيع عما إن كان يرغب منها قطع الاتصال لكنه أشار لها بعدم القيام بذلك وترك المتصل يكمل

كلامه .. استأنف المتصل حديثه وقال بنبرة خالطها السخط والتهكم:

«أنت مضلل محترف وتقتات على مخاوف الناس ومشاعرهم المستضعفة بسبب تلك المخاوف .. لست سوى مروج للخرافات لا يختلف عن أي مروج للمخدرات الذي يعتمد على تعلق ضحاياه بسلعته الفاسدة حتى يقضي عليهم وينتقل لغيرهم .. العلم الحديث لم يترك مجالاً لأمثالك ليزدهروا لكن حماقة الناس وجهلهم هما الوقود الذي يجعلكم تنتشرون كالعفن والسرطان الخبيث في جسد المجتمع ولن ترحلوا إلا بالاستئصال من الجذور ..»

(المذيع): وأنت من سيستأصلنا؟

- أنا واحد من كُثر كرسنا وسنكرس حياتنا لهدم صرحكم الورقي الهش .. لقد بلغنا من العلم مبلغاً من المفترض أن يخرجنا جميعاً من سحابة الجهل القاتمة وضبابيتها لنور العلم المشرق لكن أمثالك يشدوننا للخلف محاولين إعادتنا للعصور المظلمة .. زمن الدجل والسحر والخزعبلات

(المذيع): أنا مؤمن بمبدأ أن كثيرَ الكلام والتنظير غالباً يكون قليل العمل والإنجاز .. وأنا أشعر أنك من هذه الفئة من الناس .. سأقر

بأنك شخص مفوه وحديثك لماع لكنه سطحي جداً ويعبر بوضوح عن الجهل الذي تدعي محاربته

- العلم والجهل لا يجتمعان فأنا أملك من الشهادات العلمية ما يكفي لتغطيتك من رأسك لأخمص قدميك

(المذيع) : أنت تخلط بين العلم والحقيقة ..

- العلم هو الحقيقة المطلقة والوحيدة

(المذيع) : قمة الجهل هو أن نظن أننا وصلنا للحقيقة المطلقة ..

- لا تستأْ لأنك تحاور شخصًا عاقلاً ومطلعاً بعكس أغلب المتصلين على برنامجك من السذج وعامة الناس

أخذ المذيع نفساً عميقاً ثم قال :

«حسناً أيها المطلع سوف أسألك سؤالاً وأريدك أن تجيبني من علمك الواسع ..»

- إن كنت أعرف الإجابة فسوف أجيب وعدم معرفتي لن ينقص مني شيئاً

(المذيع) : أخبرني إذاً .. من اخترع الكهرباء؟

- ما هذا السؤال التافه؟ .. «توماس أديسون» هو مخترع الكهرباء وهذا شيء معروف لأي شخص يملك أبسط أسس الثقافة

العامة ... هل هذا سؤالك؟ ... كنت أظنك ستتحداني بسؤال أكثر ملاءمة لحصيلتي العلمية وليس بسؤال لا يرقى لأن يكون جزءاً من مسابقة للأطفال

(المذيع) : ومع ذلك لم تجب عليه بشكل صحيح .. الكهرباء طاقة موجودة حولنا وداخلنا منذ الأزل والإنسان اكتشفها بالملاحظة .. فهي اكتشاف وليست اختراعاً من الأساس .. هذا من جانب .. الجانب الآخر هو أن «أديسون» ليس أول من اكتشف الكهرباء بل هذا الفضل منسوب لعالم آخر لكنه اخترع المصباح الكهربائي الذي وظف من خلاله الكهرباء الموجودة والمكتشفة سابقاً .. هل فهمت يا صاحب العلم المطلق أم أعيد لك الإجابة؟

- ماذا تريد أن تقول؟ .. إني أحمق؟

(المذيع) : إنك مغيب .. تتقلب في وحل الجهل بسبب القناعات التي أقنعت نفسك بها أو أملاها عليك الناس من حولك .. الحشرة لا تدرك أنها حشرة حتى تداس أو يحرقها ضوء مصباح معلق اندفعت نحوه ظنّاً منها أنها ستخترقه .. أنت لا تقرأ بفهم لذا تترك المجال للغير لأن يقولبوك كما يشاؤون بسهولة .. سعيد بقطعة ورق تعتبر أنها صك غفران وتبرير لإغلاق عقلك عن العالم المتغير

من حولك .. مثل بعض رجال الدين الذين يدعون أنهم وصلوا «لليقين» ويرفضون أي اجتهاد يتبع اجتهادهم القاصر متجاهلين قصورهم كبشر والأسوأ من ذلك كله أنك صدقت أنك تملك علماً ومعلومات تغنيك عن البحث عن غيرها .. العلم وسيلة للحصول على المزيد من العلم وليس للوصول لمرحلة الاكتفاء منه .. العلم ماء بحر في غزارته ومهما نهلت منه لن ترتوي وستعطش للمزيد والمزيد .. هذا لو كنت تنهل من المصدر الصحيح لكن عندما يكون المصدر بركة راكدة من الماء العكر فسوف تكتفي بسرعة بما شربت وتتقيأ ما احتسيته علينا كما فعلت للتو .. كونك اقتنعت أو أقنعت نفسك أنك بلغت القمة وحملت الشعلة فهذا لا يعطيك حق الانتقاص مني ومن مستمعي البرنامج الذين اختاروا التواضع أمام عظمة العلم والعالم الكبير من حولهم وظنك أنك أفضل منهم ومن أي شخص لا يوافق هواك هو أمر مثير للشفقة حقّاً .. أنت أجهل متصل اتصل بالبرنامج ولا أظن أن أحدًا سيتفوق عليك في نيل هذا الشرف الذي حظيت به وإن كنت ترغب بشهادة ورقية موقعة ومختومة على ذلك فأنا مستعد لإرسالها لك لأنه من الواضح أن العلم بالنسبة لك مجرد ورقة يمكن لأي ريحٍ عابرة حملها والرمي بها في أقرب سلة مهملات ..

- شخصنتك للأمر دليل على عجزك وضعف حجتك .. أنا المنتصر في هذا الحوار

(المذيع) : نحن لسنا في معركة كي تنتصر أيها الأحمق .. أردت فقط أن يسمع الناس الضياع الذي يعيشه أمثالك كي لا يتأثروا بخطاباتكم البراقة المعمية للبصر والبصيرة

- أنا رجل علم ولا أستقي علمي إلا من الأدلة العلمية الواضحة وكل شيء لا يُفسر علميًا لا يزيد على كونه خزعبلات يروجها المحتالون أمثالك ومهما حاولت غسل دماغي بترهاتك وإدخالي في متاهاتك فلن تنجح

رفع المذيع رأسه ووجه نظره المحتقن لـ (نرمين) التي أعطته نظرة عبرت فيها عن نصيحتها بإنهاء الحوار لكنه عاد وقرب فمه من الميكرفون وقال بهدوء :

«حسناً يا رجل العلم أريدك أن تفسر لي أمرًا واحدًا بشكل علمي ولو فعلت فسوف أنهي هذا البرنامج ولن نذيع حلقة أخرى ..»

- تفضل يا سيد الخرافات

(المذيع) : هل تقابلنا أنا وأنت من قبل؟

- لا .. ولا يشرفني أن أقابل شخصًا مثلك

حرك المذيع رأسه جانباً وكأنه ينصت لأحدٍ بجانبه وقد لاحظت (نرمين) ذلك ثم قال:

«كيف إذًا أعرف أن اسمك هو (تركي) وأنك في منتصف الخمسين وتعمل محاضرًا للتاريخ في إحدى الجامعات .. متزوج ولك ابن وحيد اسمه (حسام) ويدرس في الجامعة نفسها التي تحاضر فيها .. دعنا من هذا .. لنتحدث عنك أنت أكثر .. أنت حالياً وخلال حديثك معي تلبس خاتماً بفصٍّ أخضر في خنصر يدك اليمنى ولديك وحمة مميزة على رقبتك تشبه الطائر وكذلك أعرف أنك تحدثني الآن من سيارتك المركونة بجانب محل لبيع الإطارات لأنك تريد فحصها قبل قيامك برحلة خلوية ما مع أسرتك في إجازة منتصف العام...»

- كـ.. كيف .. كيف عرفت كل هذا؟!

مشعلاً سيجارة وبنبرة ساخرة: أخبرني أنت؟ .. ما تفسيرك العلمي لكيفية حصولي على هذه المعلومات؟

(تركي) صارخاً: أنت مشعوذ!

(المذيع) متهكماً: كنت أظن أن السحر والشعوذة شيء غير علمي .. هل هذا تفسير رجل مؤمن بالعلم فقط؟

(تركي) وهو مستمر بالصراخ بسخط: أنت ساحر! .. ساحر!

(المذيع) : الصراخ ليس هو الإجابة العلمية التي أنتظرها منك .. بقي لديك محاولة أخيرة قبل أن ننهي الاتصال

أغلق (تركي) الخط ..

(المذيع) : «شكراً لاتصالك يا سيد (تركي) وخذ الحذر فإطارات سيارتك مهترئة وأنصحك بتغييرها قبل رحلتك وقبل أن تعود للمنزل لزوجتك (هدى) .. تواصل معنا عندما تجد تفسيرًا علميًا لما أخبرتك به للتو ..»

خلع المذيع السماعات ونهض من مكانه والسيجارة لا تزال بين أصابعه وخرج من الاستديو تاركاً (نرمين) سارحة في ذهول قبل استعادة تركيزها ونقل البرنامج لفقرة إعلانية .. بعد أن أمضت المعدة المشتتة عدة دقائق مع نفسها ونظراتها تجول بين باب الخروج المفتوح وبين طاولة المذيع قررت النهوض والبحث عنه لأنها شكت بأنه لن يعود لكنها اطمأنت عندما شاهدته يقف في نهاية الممر يكمل تدخين سيجارته فاقتربت منه ووقفت خلفه قائلة :

«كيف حصلت على تلك المعلومات عن ذلك الرجل؟»

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان للأعلى دون أن يلتفت إليها : تقصدين العالم؟

(نرمين) : نعم .. كيف تمكنت من معرفة كل تلك الأمور الشخصية عنه؟

(المذيع) : مجرد تخمين لا أكثر ..

(نرمين) : أنا لست حمقاء كي تقول لي ذلك .. هل أنت متفق معه لتعطي البرنامج بعض التشويق من باب الدعاية؟

(المذيع) آخذاً نفسًا آخر من سيجارته : تبرير جيد .. سأستخدمه

(نرمين) بقلق : هل أنت ساحر بالفعل؟

(المذيع) مديراً نظره نحوها باسماً وهو ينفخ سحابة من الدخان : وهل كل شيء في هذه الدنيا يجب أن يكون محصورًا بين السحر والعلم؟

(نرمين) : ماذا إذاً؟ .. فسر لي ما حدث للتو

(المذيع) معيداً وجهه للجانب الآخر مجدداً آخذًا نفسًا من سيجارته : كما قلتِ .. اتفاق مسبق لإعطاء بعض الحماسة للبرنامج

(نرمين) : أنا لا أصدقك ..

(المذيع) : هذه ليست أول مرة أسمع هذه العبارة .. عودي لمكانكِ وسوف ألحق بكِ بعد ما أنتهي

(نرمين) : تنتهي من ماذا؟

رفع المذيع السيجارة التي أوشكت على الانتهاء عالياً دون أن يتحدث ..

(نرمين) : آه فهمت .. حسناً سأكون بانتظارك

سارت (نرمين) بضع خطوات مبتعدة عن المذيع وعند وصولها لمدخل الاستديو وقبل دخولها سمعته يتحدث لكن كلامه لم يكن واضحاً لبعد المسافة بينهما فظنته ينادي عليها فعادت له وعندما أصبح في مرمى بصرها رأت وكأنه يتحدث مع نفسه فخطر ببالها أنه يتحدث عبر الهاتف بسبب حركة يده المعبرة ونبرة صوته المجادلة لكنها صُدمت حين أمعنت النظر واكتشفت أنه يتحدث للهواء وأن كلتا يديه فارغة تشوح وتشير من وقتٍ لآخر وكأنه يتكلم مع شخص لا وجود له وكانت ردة فعلها الأولى هي أن تتوارى عن الأنظار في حال ما التفت عليها والاقتراب منه تدريجيّاً قدر الإمكان لتسمع تفاصيل ذلك الحوار لكنها لم تتمكن إلا من سماع أجزاء متقطعة منه وكانت كالتالي :

«هل تظن أني استعجلت بمكاشفة ذلك الأحمق ..؟»

«أعرف أنك تنفذ دون سؤال لكني أشعر بأني قد تسرعت ..»

«ربما لم يلاحظ أحد ..»

«أعرف أنها انتبهت لكن لن يخطر ببالها أن ما حدث هو ..»

«حسنًا .. حسنًا .. اسكن واسكت الآن ولا تزعجني ودعني أكمل الحلقة ..»

وضعت (نرمين) كفها على فمها وانسحبت بهدوء من المكان قبل أن يلحظ المذيع وجودها وعادت للاستديو وجلست مكانها دون أن تلفت انتباهه ..

عاد المذيع ودخل للاستديو وتبسم لـ (نرمين) خلال سيره نحو مقعده لكنها لم تبادله الابتسام وكان واضحاً عليها القلق والتوتر فقال لها وهو يضع السماعات على أذنيه : ما بكِ؟

(نرمين) : أنا؟ .. لا شيء

(المذيع) مشيراً بيده لها : هيا إذًا .. لنكمل البرنامج

(نرمين) وهي تحول الاتصال الجديد بشيء من الارتباك : حاضر

(المذيع) : تفضل نحن منصتون ..

- لقد ارتكبت خطأً شنيعاً ستدفع ثمنه قريباً أيها الأحمق!

أشار المذيع بلا اكتراث لـ (نرمين) بقطع الاتصال والانتقال للمتصل التالي ..

- أهلاً .. هل أنا على الهواء؟

(المذيع) : نعم تفضل ..

- لدي مرتبة خاصة للنوم

(المذيع) : تقصد أنها تملك خصائص طبية؟

- ليس تماماً .. خصوصيتها تكمن في أنها أول مرتبة حصلت عليها

(المذيع) : لم أفهم

- منذ صغري كنا أنا وإخوتي ننام على الأرض .. لا أعرف إن كانت ظروف أبي المادية هي السبب في عدم شرائه سرائر خاصة بنا بمراتبها المستقلة أم أن المسألة مجرد عادة .. على أي حال حصلت على غرفتي وسريري الخاص عندما كنت في المرحلة الثانوية حين انتقلنا لبيتنا الجديد وتلك المرتبة هي الوحيدة التي كنت أنام عليها براحة تامة دون منغصات ومهما اشتريت مراتب أخرى غيرها أعود إليها وأجدد مفارشها فقط لأن النوم يهجرني إذا لم أستلقِ عليها هي بالذات ..

(المذيع) : لعل السر في السرير وليس المرتبة

- لا فلقد جربت تغيير كل شيء .. حتى الوسادة غيرتها أكثر من مرة .. السر بلا شك يكمن في تعلقي بالمرتبة أو تعلقها هي بي

(المذيع) : ماذا تقصد بـ «تعلقها بك»؟

- لا أدري .. أشعر بأني حين أبتعد عنها لبضعة أيام تقوم بمضايقتي خلال نومي عندما أنام على المراتب الأخرى

بالكوابيس التي لا تزورني إلا في ذلك الوقت وأضطر للعودة إليها كي أجد الراحة والخلاص من هذه الرؤى والمنامات المزعجة

(المذيع) : أنت مدرك أن حديثك عن تلك المرتبة يشبه من يتحدث عن ..

- أعرف .. لست أول من يثير هذه النقطة لكن الأمر ليس بيدي .. البعض بدأ يفسر ارتباطي بها بأنه مرضي وغير صحي لكني لم أهتم واحتفظت بها وتمكنت من تجاهل تعليقات كل من حولي حتى يوم زواجي وهو ما كان مفترق طريقٍ أجبرني لفترة محدودة على فراقها فلم تكن زوجتي لتقبل النوم على تلك المرتبة القديمة مهما حدث

(المذيع) : وهل تمكنت من قطع وإنهاء هذه العلاقة الغريبة بعد زواجك؟

- بل تعقدت حياتي أكثر وواجهت مصاعب جمة في النوم وتكررت عليّ الكوابيس وأصبحت أشد وأعنف من ذي قبل ووصلت لمرحلة أستيقظ فيها أحياناً صارخاً مفزوعاً وكنت أنتهز أي فرصة لزيارة أهلي والصعود لغرفتي والنوم على مرتبتي القديمة لدرجة أن أمي كانت تقول إني لا أزورها إلا

للنوم وبدأت تشك بأني لست مرتاحًا في زواجي وفي بعض الأوقات أستيقظ على اتصال من زوجتي وهي تبحث عني لتأخري بالعودة للمنزل بسبب غرقي بلا شعور في النوم لعدة ساعات .. جربت العلاج النفسي لكن لم يسفر الكشف والجلسات عن أي علة بي .. كنت فقط أحب مرتبتي ولا أرتاح إلا عليها

(المذيع) : بداية أي علاج تأتي من رغبة صاحب العلة في التخلص منها ..

- أخبرتك بأني حاولت التخلص من المرتبة بالابتعاد عنها لكني لم أقوَ على ذلك

(المذيع) : العلة ليست في المرتبة ..

- فيّ أنا .. أعرف ..

(المذيع) : ولا فيك .. لن أدخل بتفاصيل تاريخك مع تلك المرتبة لكن هناك شيء يربطك بها .. وسيط جذبه سلوك ما في الماضي وهو يرفض الرحيل

- اعذرني لكني لم أفهم .. لا أريد سوى أن تستقر حياتي مع زوجتي وأن أنام براحة ولا يهمني أين ومتى وإن كنت تملك حلًا فلا تبخل به عليّ فقد وصلت لطريقٍ مسدود

(المذيع) : احرقها ..

- أحرق ماذا؟

(المذيع) : بالتأكيد لا أقصد زوجتك .. المرتبة .. أضرم النار بها واستخدم رمادها لحشو وسادتك ونم عليها لمدة لا تقل عن أسبوع

- وهل ستزول الكوابيس بهذه الطريقة؟

(المذيع) : سيزول كل شيء وستجد نفسك تستطيع النوم في أي مكان وعلى أي سطح

- هل أنت متيقن؟

(المذيع) : نعم ..

- شـ.. شكراً

(المذيع) : العفو .. لننتقل للمتصل التالي

تحدثت فتاة بنبرة خالطها شيء من السخرية والتأفف وقالت : «ليس لدي مشاركة لكن استفسار ..»

(المذيع) : تفضلي

- ماذا تستفيد من مساعدة الناس؟

(المذيع) : ماذا تقصدين؟

- أقصد ما المقابل الذي تحصل عليه؟

(المذيع) متهكماً: لوقتٍ ليس بالبعيد كنت أساعدهم مقابل علب السجائر

- أنا أتحدث بجدية لذا تحدث معي بجدية!

(المذيع): كيف أتحدث بجدية مع شخص لا يستطيع رؤية الفائدة من مساعدة الناس ولا يستشعر النعمة التي تعود بها عليه؟ .. هذا إن صح لي تسميته بإنسان من الأساس

- هل تقصد أني حيوانة؟!

وهو يشير لـ (نرمين) بقطع الاتصال: «أنتِ من قالها وليس أنا .. لنأخذ اتصالاً آخر ..»

- الحمد لله أن دوري قد جاء .. لقد كنت أنتظر على الخط لفترة تجاوزت الساعة

(المذيع): المعذرة منك لكننا نواجه بعض الازدحام في الاتصالات خاصة في الساعة الأخيرة

- لا بأس سأقدم مشاركتي وأحاول الاختصار قدر الإمكان كي أعطي المجال لغيري

(المذيع): تفضل نحن منصتون ..

- سأبدأ من اللحظة التي تلقيت فيها رسالة نصية على هاتفي المتنقل وأنا في طريق سفر بسيارتي .. الوقت كان بعد المغرب وكنت وقتها قد قطعت مسافة طويلة على خط سريع عبر من خلال أراضٍ زراعية بالرغم من أن المنطقة صحراوية .. أعتقد أنها مشروع تشجير ما لوقف زحف الرمال .. لا أعرف .. كل ما أعرفه هو أن الرقعة الزراعية كانت كبيرة جدًا ومنتشرة على جانبي الطريق وكثافتها وعلو أشجارها جعلا من ظلمة الليل أشد حلكة .. توقفت على جانب الطريق كي أرد على الرسالة لأني لا أفتح أو أستخدم هاتفي خلال القيادة مهما حدث خاصة في الكتابة والرد على الرسائل

(المذيع) : قرار حكيم أتمنى من الجميع أن يحذوا حذوك ..

- هذي عادة عودت نفسي عليها بعد ما كنت سأفقد حياتي سابقاً بسبب استخدام الهاتف خلال القيادة .. على أي حال .. الرسالة كانت من أحد أصدقائي وقمت بالرد عليه وإعادة هاتفي لمكانه في منصة الشحن وهممت بالتحرك لكن وقبل أن أفعل فُتح باب السيارة وركب رجل يلبس ثوباً متسخاً يلف وجهه بوشاح أو خرقة ما ولم يظهر منه سوى عينيه وجلس بجانبي وبقي يحدق أمامه صامتاً .. في البداية شعرت بالفزع لكني

لم أبدِ أي جزع قولاً أو فعلاً وحاولت تحليل الموقف بسرعة في عقلي وأنا أراقبه وتصورت أنه شخص يحتاج توصيلة ما أو كان ينتظر أحدًا واختلط عليه الأمر أو أن سيارته تعطلت أو تعرضت لحادث .. تساؤلات كثيرة عصفت في ذهني في ثوانٍ معدودة قررت حسمها بتوجيه سؤالٍ له فقلت: «هل يمكن أن أخدمك بشيء؟» .. لم أتلقَّ أي إجابة منه ولم يلتفت نحوي حتى ولم أستطع رؤية ملامحه وتعابير وجهه لأعرف ما إذا كان سمعني أصلاً

(المذيع): وماذا فعلت؟

- قد تستغرب مما سأقوله لكني حركت السيارة واستأنفت مسيري على أمل تحدثه خلال الطريق .. أعرف أن هذا التصرف قد يبدو غير منطقيٍّ لكني شعرت أن هذا هو التصرف السليم وقتها

(المذيع): وهل تحدث بعد ما تحركتما؟

- لا أستطيع تسمية ما صدر منه بالحديث .. كان أشبه بالأنين وكأنه متوجع فسألته إن كان مصابًا أو يحتاج لعناية طبية لأن وقتها بدت نظرية تعرضه لحادث أو أن سيارته انقلبت أكثر منطقية في ذهني وعدم رده عليّ هو لأنه لا يزال مصدوماً ..

كنت أحاول تبرير ما يحدث بأي طريقة لكن وبعد ما بدأ بالصراخ والضرب بقبضته على الزجاج الجانبي ودخوله بحالة من الهيجان أوقفت السيارة في الحال وفتحت الباب وجريت هرباً واختبأت بين مجموعة من الشجيرات وبقيت أنصت لصرخاته حتى توقفت وبعد فترة من الصراع مع نفسي قررت العودة .. ولم أجده .. لم أمضِ لحظة واحدة في المكان للتفكير فيما حدث وانطلقت مسرعاً هرباً من المكان

(المذيع) : لدي سؤال قد يبدو غريباً لكن هل كان لهذا الشخص رائحة مميزة؟ .. أقصد عندما ركب معك هل شممت شيئاً لفت انتباهك؟

- نعم تذكرت الآن .. بالفعل تساؤلك في مكانه لقد كان هناك رائحة لكن ليس خلال وجوده بل بعد ما اختفى .. أذكر بوضوح شعوري بالغثيان طيلة الطريق إلى أن وصلت لوجهتي وأني اضطررت لغسل السيارة في اليوم التالي عدة مرات قبل أن تزول تلك الرائحة المقيتة تماماً

(المذيع) : الرائحة كانت أشبه بالدم الساخن أو اللحم النيء ..

- بالضبط .. كيف ..

(المذيع) مقاطعاً: دعني أقلْ لك بأنك محظوظ جدّاً لأنك لا تزال على قيد الحياة .. قليل من ينجون من مثل هذه المواجهة

- فعلاً .. يبدو أنه قاطع طريق مختل أراد سرقتي وغالباً كان ذلك الرجل سوف يقتلني

(المذيع): هذا لم يكن قاطع طريق أو رجلاً من الأساس .. هذا «متنعل»

- «متنعل»؟

(المذيع): هذا هو الاسم الشائع له ..

- شائع عند من؟ .. هذه أول مرة أسمع بهذا المصطلح

(المذيع): «المتنعل» نوع من الكينونات الانتهازية التي تقتات على اللحوم بعكس المألوف على بني جنسها من الفصيلة نفسها التي تفضل العظام .. من المثير للاهتمام أنه حاول التشكل لك كبشر فهذا ليس التشكل المحبب لها .. أعتقد أنه كان يريد الإيقاع بك بأي طريقة .. مصادفتها نادرة جدّاً لكن عندما تحدث فمن غير المحتمل أن ينجو من يراها ليحكي حكايته كما فعلت اليوم

- لا أعرف ماذا أقول ..

(المذيع): قل الحمد لله فقط .. لنأخذ اتصالاً آخر



- صباح الخير .. أعتذر مقدماً لو بدا حديثي متلعثماً بعض الشيء فقد أحرقت لساني للتو وأنا أحتسي الشاي

(المذيع) : لا داعي للاعتذار .. ضع بعض السكر عليه .. هذا سيعجل من تماثله للشفاء

- حسناً سأفعل بعد ما أغلق الاتصال مباشرة .. شكراً للنصيحة

(المذيع) : العفو .. تفضل نحن منصتون ..

- أبي يحب السفر كثيراً .. ولا يستهدف في رحلاته المدن الصاخبة بل المناطق الطبيعية في كافة أرجاء العالم فتجد وجهته غالباً هي الجبال والشلالات والغابات وغيرها ودائماً ما كان يأخذنا معه .. أنا وأمي وأخي الصغير .. الحادثة التي سأرويها وقعت في إحدى تلك الرحلات عندما سافرنا لدولة أوروبية نهاية فصل الشتاء وبداية أيام الربيع .. أراد أبي زيارة غابة مشهورة وجميلة هناك وقمة جمالها تكون في ذلك التوقيت من العام فاستأجر لنا كوخاً صغيراً وسطها وهذا لم يكن خارج المألوف فالمنطقة مهيأة لاستقبال السياح والأكواخ منتشرة في المنطقة لكن المسافات بينها كبيرة لإعطاء المرتادين نوعاً من الخصوصية على ما أظن .. المهم .. هذه كانت تجربتي الأولى أنا وأخي في زيارة غابة بتلك الكثافة والحجم وفي الحقيقة

شعرنا بالخوف والوحشة منها حتى خلال النهار بعكس أبي وأمي اللذين كانا مستمتعين بكل دقيقة لكننا لم نتمكن من عيش المتعة نفسها وكنا دوماً نشعر أن هناك شيئاً يتربص بنا خلف الأشجار المنبسطة على مد البصر والضباب الذي يغشاها من وقت لآخر لم يساعد أيضاً على ذلك

(المذيع) : مشاعركما طبيعية .. الغابات بالشكل الذي وصفته موحشة فعلاً ولا يدرك المرء ذلك إلا عندما يكون وسطها .. كم كان عمركما وقتها؟

- أنا كنت في الرابعة عشرة وأخي في الثانية عشرة .. كانت بالفعل علاقتنا بالغابات قبلها كلها خيالات جميلة ووردية مما عرفناه من الرسوم المتحركة لكن .. لم أكن أعرف أنها قد تكون بذلك السواد المرعب وما حدث لنا حسم موقفنا ومشاعرنا تجاهها وسبب لنا عقدة نفسية ورهابًا حقيقيًّا منها لم نتجاوزه إلى اليوم

(المذيع) : ما الذي حدث معكما؟

- استيقظنا في أحد الأيام باكرًا .. قبل الفجر بقليل .. وهذا كان طبيعيًّا بحكم أننا ننام بعد العشاء مباشرة بسبب الملل وقلة الأنشطة الممتعة لصبية في عمرنا .. أمي وأبي وقتها كانا

لا يزالان نائمين فلم نوقظهما وخرجنا أنا وأخي نستكشف المكان حول الكوخ متجاهلين وحشته وكثافة الضباب المحيط به وكنا حريصين على ألا نبتعد كثيراً كي لا نتيه لكن ولسبب ما هذا ما حدث وأخذنا نسير بلا وجهة بحثاً عن طريق العودة دون جدوى ولم نكن نعرف هل كنا نقترب أم نبتعد عن كوخنا .. كان شعوراً مخيفاً جداً شعرنا وكأننا نغرق في مستنقع من الضياع والتيه وأننا لم نعد في عالمنا وبالرغم من أن الشمس أشرقت إلا أن نورها لم يصل إلينا بشكل كافٍ ويوفر لنا رؤية أفضل لكثافة وعلو الأشجار بالإضافة للضباب الذي لم ينقشع بعد .. كان الجو باردًا جدًّا .. أكاد أقسمُ أن الاغصان حولنا تهامست .. رأينا بصيص أمل للخروج من ذلك الجحيم النفسي عندما ظهر فجأة أمامنا كوخٌ آخر خلال تجولنا في الغابة الكثيفة فاستبشرنا خيرًا وظننا أنه جزء من الأكواخ السياحية في المنطقة وأننا سنجد من يرشدنا للطريق ويساعدنا على الرجوع لكوخنا بسلام .. لكن وبعد فتح الباب صدمتنا رائحة الهواء المكبوت الخانقة والممزوجة برائحة أخرى كانت تفوح منه أشبه بالبول الجاف .. أدركنا حينها أن الكوخ مهجور ولن نجد فيه شيئاً يفيدنا فقررنا الرحيل

والمحاولة مجددًا لإيجاد طريق العودة خاصة وأن الشمس وقتها قد ارتفعت قليلاً ومعظم الضباب قد تبدد

(المذيع) : وكم أخذتما وقتاً حتى تمكنتما من العودة؟

- لم نعد إلا مساءً .. ليس لأننا لم نجد الطريق بل بسبب ما اعترض طريقنا .. كنت أنا من يتقدم المسير وأخي من خلفي ببضع خطوات لذلك لم يرَ ما رأيته ولم أخبره كي لا يفزع ويقوم بشيء قد يعرضنا للخطر مثل الصراخ أو الجري بشكل عشوائي في أي اتجاه

(المذيع) : ماذا رأيت؟

- للوهلة الأولى ظننته دباً لكن وجهه كان كوجه الكلب أو الذئب .. وقف على قوائمه الخلفية مثل البشر متوارياً خلف شجرة كبيرة تبعد عنا مسافة عشرين متراً تقريباً .. قامته طويلة وأسنانه صفراء مثل عينيه الميتتين .. يختلس النظر ويطل برأسه من وقتٍ لآخر وكأنه ينتظر الفرصة المناسبة للهجوم والانقضاض علينا .. تظاهرت بأني لم أنتبه له بالرغم من أن جسدي وأطرافي كانت ترتجف بشدة من الرهبة وقد لاحظ أخي ذلك فسألني عن السبب فقلت له بأني أشعر بالبرد واستغللت فرصة حديثه معي وأمسكت بيده وقلت له

بأننا سنغير وجهتنا ولحسن الحظ أنه لم يمانع أو يجادل وبعد ما أخذنا بضع خطواتٍ نحو خط سيرنا الجديد سمعت صوت بعض الأغصان تنكسر خلفنا فعلمت بأن ذلك الشيء هجر مكانه وبدأ يتعقبنا .. كنت حريصاً أن أوهمه بأننا في غفلة عن وجوده لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي منعه وجعله مترددًا ومتريثاً في الهجوم .. أراد أن يقترب أكبر قدر منا قبل الانقضاض علينا وكنت أعرف ذلك

(المذيع) : وكيف انتهى الأمر؟

- مَنَّ الله علينا بالفرج عندما بدأت كثافة الأشجار تقل ورأيت في الأفق أننا مقبلان على ساحة عشبية خضراء كالمرعى فشددت ذراع أخي بقوة وجريت بسرعة دون النظر ورائي حتى خرجنا من الغابة ولم نتوقف إلى أن اعترض طريقنا قطيع من الأغنام تقوده سيدة جرينا إليها بسرعة وعانقناها وبدأنا نبكي

(المذيع) : وهي من أعادتكما لأهلكما؟ ..

- لا .. لم نستطع الكلام معها بلغتها فأخذتنا لمنزلها وبعد قليل حضر على ما أظن زوجها وأخذنا لمركز الشرطة وبعد فترة أتى أبي لاستلامنا ..

(المذيع) : ألا تعتقد أن ما رأيته قد يكون مجرد حيوان عادي لكن خوفك المتراكم لضياعكما في الغابة جعل من رؤيتك وتصورك له أمراً أكثر رعباً في عقلك؟ .. ومسألة وقوفه على قوائمه الخلفية جزء من هذا التوهم

- فكرت في الأمر لاحقاً بعد عدة سنوات لكن هناك شيء لم أجد له تفسيرًا حال دون تبني هذا التفسير

(المذيع) : ما هو؟

- أن ذلك الحيوان لم يملك فراءً كالدببة أو الذئاب بل كان جلده أملسَ كجلد الإنسان لكن بلون مائل للكدرة .. وأنا لا أعرف حيوانًا بتلك المواصفات .. هل تعرف أنت؟

(المذيع) ونظره يوجه لـ (نرمين) التي أشارت له بأن الساعة الثالثة أوشكت على الانتهاء :

«لا .. لا أعرف .. شكراً لاتصالك .. تبقى لنا وقت قليل قبل أن ننهي حلقتنا اليوم .. سوف نستقبل اتصالين فقط ونعتذر لكل من اتصل ولم يحالفه الحظ بالمشاركة .. لنأخذ الاتصال قبل الأخير لهذه الليلة»

- مرحباً .. أنا (ضاحي) وأعمل كرئيس لفريق الغطس التابع

لوزارة الداخلية وأرغب بمشاركة واقعة حدثت لي ولفريقي خلال فترة عملي معهم .. أنا حالياً موقوف عن العمل ولا أعتقد أني سأعود وسيتم فصلي قريباً بعد الانتهاء من التحقيق

(المذيع) : أهلاً سيد (ضاحي) تفضل نحن منصتون ..

(ضاحي) : كما أسلفت أنا رئيس مجموعة تتكون من تسعة غواصين محترفين يتم استدعاؤنا في حالة فقدان أو غرق شخص في البحر وتدريباتنا ليست محصورة في الغطس فقط فنحن نتلقى مجموعة من الدورات التدريبية في الإسعافات الأولية واستخدام السلاح وغيرها من المهارات التي قد نحتاجها خلال مزاولة عملنا وتنفيذ مهامنا .. في العادة مجال عملنا محصور في مدينة ساحلية كبيرة محددة لكن في إحدى المرات تلقينا أمراً بالاستجابة لبلاغ من خفر السواحل المشرف على منطقة سياحية تبعد عن مدينتنا عدة ساعات طلبوا فيه منا الحضور والبحث عن جثة رجل خرج للسباحة وفُقد في البحر منذ عدة أيام وكانت المعلومات الأولية التي زودونا بها غريبة

(المذيع) : غريبة من أي ناحية؟

(ضاحي) : المنطقة لم تكن تابعة لنا ولا تستدعي حضور فريقٍ بالكامل فمن المفترض أن يكون في تلك المنطقة فريق خاص لمثل هذه الحالات والحجة التي تلقيتها منهم هي أن فريق عملهم المكون

من ثلاثة غواصين لم يكونوا متوفرين وقتها لأسباب ذكرها ولم تكن مقنعة لي لكن ولأن الأمر أتى من رئيسي المباشر لم أجادل وتوجهنا للمنطقة وقرأنا التقارير المبدئية للحادث التي كتبها خفر السواحل ومن هنا بدأت الغرابة .. إحصائياً حالات الغرق عند الشواطئ بين الرجال هي الأندر فالضحايا غالباً يكونون أطفالاً أو نساء وهم كذلك يشكلون السواد الأعظم ممن لا يجيدون السباحة وحالات غرق الرجال تكون بالنسبة لنا منطقية في حال سوء الأحوال الجوية أو عدم استقرار البحر لكن البحر يوم الواقعة كان هادئاً جداً حسب تقرير الأرصاد .. فقدانه واختفاء جثته لعدة أيام كانا مؤشراً سيئاً

(المذيع) : ماذا تقصد بـ «مؤشر سيئ» أليس فقدانه بحد ذاته أمراً سيئاً؟

(ضاحي) : هذا يعني أن هناك احتمال وجود جريمة أو عوامل مستجدة قد تؤدي لإغلاق المنطقة السياحية حتى تنتهي التحقيقات

(المذيع) : ألا توجد تفسيرات منطقية أخرى لاختفائه؟

(ضاحي) : بلى بالطبع .. وهي أنه تعرض لهجوم مفترس ما كأسماك القرش أو لُدغ من كائن أفقده القدرة على الحركة وتسبب في تشنج عضلاته مما أدى لغرقه وهذا أمر يمكن لبعض القناديل وثعابين الماء المالح أن تحدثه بسهولة وهذا يندرج تحت العوامل المستجدة

التي ذكرتها لك لكن وبعد وصولنا وإجراء بحثنا الخاص لم نجد هذا تفسيرًا منطقيًا لأن ذلك الشاطئ آمن ولا تعيش فيه مثل تلك الكائنات .. نحن كفريق غطس لا نتحرك دون دراسة للموقف من جميع الجوانب والنظر لكافة الاحتمالات قبل البدء بعملية البحث كي نختصر الوقت فالبحر واسع شاسع والغوص فيه دون خطة وخريطة ذهنية سيكون هدراً لجهودنا ووقتنا

(المذيع) : كلام منطقي جدّاً .. وما الاستنتاج الذي خرجتم به؟

(ضاحي) : التحليل المبدئي هو أنه تعرض للافتراس من كائن أو سرب مفترس عابر للمنطقة وليس مستوطناً فيها كون الجثة لم تصل للساحل ولا أي أجزاء منها وتمت عملية البحث على هذا الأساس

(المذيع) : عذراً للمقاطعة .. ألا يمكن أنه غرق ثم تعرض للافتراس؟

(ضاحي) : بالطبع هذا وارد لكننا نبني استنتاجاتنا على أساس النهاية وليس البداية ولو حدث هذا يمكن تحديد ذلك معظم الوقت بعد تشريح الجثة لو وجدناها أو وجدنا جزءًا مفيدًا منها كالرئة أو الأمعاء

(المذيع) : هل كانت ستختلف طريقة واستراتيجية البحث لو كان قد غرق ولم يُفترس؟

(ضاحي) : نعم بلا شك .. لو كانت فرضية الغرق هي الأقوى كنا سنخصص العدد الأكبر من الغواصين للبحث في القاع وكذلك سوف نبحث في مناطق محددة قد تكون الجثة طفت وانجرفت إليها مثل شقوق الصخور أو السواحل البعيدة لكن مع تزايد المؤشرات المؤيدة لنظرية الافتراس أصبح الخيار الأمثل هو بتعزيز البحث عند السطح وأعماق منخفضة على حساب القاع لأن فرص مصادفة أثر بسيط من عملية الهجوم تكون أكبر في تلك المناطق ومع هذا كنا سنعزز البحث في القاع بعد ما نستنفد توقعاتنا الأولى .. كما أخبرتك فالمسألة تنظيم للوقت والمجهود لمحاولة الوصول للحقيقة بشكل أسرع وكتابة تقريرنا النهائي

(المذيع) : وهل وصلتم للحقيقة المنشودة؟

(ضاحي) وهو يزفر : نعم .. وجدنا ذراعاً مبتورة وبعض العظام والملابس الممزقة موزعة بين السطح والقاع على بعد ليس باليسير عن الساحل وبعد أن جمعنا البقايا على مركبنا قمنا بإجراء فحص مبدئي لها وكنا مندهشين من الآثار المتروكة خاصة على الذراع المبتورة فحجم القضمات لم يكن كبيراً لكنها في الوقت نفسه كثيرة ولا يكاد جزء من الذراع إلا وقضم بأسنان حادة ونحيلة كالمسامير والعظام لم تسلم منها كذلك وزاد عليها خلوها من أي لحم وكأن

المفترس قد أمضى وقتًا إضافيًّا لنزع وتمزيق كل قطعة وهذا يخالف عادات القروش في الافتراس

(المذيع) : ويتطابق مع أي كائن؟

(ضاحي) : لا يوجد حسب علمي كائن يترك مثل هذه الآثار .. لم نر شيئاً مشابهاً لما رأيناه ذلك اليوم

(المذيع) : هل تحققتم من أن بقايا الجثة التي وجدتموها تعود للشخص المفقود نفسه؟

(ضاحي) : الطب الشرعي أكد ذلك وحسم الأمر بعد أيام وكُتب في التقرير أنه كان هجوم قرش من فصيلة لا تقطن تلك المنطقة مما استفزني كثيراً لعلمي المسبق بأن هذا غير صحيح فقررت أنا وأحد الغطاسين من فرقتي الذهاب للطبيب الذي أصدر التقرير ومواجهته بالحقائق التي نملكها ومقارنتها مع التي وجدها خلال تشريحه وبنى عليها تقريره

(المذيع) : هل هذا من اختصاصكم؟

(ضاحي) : لا لكننا نملك من الخبرة ما يكفي كي نعرف الفرق بين هجمة القرش وغيرها ونستطيع بناء تصور مبدئي دقيق للمسببات قبل كتابة أي تقرير طبي رسمي ومن النادر أن تعارض تصورنا مع

التقارير النهائية .. هذا الهجوم لم يكن هجوم قرش بالتأكيد وجميع زملائي يتفقون معي

(المذيع) : وما دليلكم على هذا الادعاء عدا تلك الملاحظات بالعين المجردة؟ .. أنا لا أشكك بكلامك أو خبرتك لكن هذا سؤال منطقي سيطرحه أي شخص تختصمون عنده

(ضاحي) : أعرف أني لست خبيرًا في التشريح أو علم الأحياء المائية كي أحدد فصيلة الكائن المفترس لكني عملت لسنين طويلة وأستطيع التفريق بين هجمة سمكة القرش وغيرها وبعد ما رفض الطبيب تغيير تقريره لكائن مجهول الفصيلة عندما واجهناه بالحقائق اضطررنا لرفع شكوى رسمية

(المذيع) : أنا متعجب من عناد الطبيب؟

(ضاحي) : أنا غير متعجب .. البعض تأخذه العزة بالإثم ويرفض الإقرار بالحقيقة والاعتراف بالخطأ خاصة عندما يسمعها من أشخاص يرى أنهم لا يفقهون في اختصاصه شيئاً ويرى أنه لو فعل ذلك سيكون انتقاصًا له

(المذيع) : أتفهم ما تقوله تماماً .. ماذا حل بالشكوى التي قدمتموها؟

(ضاحي) : قادت لتحقيقٍ شامل حضره رئيس مركز الشرطة

بالمدينة والمدير العام للدفاع المدني بالمنطقة بحضوري أنا وثلاثة من الغطاسين تم استدعاؤهم للشهادة بالإضافة للطبيب الذي أعد التقرير وبعد عرضنا لوجهة نظرنا وتقديم الجميع لإفاداتهم وتوقيعهم عليها طلبوا منهم الرحيل وجلسوا معي على انفراد لأني رفضت التوقيع على التقرير النهائي الذي لم يتغير وسمعت منهم أغرب كلام مر عليّ منذ أن عملت في هذه الوظيفة

(المذيع) : ماذا قالوا لك؟

(ضاحي) : طلبوا مني إنهاء الموضوع والتوقف عن المجادلة والتوقيع على ذلك التقرير المستفز فحاولت الإيضاح لهم أن الأمر ليس شخصياً ولا يعنيني أنا بقدر ما يعني أمن وسلامة السياح والمصطافين لذلك الشاطئ وأن عدم معالجة أصل المشكلة سوف يعرض مرتاديه للخطر فبرروا تصرفهم وأخبروني بأنهم سيمنعون السباحة في المنطقة في كل الأحوال حتى تعالج المشكلة لكنهم لا يريدون إثارة المزيد من الهلع بذكر التفاصيل التي كنت أطالب بتضمينها في التقرير

(المذيع) : أليس ذكر أن السبب هو هجمة قرش سبب كافٍ لحدوث هلع؟

(ضاحي) : أتفق معك وشعرت بأن الحقيقة أكثر فظاعة من ذلك وما

أثار استغرابي أكثر هو الجهة التي ادعوا أنها ستتولى معالجة المشكلة

(المذيع) : ماذا تقصد؟

(ضاحي) : لا أذكر تحديداً العبارة التي استخدموها لكنهم قالوا بأن «هيئة» ما ستتولى الأمر وأنها متخصصة في مثل هذه القضايا .. أعتقد وقتها أنها كانت مجرد محاولة لإسكاتي وإخماد الحقيقة فقط ولا يوجد هيئة من الأساس لذا أصررت على موقفي ولم أوقع التقرير فقال لي رئيسي المباشر : «إذا لم توقع على التقرير فسيوقعه غيرك .. أنت محول للتحقيق ولو كررت هذه الأكاذيب والتلفيقات خلال التحقيق فسأوقفك عن العمل قبل أن ينتهوا من مجرياته ..» فأجبته دون اكتراث قبل أن أرحل وقلت : «افعل ما تشاء ..»

(المذيع) : وأنت الآن موقوف عن العمل لهذا السبب كما ذكرت في بداية اتصالك ..

(ضاحي) : لا .. لم يتم إيقافي لرفضي التوقيع على التقرير أو بسبب التحقيق .. بل لسبب آخر ..

(المذيع) : سبب ماذا؟

(ضاحي) : بعد ما تلقينا أمرًا بالعودة لمدينتنا تناقشت مع مجموعة من الغواصين التابعين لفرقتي وكانوا مستائين مثلي لما حدث وفي لحظة نقاش محتدم اقترح أحدهم أن نعود بأنفسنا ونجري تحقيقنا المفصل

الخاص بنا ونخرج بالحقيقة ونقدمها للجنة التي ستحقق معي وبذلك نسقط حجتهم لأننا كنا مقتنعين أن هناك شيئاً غريباً يدور في تلك المنطقة وتأكدت شكوكنا حين قمنا بالبحث في سجلات القضايا والبلاغات القديمة واكتشفنا أنها لم تكن أول مرة يفقد فيها شخص في ظروف غامضة .. خلال أيام من البحث المضني في السجلات الرسمية وجدنا العديد من بلاغات الغرق التي تم تسجيلها على مدى عشر سنوات وكانت في تزايد وتسارع مع تقدم السنين وأبرزها حادثان وقعا قبل ثلاثة أشهر فقط من القضية التي حققنا بها وكلاهما في أوقات متقاربة جدّاً

(المذيع) : هل يمكن أن تخبرنا عنهما بتفصيل أكثر؟

(ضاحي) : الأول وقع لصياد خرج بمركبه الصغير فجرًا ولم يعد وبقي غائباً لعدة أيام وفشلت كل حملات البحث عنه ولم يعثروا عليه إلا بالمصادفة عندما قام خفر السواحل بجولة تفقدية روتينية لمنطقة بعيدة .. المركب كان نصف طافٍ ولم يجدوا الصياد على متنه ولم يكن هناك أي دليل على أنه تعرض لهجوم على سطحه عدا الشروخ الموزعة بجوانبه والتي تسلل منها الماء تدريجيّاً وأغرق نصفه فقط

(المذيع) : والحادثة الأخرى؟

(ضاحي) : وقعت لسيدة انحرفت سيارتها عن مسارها بعد ما

تعطل نظام المكابح ولأن سيارتها ذات دفع رباعي وكانت منطلقة بسرعة كبيرة أدى ذلك لشق الشاطئ الرملي بالكامل ولم تتوقف حتى اصطدمت بالماء وقطعت مسافة ليست باليسيرة وسط البحر وعندما وصل إليها بعض مرتادي الشاطئ الذين قفزوا في الماء على عجالة وسبحوا نحوها لإنقاذها لم يجدوها ولم يكن هناك أي أثر للسائقة والغريب أن مركبتها لم تُغمر وتغرق بالكامل وبقي الجزء العلوي منها فوق السطح فمن المنطقي أن يكون خروجها سهلاً دون أي معاناة بفتح النافذة فقط إلا أن من باشروا الحادث من الجهات الأمنية وجدوا أن زجاج نافذتها كان مهشماً

(المذيع) : لعلها حاولت الخروج بتحطيم الزجاج وأصيبت خلال خروجها ولم تتمكن من العودة للساحل وسحبها الموج لوسط البحر هذا لو افترضنا أنها لم تفقد الوعي قبلها

(ضاحي) : مستحيل .. لو كانت فقدت الوعي لبقيت مكانها ووجدوها وبالنسبة لإصابتها من كسر الزجاج فهذا لن يحدث أبداً دون ترك أثرٍ ما ثم إن زجاج النافذة تناثر على مقعدها ولم يكن هناك قطعة واحدة في البحر

(المذيع) : ماذا يعني ذلك؟

(ضاحي) : هذا يعني أن الزجاج تحطم بضربة من الخارج وليس من الداخل

(المذيع) : شيء محير فعلاً

(ضاحي) : أمر آخر اكتشفته عن المكان أيضاً .. خلال السنوات العشر الماضية صدر قرار منع السباحة ثلاث مرات وفي كل مرة يتم إلغاؤه وألاحظ أن التاريخ متزامن مع بدء الموسم السياحي والتوجيه يأتي من البلدية وبمباركة من أصحاب المشاريع التجارية هناك الذين يوقعون عليه بصفتهم أعضاء شرفيين منتخبين متجاهلين تكرار حالات الاختفاء التي يتم تسجيلها وكأنها لم تكن

(المذيع) : منظومة الفساد أخطبوط متعدد الأذرع ولن تباد إلا بضرب الرأس ..

(ضاحي) : لذا قررت أن أعود للمنطقة مع أفضل غواص عندي بالفرقة لنستكشف المنطقة أكثر ونخرج بالحقيقة المغيبة .. تعمدنا أن نصل للساحل ليلاً كي لا يلحظ وجودنا أحد وقمنا بإنزال أدوات الغطس وخزانات الأكسجين وأدوات التصوير وبعض الحراب و..

(المذيع) مقاطعاً : حراب؟

(ضاحي) : نعم .. حراب تعمل بالدفع الهيدروليكي للدفاع عن أنفسنا في حال واجهنا كائن مفترس وكذلك لبسنا أساور تصدر ذبذبات مغناطيسية تنفر منها القروش بالذات عند تفعيلها وزدنا فوق ذلك بأن لبسنا لباس غوص خاصّاً مصنوعاً من مجموعة من

الحلقات المعدنية الصلبة التي لا يمكن تمزيقها بأي عضة مهما كانت قوتها

(المذيع) : هل كنت تنوي دخول حرب؟

(ضاحي) : كنت أنوي أخذ كافة الاحتياطات اللازمة لتأمين حياتي وحياة مرافقي فنحن لم نكن سنخاطر بمواجهة مصير الضحايا السابقين نفسه والذين تعرضوا للافتراس من كائن شرس وقوي مجهول

(المذيع) : وهل وجدتما هذا الكائن؟

(ضاحي) : بل وجدنا ما هو أكثر من ذلك .. مكان الغوص الذي اخترناه كان عند منطقة صخرية بعيدة عن المكان المعتاد للمصطافين ولا يرتاده الكثير من الناس لوعورته وسهولة الوقوع فيه فالصخور هناك ملساء وحادة والأمواج ترتطم بها بعنف دون بقية أجزاء الساحل .. بعد نزولنا في الماء وقبل الغوص للقاع لاستكشافه بالكشافات القوية التي جلبناها معنا أوصيت زميلي بأنه وفي حالة تعرض أحدنا لأي خطر يجب أن تكون الأولوية هي الخروج سالمين بأسرع وقت وترك أي شيء آخر بيدنا حتى لو كان مهماً لهدفنا وبالفعل غصنا وجلنا في القاع المظلم لمدة نصف ساعة قبل أن نكتشف الوكر

(المذيع) : وكر؟

(ضاحي) : هذا أبسط مسمى وتعبير يمكن أن أصف به ذلك المكان المخيف .. كهف عميق وعجيب محاط بمجموعة من الجحور التي تتسع لدخول رجل بالغ لكننا لم نهدر وقتاً في استكشافها وركزنا على الكهف الكبير وعمنا وسطه ولم يمضِ وقت حتى بدأنا نرى الكم الهائل من العظام والجماجم المنتشرة على أرضه فقمنا بأخذ مجموعة من الصور لتوثيق اكتشافنا المفجع وتلك الكاميرات كانت معدة لإصدار وميض براقٍ وقوي مع كل صورة تلتقطها كي تكون الصورة واضحة ويبدو أن الومضات المتكررة أثارت انتباه الشيء القاطن في الكهف والذي افترس كل هؤلاء الناس .. لم أتخيل أن ما سيهاجمنا سيكون كائناً مختلفاً عما نعرفه من أسماك مفترسة لكن الشيء الذي اختار الانقضاض على زميلي في البداية لم يكن سمكة على الإطلاق

(المذيع) : ماذا كان إذاً ..؟

(ضاحي) : وصفه ليس بالصعب لكن الحديث عنه دون أن أبدو مجنونًا هو الأمر الشاق ..

(المذيع) : حاول .. فالمجانين لا يجدون صعوبة في فهم بعضهم بعضاً ..

(ضاحي) : حورية .. لكن ليست الحوريات الجميلات اللاتي رأيناهن وقرأنا عنهن في القصص ونحن صغار .. كانت مسخاً بشعاً بأنياب ومخالب حادة .. لا شيء بشرياً فيها سوى بطنها وصدرها وأما وجهها فقد كان كمصاصي الدماء وذيلها الطويل امتلأ بالحراشف الخشنة

(المذيع) : هل التقطت لها صورة؟

(ضاحي) : أكثر من صورة وهي تحاول افتراس صاحبي الذي تمكن من مقاومتها لفترة وجيزة بسبب بدلته الحديدية بعد ما أسقط حربته خلال انقضاضها المفاجئ عليه لأقوم أنا بتوجيه حربتي نحوها محاولاً إصابتها في مقتل لكن ولقربها الشديد من زميلي ترددت كثيرًا في إطلاقها مما أعطاها وقتًا لتغير أسلوب هجومها وهذا يشير إلى أنها كائن ذكي وليست مجرد حيوان تسيره غرائزه

(المذيع) : ماذا فعلت؟

(ضاحي) : أطبقت على عنقه وبدأت تخنقه بعد ما نزعت عنه أجهزة التنفس وأخذت تهز رقبته بقوة مرعبة ولم أصل إليهما إلا بعد ما فارق زميلي الحياة لتستدير هي وتندفع نحوي لكني تمكنت هذه المرة من إطلاق حربتي التي أصاب رأسها الحاد قلبها مباشرة لكنها لم توقفها واستطاعت بلوغي وتكرار ما قامت به مع صاحبي وحاولت نزع

أدوات التنفس عني لكن لم تتمكن من ذلك لأن قواها أخذت تخور شيئاً فشيئاً بسبب الجرح الغائر في صدرها فاستغللت الفرصة وقمت بتشغيل الإسورة المغناطيسية والتي كان لها أثرٌ قويٌّ عليها دفعها لإطلاق صرخة حادة جدًّا أوجعت أذنيّ بالرغم من وجودي تحت الماء .. دفعتها بقدمي واندفعت بالسباحة خروجًا من المكان وكنت أعرف سلفًا أني لو قمت بالعوم بسرعة مبالغ فيها فسوف يؤدي ذلك لإصابتي بمشكلة رئوية ستقودني للغرق والموت لأن رئتي ستنفجر من شدة الضغط لذا حافظت على سرعة ثابتة وواثقة تجاه السطح ثم للشاطئ الذي لم يكن بعيدًا فمعظم وقتنا الذي قضيناه أسفل الماء كان في الاستكشاف وليس الابتعاد

(المذيع) : وبما أنك تتحدث معنا اليوم فقد وصلت سالماً؟

(ضاحي) : ليس قبل أن تحاول تلك المتوحشة للمرة الأخيرة جري للقاع فقد تبعتني بالرغم من إصابتها وأطبقت بمخالبها على ساقي وأنا أسير نحو الشاطئ وقبل أن أصل لرمال الساحل بأمتار قليلة لأسقط وأدخل معها في معركة بالأيادي وسط المياه الضحلة كنت سأخسرها بلا شك لتفوقها الجسدي عليّ ومرونتها تحت الماء وقبل أن يحدث ذلك سمعت عدة طلقات نارية تصدر من ورائي قادمة من الشاطئ أردتها قتيلة على الفور لتسقط بجسدها الكبير فوقي

ويبدأ كلانا بالنزول للقاع بسبب تعلق لباسي بإحدى حراشفها البارزة

(المذيع) : وكيف خلصت نفسك؟

(ضاحي) : لم أفعل .. فقدت الوعي متقبلاً مصيري لكني استيقظت وفتحت عينيّ وأنا أسعل كمية من المياه المالحة لأرى امرأة في الثلاثين من العمر تقريباً تقف فوقي ومن الواضح أنها هي من أسعفتني

(المذيع) : ومن كانت تلك المرأة؟

(ضاحي) : دعني أشرح لك ما شاهدته بعد نهوضي كي تستوعب ما مررت به وقتها

(المذيع) : حسناً تفضل ..

(ضاحي) : عندما وقفت على قدميّ شاهدت جثة الحورية إن صح تسميتها كذلك ملقاة بجانبي بفم مفتوح وجلد شاب تحول للبياض مثل عينيها وقد كانت بصورة أبشع مما رأيته تحت الماء وقبل أن أستعيد وعيي وتركيزي وأقول شيئاً لتلك المرأة التي راقبتني بهدوء خرج من خلفها مجموعة من الرجال شكلوا فريقاً مما يقارب العشرين رجلاً مسلحًا وجميعهم لبسوا ملابس سوداء موحدة ووجوههم مخفاة بأقنعة قماشية وقد كانوا يقومون بتأمين المنطقة والتحقق من أنه لا يوجد شهود على الواقعة خرج من بينهم وتقدمهم ثلاثة اختلفوا

عنهم في الشكل واللباس شقوا طريقهم ووقفوا بجانبها .. تحدث معها من بدا أنه قائدهم وهو رجل في منتصف الخمسين من العمر تقريباً والشيب خالط رأسه .. أما الثاني فكان رجلاً ملتحيًا في العقد الرابع من عمره يلبس لباساً تقليديّاً وليس رسميّاً والأخير كان صبيًّا صغيرًا

(المذيع) : صبي صغير؟

(ضاحي) : نعم .. صبي لم يتجاوز العاشرة يحمل كرة بين يديه .. كانت نظراته غريبة ويسرح كثيراً وكأنه يتأمل السماء والأرض في الوقت ذاته .. شعرت أنه مصاب بخلل ما .. لا أعرف ..

(المذيع) : وماذا فعلوا معك؟

(ضاحي) : صادروا جهاز التصوير مني وتحفظوا على جثة الحورية ونقلوها في كيس أبيض يشبه الأكياس المخصصة لنقل الجثث وشرحوا لي أنهم هيئة تابعة لجهة أمنية عليا وسيتولون الأمر من هذه النقطة لكنهم مضطرون لذكر اسمي في تقريرهم وتقديمه لمديريّ وهم من سيقررون مصيري

(المذيع) : هل تعرفت إلى أي جهة أمنية كانوا يتبعون؟

(ضاحي) : لا بالرغم من أني أعمل في الداخلية إلا أني لم أسمع عن هذه الهيئة من قبل

(المذيع) : هل تعرفت على أي من أسمائهم؟

(ضاحي) : فقط الرجل الملتحي .. سمعت قائدهم يأمره باللحاق بالصبي عندما جرى مبتعداً فجأة خلف كرته التي ركلها قائلاً: «الكرة مستديرة .. الكرة تحب أن تُركل بقوة ..»

(المذيع) : وبماذا ناداه؟

(ضاحي) : الشيخ (عادل) إذا لم تخني الذاكرة ..

(المذيع) : صبي وشيخ وامرأة ورجل .. مجموعة غريبة ..

(ضاحي) : صحيح .. الوحيدون الذين أعطوني إحساساً بأنهم من جهة أمنية أو عسكرية هم الفريق المصاحب لهم ومن كان يقودهم فقط أما هم فقد كانوا غريبي الأطوار خصوصاً الصبي

(المذيع) : وهل رحلوا دون أن يقدموا لك أي معلومات إضافية؟

(ضاحي) : لم أحصل منهم على شيء .. ركبوا سياراتهم المعتمة ورحلوا وتركوني وحدي على الشاطئ وفي صباح اليوم التالي وجدت استدعاء عاجلاً من جهة عملي أفادوني فيه بإيقافي عن العمل إلى أجلٍ غير مسمى وكنت أواجه كذلك تهمة القتل غير المتعمد لزميلي لكن ولسبب ما أُسقطت القضية وقيدت كحادث غرق اعتيادي بالرغم من أن جثته لم تُستَعَدْ

(المذيع) : قصتك متعددة الأبعاد يا سيد (ضاحي) وسببت لي التشتت لتشعبها وكثرة مناحي الغرابة فيها ..

(ضاحي) : أعتذر .. حاولت اختصارها قدر الإمكان

(المذيع) : لا أبداً لا تعتذر لقد أثريتنا بمشاركتك وأتمنى أن تجد الحقيقة الغائبة التي تسعى إليها بالرغم من أني أرى بأنك أفصحت عن الكثير من التفاصيل الحساسة والتي قد تلحق بك الضرر

(ضاحي) : أعرف ولا يهمني ذلك وأنا مستعد لتحمل عواقب ما أدليت به .. لكن هل يمكنك مساعدتي في أمرٍ ما؟ .. لدي طلب بسيط إذا تكرمت

(المذيع) : تفضل على الرحب والسعة ..

(ضاحي) : أريدك أن تسأل المتصلين إذا كان أي أحد منهم رأى ما رأيته من قبل .. أحتاج دليلاً لما رأيته بأم عيني وأنا واثق أني لست الوحيد الذي واجه تلك المخلوقات .. لا بد وأنه يوجد غيري .. أنا متيقن من ذلك

(المذيع) : وكيف يمكنهم التواصل معك؟

(ضاحي) : بأن يتصلوا مع مركزنا في المدينة ويسألوا عني بالاسم وسوف يقومون بتزويدهم برقمي الخاص لأني لم أعد أعمل هناك

(المذيع) : لقد وصلت رسالتك .. وهذا هو الهدف الرئيس من برنامجنا .. سوف تكون خطوطنا مفتوحة طيلة الحلقات القادمة لمن يرغب بالمشاركة في هذا الموضوع ومن يرغب بالتواصل مباشرة مع السيد (ضاحي) فليفعل ..

(ضاحي) : شكراً لك أنا ممتن

(المذيع) : شكراً لك أنت (ضاحي) على مشاركتك .. لنأخذ اتصالنا الأخير لحلقة اليوم ..

علقم الختام



تلقى البرنامج الاتصال الأخير حين أوشكت الساعة الثالثة فجراً على التمام وقد كانت من شخص بصوتٍ مبحوح مشبع بالتعب والإرهاق لكن نبرته باردة استهل مشاركته بقول :

«يشرفني أن أكون ضمن المشاركين اليوم ..»

(المذيع) : الشرف لنا .. تفضل

- كم من الوقت لدي؟

(المذيع) : خذ الوقت الذي تحتاجه فأنت آخر اتصال سوف نتلقاه اليوم ..

- حسناً .. أنا لن أبرر الأفعال التي كنت أمارسها في مراهقتي ولن أطلب الصفح والعفو إلا من الله فأرجو من كل مستمع لما سأقوله أن يدرك أني نادم أشد الندم على ما فعلته وبشكلٍ أو آخر حصلت على عقابي الدنيوي وكل ما أطمح له هو أن أنجو من عذاب الآخرة

(المذيع) : كنت وما زلت أقول دوماً بأننا هنا لسنا بصدد الحكم على أحد أو محاسبته فنحن مجرد مستمعين للتجارب لا أكثر

- أحببت فقط أن أذكر ذلك لأن ما كنت أقوم به من ممارسات لا يستطيع الكثير تقبلها أو العفو عن مرتكبيها بالرغم من أن القانون لا يحاسب عليها كثيراً

(المذيع) : بما أن القانون لا يرى أنها جريمة كبيرة فقد يكون الأمر أهون مما تظن

- كنت أقتل الحيوانات للتسلية .. القطط والكلاب وكل كائن ضعيف عاجز عن الدفاع عن نفسه يكون هدفاً لي ولمتعتي الشخصية .. تفننت في طرق تعذيبها حتى آخر نفس تلفظه وقطرة دم تنزفها .. صوت تحطم صدفة السلاحف الصغيرة تحت حذائي السميك له وقع خاص على أذني .. مراقبة تقلب

سمكة صغيرة رميت بها أمامي على الأرض وهي تحرك فمها بشكل متكرر بحثاً عن الهواء .. أو الماء .. تعقب وملاحقة الكلاب والقطط الضالة بسيارتي إلى أن أساويها بالإسفلت بإطاراتي .. نثر الحبوب للطيور بعد ما أدس السم فيها كي أراها ترتعش وتنتفض وجعاً قبل أن تموت مكونة كومة من الجثث الصغيرة .. حتى الحشرات لم تسلم مني .. تلك بالذات متعتي تكمن في حرقها وحرق منازلها وإن كانت كبيرة بما يكفي أقوم بنزع أرجلها وأجنحتها قبل حرقها .. الموت البطيء هو ما يمتعني أكثر .. بدأت من عمر صغير واستمررت ولم أتوقف إلا من وقتٍ قريب ..

(المذيع) : ولِمَ توقفت؟

- أنا لم أتوقف .. بل أوقفت .. وُضع حد نهائي لرحلتي السادية .. حدث ذلك عندما وقع قط في فخ اعتدت نصبه من وقتٍ لآخر لاصطياد قطط الشوارع .. قفص صغير يطبق على كل من يقترب لأكل الطعم بداخله .. متعة تعذيب القطط الحية كانت من أكثر الممارسات التي استهوتني وتبدأ عادة بقطع الذيل والأطراف وفقء الأعين وتنتهي إما بالحرق أو الإغراق في حوض مائي .. وقع

اختياري على مصير الغرق لذلك القط بعد ما انتهيت من العبث به واكتفيت من الإنصات لصرخاته .. قمت بملء حوض الاستحمام بدورة المياه في غرفتي وحملت ما تبقى منه في كيس بلاستيكي وهو بين الحياة والموت وقبل أن أرميه في قبره المائي أفرغت محتوى الحوض

(المذيع) بخليط من التهكم والسخط : هل استيقظ ضميرك؟

- لا .. طـرأ ببالـي أن أملأه بماء ساخن كي يكون غرقه أشد إيلاماً .. المهم .. غرق القط في الماء وكان جسده الأعمى المبتور الأطراف يتقلب وينتفض بشدة وكنت أراقبه متفكراً .. «هل هذا بسبب الاختناق أم حرارة الماء؟» .. لم يدم تفكري طويلاً فقد توقف عن الحركة سريعاً وانتهت متعتي وبدأت عملية التنظيف والتخلص من كل الآثار التي تنجم عن ذلك العبث وهي في العادة أسوأ مرحلة لي وأجدها مملة جدّاً لكنها شيء لا مفر منه .. بعد ما انتهيت وضعت القط في الكيس وربطته بعقدتين وخرجت من المنزل ورميته في القمامة وكان الوقت نهاية العصر على ما أذكر وكنت على موعد مع أحد أصدقائي فخرجت مباشرة ولم أعد للمنزل إلا في وقت متأخر من ذلك اليوم وقبل دخولي لاحظت

أن برميل القمامة مرمي على جانبه ومحتواه مفرغ في الشارع فعزوت ذلك لعبث الكلاب وربما أنها انجذبت لرائحة جثة القط وحاولت افتراسها مما أضاف متعة أخرى لقلبي عندما تخيلت أن هـذا ما حدث .. لكن هذا لم يكن ما حدث ..

اقتربت من البرميل وأعدته لمكانه وأخذت أجمع القمامة المنثورة وأضعها بداخله وخلال قيامي بذلك سمعت مواء قط .. الصوت كان آتياً من وسط البرميل .. وبالرغم من تيقني من أنه كان خاويًا عندما قلبته إلا أني ركلته بقدمي لأتحقق ولم يكن هناك شيء فأنهيت ما كنت أقوم به ودخلت للبيت وبعد دخولي لغرفتي سمعت المواء مجدداً وكان آتياً من أسفل سريري فتفقدت المكان ولم أجد شيئاً كذلك فتجاهلت الأمر ودخلت لدورة المياه لآخذ حماماً سريعاً وبعد أن نزعت ملابسي كلها وفتحت صنبور الدش عاد الصوت مجددًا من وسط الحمام وهذه المرة شعرت بالخوف وأغلقت الماء ولبست ملابسي وهممت بالبحث عن ذلك القط الذي تسلل لغرفتي لأتخلص منه ..

(المذيع) والضيق بادٍ في صوته مما سمع والبرود الذي كان يتحدث به المتصل : وهل وجدته ..؟

- بحثت في كل ركن ولم أجد شيئاً وعندما جلست محاولاً إيجاد تفسير لما يحدث سمعت المواء .. لكنه هذه المرة كان عند أذني وكأن القط يقف على كتفي فقفزت مفزوعاً ملتفتاً خلفي ونبضات قلبي تدق بسرعة وعيناي كادتا تشقان محجريهما من شدة اتساعهما فعاود الصوت وصدر عند أذني فصرخت فضربت رأسي بكفي المفتوح بشكل متكرر محاولاً إيقاف ذلك الصوت .. لكنه لم يتوقف حتى دخل أهلي عليّ وحاولوا تهدئتي ونجحوا في ذلك مؤقتاً إلى أن رحلوا ليعود الصوت ويطاردني لعدة ساعات قضيتها في حالة من الجنون .. كأنه كان وسط رأسي ولم أتمكن من القيام بشيء لإيقافه فبدأت أضرب بجبيني الجدار حتى فقدت الوعي ..

(المذيع) : استمر لا تتوقف ..

- لا يوجد شيء آخر لأقوله .. المواء مستمر وأنا على هذه الحالة لأكثر من عامين وقد ألحقت أضراراً كثيرة بجسدي في محاولة لتخفيف الألم الذي أشعر به .. ثقبت الأذن التي كنت أسمع منها الصوت فانتقل للأخرى .. فقدت البصر في إحدى عيني لأني لا أنام إلا بضرب رأسي حد الإغماء ولم أعد

أستطيع الأكل والشرب بطريقة طبيعية لأني تعاطيت الكثير من المسكنات والمهدئات التي سببت لي العديد من المشكلات الصحية مثل قرحة المعدة وداء السكري والضغط لدرجة أني وصلت لمرحلة من الهزال أصبح فيها جسدي يؤلمني بشكل دائم .. حتى إمساكي للهاتف وأنا أتحدث معك الآن عملية مؤلمة وشاقة .. هذه كانت مشاركتي .. ولا تقلق لن أطلب منك أي مساعدة

(المذيع) : وهل تعتقد أن مد يد العون لأمثالك أمر سأقوم به؟

- لا أدري ماذا أقول لك في الحقيقة .. أنا أعرف أني أستحق ما أصابني وسيصيبني .. لكن .. كانت هذه مجرد حالة طيش في فترات الشباب وأنا نادم على ذلك بحق

(المذيع) : فلتذهب أنت وندمك للجحيم .. هل تعرف ما المخيف في الأمر؟ .. برودك وأنت تروي تلك الفظائع التي كنت تمارسها .. لم أشعر للحظة في نبرة صوتك بأي ندم

- كلنا خطاؤون ونستحق فرصة أخرى ..

(المذيع) : فرصة ممن؟ .. كنت أظنك لا تبحث عن المغفرة

- لا أبحث عنها عندك أو عند الناس بل من رب الناس ..

(المذيع) : ونعم بالله لكن الله ليس بظالم والحقوق ستعود لكل مظلوم بشراً كان أو غيره

- أنا راضٍ بحكم الله مهما كان .. ولا يوجد إنسان معصوم

(المذيع) : إنسان؟ .. هل ترى أنك إنسان طبيعي أو سوي؟

- باب التوبة مفتوح

(المذيع) : وباب جهنم كذلك ..

- هل تنكر رحمة الله بعباده؟

(المذيع) : أنا أحاول فهم عقليتك ومن هم على شاكلتك .. أنت تذكرني بالذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا ما الذي اقترفناه في حياتنا لنستحق ما أصابنا .. من يرتكبون الجرائم البشعة مستحضرين رحمة الله متناسين عقابه .. ماذا عن الرحمة والعدل اللذين سيطلبهما ضحاياك .. هل تظن أن توبتك ستعصمك من دمائهم؟

- تتحدث وكأني قتلت بشراً

(المذيع) : هل عرفت الآن أن توبتك مجرد قناع تحاول خداعنا وخداع نفسك به .. أنا رأيت من خلال هذا القناع الشفاف الهش فما بالك بمن يعلم بما يدور بخوالجنا ونبطنه في صدورنا؟

- لم أفهم

(المذيع) : ولن تفهم .. حسابك الحقيقي يوم الحساب .. أتمنى بحق ألا تتوقف معاناتك حتى آخر يوم في حياتك وأن تستمر بعد مماتك .. ومثلما تراهن على رحمة الله أنا أراهن على عدله ولن يحدث شيء منهما إلا بمشيئته وقد يتحقق كلاهما بحكمته .. لقد اكتفيت من الاستماع لك وسوف ننهي الاتصال الآن

قطعت (نرمين) التي كانت أعينها تدمع الخط على المتصل قبل أن يرد ووقتها كانت الساعة تشير لخمس دقائق قبل تمام الثالثة صباحاً فرفعت أصابعها الخمسة للأعلى مشيرة للمذيع بالوقت المتبقي على إنهاء الحلقة فقال :

«لست متطيرًا أو متشائماً لكن لم أكن أريد ختام حلقتنا اليوم بقاتل الكلاب والقطط هذا لكن الوقت نفد ولم يعد هناك متسع منه إلا أن أودعكم على أمل اللقاء بكم الأسبوع المقبل في الموعد نفسه .. تصبحون على خير ..»

خلع المذيع سماعاته ووضعها بهدوء على الطاولة وبعد سرحان لم يدم طويلاً نهض عن مقعده وبدأ بالسير تجاه (نرمين) وعند وقوفه أمامها قال : «لقد أبليتِ بلاءً حسناً اليوم ..»

(نرمين) وهي تمسح وتستنشق دموعها : شكراً .. ممتنة لإطرائك

(المذيع) : لا شكر على حقيقة .. هل تريدين شيئاً مني قبل أن أرحل؟

وضعت (نرمين) أطراف أصابعها الأربعة على جبينها وسرحت في لوحة المفاتيح بأعين محمرة وقالت : «لدي سؤال واحد فقط سوف يزعجني إذا لم أحصل على إجابته ..»

(المذيع) : أنا منصت ..

(نرمين) : ماذا حدث لمبدئك؟

(المذيع) : أي مبدأ؟

(نرمين) : مساعدة الناس وعدم الحكم عليهم .. المتصل الأخير .. لَم استثنيته من قاعدتك؟ .. لا أسأل لأن أمره يهمني .. لكني أحاول أن أفهمك لأني أرى فيك قدوة لي وتصرفك أربكني .. هل أنت في حقيقة الأمر مجرد شخص انتقائي وتدعي أنك صاحب مبدأ وتختار من تساعد من الناس حسب أهوائك؟ .. اعذرني على وقاحة السؤال لكني أريد إجابة إن كنت تملك واحدة

(المذيع) : من يتخلى عن إنسانيته لا يستحق أن ينعم بإنسانيتنا .. هذا الوحش لم يكن إنساناً .. جسده وقالبه ربما لكن قلبه قلب شيطان أسود وأنا لا أساعد الشياطين ..

(نرمين) موجهةً نظرها نحوه ودمعة أخرى تنساب من عينها : هل هذا تعبير حرفي أم مجازي؟

(المذيع) : ماذا تقصدين؟

(نرمين) حاملة بعض الأوراق ناهضة عن مقعدها : لا شيء يا سيدي .. أراك غداً

بقي المذيع يراقب بصمت معدته المحطمة حتى خرجت من الاستديو ..

تسعة أعشار الحقيقة



خرج المذيع من مبنى المحطة وسار متوجهاً نحو سيارته المركونة وخلال سيره انتبه لشخص يجلس مسنداً ظهره لباب السائق بأذرع معقودة يراقبه وهو يقترب منه شيئاً فشيئاً وكأنه ينتظر وصوله.

عندما وقف أمامه قال له وهو يخرج مفاتيحه من جيبه :

«هل يمكن أن أخدمك بشيء؟»

- كانت حلقة مثيرة كالعادة ..

(المذيع) : شكراً من أنت؟

- لم يمضِ على لقائنا الأول إلا عدة أسابيع .. هل نسيتني بهذه السرعة؟

(المذيع) ممعناً في ملامح الرجل أكثر : أنت .. أنت من زارني في السجن

- نعم أنا .. كيف حالك وكيف وجدت العودة للعمل؟

(المذيع) : جيد .. ماذا تريد ..؟

- أنا هنا للحديث معك

(المذيع) : لأي غرض؟

- هل نسيت اتفاقنا؟

(المذيع) : ظننت أنكم غيرتم رأيكم بخصوص الانضمام لمنظمتكم بعد كل هذا الانقطاع الطويل

- على العكس تماماً .. كنا نراقبك فقط

(المذيع) : تراقبونني؟ .. إن كنتم لا تثقون بي فلمَ جندتموني من الأساس؟

أشار الرجل لسيارة سوداء معتمة النوافذ تقف على بعد منهما وقال : اتبعني ..

(المذيع) بتردد : أتبعك إلى أين؟

- لا تقلق فلو كنت أريد تعريض حياتك للخطر لفعلت ذلك منذ زمن بعيد .. الحفاظ عليك من أولوياتنا الآن

(المذيع) : هل حان وقت استرداد جمائلكم؟

سار الرجل نحو السيارة قائلاً : «شيء من هذا القبيل ..»

بعد ما ركب الاثنان أدار الرجل المحرك وابتعد عن مبنى المحطة ..

(المذيع) : هل ستخبرني الآن بما يدور ويجري ..؟

- أنا المحقق (نادر) .. المسؤول عن «هيئة مكافحة الجرائم الخارقة ..» وقد جندناك لتكون ضمن فريقنا

(المذيع) : كنت أظن أن منظمتكم اسمها «المستشارون»

(نادر) : هذا لقب خاص بالقيادات فقط وأنا أحدها .. نحن ثلاثة مؤسسين وأنا المشرف المنفذ للفريق

(المذيع) : والآخران؟

(نادر) : أحدهما هو الداعم المادي لنا والآخر يمكنك اعتباره مرجعنا الروحاني .. جميعنا أصدقاء جمعتنا ظروف معينة واكتشفنا أننا نتشارك الهدف نفسه

(المذيع) : وأي هدف هذا؟

(نادر) : مقاومة ومحاربة الشرور التي تسكن في الخفاء وتحاول من وقت لآخر الاستيلاء على إنسانيتنا

(المذيع) : اعذرني لكني أجد أن كلامك مثير للسخرية ولا يدخل العقل

(نادر) : هذه ردة فعل طبيعية لأي عضو جديد .. ستتجاوز الأمر قريباً

(المذيع) : لقد قلت بأن أحد المؤسسين هو من يدعمكم مادياً ..هل نحن موظفون في الدولة أم نعمل كقطاع خاص؟

(نادر) : مظلتنا حكومية لكن مصادر تمويلنا متعددة .. جزء منها يأتي من وزارة الداخلية والجزء الأكبر من بعض المستثمرين

(المذيع) : مستثمرين؟ .. هل هذه الهيئة ربحية؟

(نادر) : لا .. استثماراتهم في شيء آخر تماماً .. إدارة الفريق مكلفة ولولا المؤمنون بقضيتنا لما تمكنا من الاستمرار

(المذيع) : كم عدد أعضاء فرقتك هذه؟

(نادر) : بعد موافقتك أصبحوا ثمانية باستثناء المستشارين الثلاثة الذين ذكرتهم لك

(المذيع) : وعلى أي أساس تختار أعضاء الفريق؟

(نادر) : كل عضو من فريقنا يملك مهارة معينة تميزه عن غيره والأهم من ذلك أنها مفيدة في مجال عملنا

(المذيع) متهكماً : عملكم في محاربة الشرور؟

(نادر) : نعم .. وأنت ستحاربها معنا أيها المذيع

(المذيع) : لا أريد تحطيم آمالك لكني لا أملك شيئاً مميزاً لأقدمه لمنظمتك أو هيئتك أو أيًّا كان اسمها

(نادر) باسماً خلال تحديقه بالطريق أمامه : هذا ليس ما قاله من رشحك ..

(المذيع) : ومن رشحني؟

(نادر) : شخص من مجموعتنا لفت انتباهه منذ حلقتك الأولى قبل عدة أعوام .. لقد أثنى عليك كثيراً وعلى ذكائك وفطنتك وكذلك نحن بحاجة لقرينك المحرر الحائم حولك .. من استعنت به الليلة لإحراج ذلك المتصل الذي شكك بك وأهان مستمعيك .. هل ظننت أننا لم نلاحظ؟

لم يعلق المذيع على ما سمع لأن الصدمة أخرسته خاصة أن كل ما قاله المحقق (نادر) صحيح ودقيق ..

(نادر) مستأنفاً حديثه وهو يسلك طريقاً مظلماً عند مخرج المدينة :

«استخدامك له الليلة لم يكن قرارًا حكيماً .. عملنا يعتمد على السرية وتجنب إظهار قدراتنا أمام عامة الناس فأرجو ألا تقوم بشيء مماثل في المستقبل .. حربنا تشتد وتزداد ضراوة ونحن بحاجة لشخص مثلك بيننا .. الوحشية والجنون يملأان هذا العالم وسنحاول قدر الإمكان أن نكون خطّاً فاصلاً وسدّاً منيعاً بينهما وبين الأبرياء الغافلين ..»

(المذيع) : لدي الكثير من الأسئلة ..

أوقف (نادر) السيارة عند مبنى خرساني كبير وأشار بسبابته لبوابته الكبيرة قائلاً : «سنكمل حديثنا في الداخل ..»

(المذيع) موجهاً نظره حيث أشار (نادر) : هل هذا مقركم؟

(نادر) مترجلاً من السيارة : يمكنك قول ذلك ..

وسط المبنى الكبير الذي كان خاوياً تماماً عدا من بعض الحراسة التي تجاوزاها عند المدخل وخلال سيرهما في ممر طويل قال المذيع وهو يجول بنظره حوله :

«يبدو أننا أتينا خارج أوقات العمل ..»

(نادر) ممرّاً بطاقة إلكترونية عند أحد الأبواب : عملنا لا يتوقف على مدار الساعة ..

دخل الاثنان لغرفة واسعة توسطتها طاولة كبيرة وعلى أحد جدرانها

عُلقت عدة شاشات اصطفت حول شاشة كبيرة .. أشار (نادر) للمذيع بالجلوس بعد ما جلس هو على الكرسي في نهاية الطاولة البيضوية.

(نادر): تفضل .. اسأل ما تشاء ..

(المذيع) : لنبدأ بطبيعة عملي معكم .. ومع من سأعمل تحديداً؟

(نادر) : أنت ستكون العضو الثامن كما أخبرتك .. نحن نتلقى معظم بلاغاتنا من شرطة المدينة غالباً وتحديداً من المحقق (إياد) وهو أحد تلاميذي والعضو الأول في المجموعة وبالتنسيق معه نحصل على القضايا التي تستحق البحث والتقصي ..

(المذيع) : وما هي القضايا التي تستحق من وجهة نظركم؟

(نادر) : الحالات الخطرة التي قد تلحق الضرر بالناس لو خرجت عن السيطرة والمبنية على أسس قابلة للتتبع وتندرج تحت اختصاصنا لنشكل فرقة حسب كل قضية وحيثياتها للتحقيق بها ومحاولة احتوائها

(المذيع) : احتوائها؟

نعم هذه المهمة الأساسية للهيئة .. احتواء الخطر قبل أن ينتشر ..

والتخلص منه وإنهاؤه لو أمكن لكن هذا ليس في متناول أيدينا دائماً ويعتمد بالدرجة الأولى على الكينونة التي نتعامل معها

(المذيع) : لذلك تسمون هيئتكم بذلك الاسم .. أنتم تتعاملون مع ..

(نادر) مقاطعاً : نعم .. فالشرطة والمباحث ليسوا معدين لمواجهة مثل هذه القضايا ولا يملكون مقومات التعامل معها بالطريقة الصحيحة لكن فريقنا مهيأ لذلك وقد اخترنا كل عضو فيه على أسس واعتبارات معينة وخاصة

(المذيع) : ومتى سألتقي بهذا الفريق؟

(نادر) : اجتماعهم جميعاً في مهمة واحدة نادر جدّاً وهذا لا يحدث إلا إذا كانت القضية كبيرة وصعبة فكل منهم يزاول حياته بشكل طبيعي حتى يتم استدعاؤه من قبلي في أي وقت من اليوم

(المذيع) مشعلاً سيجارة : الليلة ورد للبرنامج اتصال من شخص كان يعمل في فريق غوص وقال بأن ..

(نادر) مقاطعاً مرة أخرى : نعم سمعت المكالمة .. الفريق الذي تدخل عند الشاطئ هو فريقنا وأنا من كان يقود الحملة بعد ما وردنا خبر ذهابه للمنطقة للاستكشاف .. كنا على دراية مسبقة بما يحدث هناك منذ زمن لكنه بتطفله خرب كل شيء

(المذيع) : كيف خرب كل شيء؟ .. تلك المخلوقة كانت تقتل الناس وأنتم تقفون على الحياد تراقبون

(نادر) : نحن لم نكن نراقب .. كنا ننتظر

(المذيع) بتهكم : تنتظرون ماذا؟ .. أن تخرج لكم وتسلم نفسها بنفسها؟

(نادر) : ذلك المخلوق من فصيلة «الغرانيق» .. كائنات نادرة ومنقرضة لكن لا يزال يوجد القليل منها في المحيطات منتشرة كأسراب ولم تفكر يوماً بالاقتراب من السواحل لكن وبعد تسجيل عدة حالات من قيامها بافتراس الناس رصدنا تحركاتها واكتشفنا أن لهم موسماً سنويًّا للتزاوج يجتمعون فيه بأعداد ضخمة في منطقة مجهولة في أعماق البحر وكنا نريد رصد ذلك المكان وتصفية أكبر عدد منهم في وقتها لذا وضعنا جهاز تعقب على ذيل تلك الغرنيقة حتى يحين موعد التزاوج وتهجر موقعها ونتمكن من تتبعها بالأقمار الصناعية لتقودنا لمكان التزاوج لكن السيد (ضاحي) أفسد كل شيء بقتلها وهذا أمر كنا نستطيع القيام به في أي وقت لكننا آثرنا تحديد موقع السرب بالكامل ونحتاج الآن للبحث عن أخرى قبل حلول الموعد والذي لم يتبقَّ عليه سوى بضعة أسابيع .. هل فهمت كيف أفسد الأمر؟

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان : نعم .. أنتم تعملون بشكل أوسع وأعقد مما ظننت

(نادر) : هذه مجرد قضية واحدة من عشرات نتابعها بشكل يومي ..

(المذيع) : الطفل الذي ذكره (ضاحي) .. هل هو أحد أعضاء الفريق؟

(نادر) : (ناجي)؟ .. نعم .. قمنا بتجنيده بعد ما اكتشفنا قدراته العقلية العالية وقوة ملاحظته لأمور تغفل عنها الأعين المجردة .. وصلنا لاتفاق مع والديه للاستعانة به من وقتٍ لآخر حسب الحاجة .. الفتى مصاب بالتوحد لكن عقله يعمل بطريقة تفوق إدراكنا .. يكفي أنه تمكن من هزيمة «الخسيف» الذي أرهقنا لسنوات طويلة ونحن نتعقبه

(المذيع) : الخسيف؟

(نادر) : دعني أخبرك عن بقية الأعضاء

(المذيع) باحثاً بنظره من حوله : أنا منصت ..

(نادر) : عن ماذا تبحث؟

(المذيع) : عن مطفأة

(نادر) : يمكنك إطفاؤها في أي مكان

(المذيع) ساحقاً رأس السيجارة بعقب حذائه : حسناً .. تفضل أكمل ..

(نادر) : حدثتك عن (إياد) و(ناجي) .. يأتي بعدهما (عائشة) وهي طبيبة متخصصة بعلم التشريح وتحمل درجة علمية في الكيمياء العضوية وخبيرة بالفيزياء الكمّية وعدة شهادات أخرى في مجالات متعددة بالرغم من أنها لا تزال في منتصف الثلاثين من عمرها .. باختصار الفتاة موسوعة متحركة

(المذيع) : لا يمكن لشخص طبيعي أن يحصل على كل هذه الدرجات العلمية في هذا الوقت القصير

(نادر) باسماً : ومن قال لك بأن زملاءك طبيعيون؟ .. هذا بالإضافة إلى أنها بارعة في الطبخ والشيخ لا يبتسم إلا بعد ما يتناول الطعام الذي تعده هنا أحياناً

(المذيع) : هذا الشيخ هو من كان معكم عند الشاطئ .. اسمه (عادل) أليس كذلك؟

(نادر) : صحيح .. قاضٍ سابق .. مر بتجربة مريرة مع شيطان استحواذي وقد طلبت منه الانضمام لفريقنا لإعطاء نوع من المرجعية الدينية التي نحتاجها في عملنا بحكم أنه احتك مع العالم الآخر ويملك شيئاً من الخبرة في هذا المجال ناهيك عن صراحته الفظة وغير المجاملة والتي تكون مفيدة لبعض أعضاء الفريق أحياناً لنزع فتيل الغرور والمنافسة التي تنشب بينهم أحياناً

(المذيع) : أنا لا أنسجم مع هذه النوعية من الناس ..

(نادر) : لا تقلق فالشيخ (عادل) مختلف عن بقية الشيوخ الذين تعرفهم لقد شاهد معنا ما يكفي من الأمور التي جعلته إنساناً مختلف عن بداياته

(المذيع) : بقي ثلاثة ..

(نادر) : .. (بكر) .. خبير عسكري سابق وهو القوة الضاربة في الفريق ويقود فرقة تدخل سريع مكونة من عشرين مجنداً يأتمرون لأمره نستدعيهم في الحالات الطارئة وهو من يقوم بتجنيد المزيد لو فقدنا أحدهم

(المذيع) : تقصد مرتزقة ..

(نادر) : سمهم ما شئت لكن بدونهم مهماتنا ستكون أصعب ثم لا تنسَ أننا نعمل تحت إشراف جهة رسمية في النهاية

(المذيع) : تختلف المسميات لكن الحقيقة واحدة ..

(نادر) : العضو السابع هي (غادة) .. ساحرة تائبة ..

(المذيع) : وما المميز فيها كي تضمها لفريقك؟

(نادر) : مزايا كثيرة .. إحداها أنها كانت معنا طيلة فترة حديثنا وأنت لم تلحظ وجودها

(المذيع) باستغراب: موجودة أين؟

تشكلت غمامة كسحابة بخار حول الكرسي المقابل للمذيع ظهر بعد انقشاعها امرأة مكتحلة الأعين بشعر أسود منسدل طويل ولباسٍ بأكتاف مكشوفة وموشومة ببعض الرموز الهندسية تجلس محدقة به باسمة.

(المذيع) بتهكم: كنت أظنك قلت إنها تائبة

(نادر): في طور التوبة لأكون أكثر دقة.. توبتها مشروطة بمساعدتنا كي لا نرميها خلف القضبان أو كما يسميها الشيخ عادل «توبة الزنادقة»

(غادة): مهاراتي العالية هي السبب في اختياري يا سيد (نادر)..

(نادر): لا أنكر ذلك..

(المذيع): كيف تمكنت من إخفاء نفسها بهذا الشكل؟

(غادة): أنا لم أكن مختفية

(المذيع): لكن..

(نادر): أنا كنت أراها طيلة الوقت

(المذيع): لم أفهم

(غادة): لقد خيلت لك فقط.. عيناك هما اللتان كانتا مسحورتين وليس جسدي

(المذيع) : ولِمَ هي هنا؟

(غادة) : أنا أقيم هنا يا عزيزي .. هذا أحد شروط السيد (نادر) كي لا أبقى بعيدة عن عينه الساهرة

(المذيع) مديراً نظره للمحقق (نادر) : والعضو الأخير؟

(نادر) : .. (خالد) ..

(غادة) زافرة بحسرة : قرة عيني الذي لا يريد منحي جزءًا من وقته ..

(المذيع) : ومن يكون هذا الـ «خالد»؟

(نادر) : عضو سابق في «هيئة مكافحة الفساد والرذيلة».

(المذيع) : شيخ آخر ..؟

(نادر) : ليس تماماً .. حصيلته العلمية في الروحانيات كبيرة وباهرة .. وله علاقة عابرة مع الشيخ عادل في الماضي لكنهما لا يتفقان كثيراً

(غادة) : وهذا ما أحبه فيه ..

(نادر) : هذا هو الفريق بالكامل .. هل لديك أي استفسارات أخرى؟

(المذيع) : في الوقت الحالي لا .. دعني أستوعب كل ما سمعته للتو ولاحقاً قد أحتاج للمزيد من المعلومات

(نادر) ملتفتاً على (غادة): هل هناك أي مستجدات؟

(غادة) مسندة كوعها على سطح الطاولة واضعة ذقنها فوق قبضتها وبنبرة متململة: «لا .. وأنا أشعر بالضجر ..»

(نادر): الهدوء أمر جيد ..

(غادة): لكننا لم نخرج في أي مهمة منذ عدة أسابيع

(المذيع): تتحدثين وكأن الأمر نزهة

(غادة): جرب الإقامة في هذا المكان وستعرف أن مواجهة المسوخ أكثر متعة

رن هاتف المحقق (نادر) فرفعه أمام نظره وشاهد رقم (إياد) فقال: «تذمركِ جلب لنا مصيبة جديدة فيما يبدو ..»

(غادة) بسعادة: حقّاً؟! .. هل هذا (إياد)؟!

فتح (نادر) الخط ونهض مبتعداً عنهما للتحدث ..

(المذيع): أنتِ غريبة ..

(غادة) وعيناها على (نادر) في آخر الغرفة: وأنت إنسان متطفل .. هل هذا بسبب برنامجك الذي يمنحك حق التدخل بخصوصيات الناس؟

(المذيع): هل تابعتِه من قبل؟

(غادة) موجهة أعينها المكتحلة نحوه : جميع أعضاء الفريق تابعوا حلقتك الليلة ..

(المذيع) : لم أكن أعرف أنكم من معجبي البرنامج

(غادة) : لا تمتدح نفسك كثيراً .. تابعناه بأوامر من (نادر) كي نتعرف عليك أكثر .. ولم أحبب ما سمعت وبعد مقابلتك لم أحبك أنت كذلك

(المذيع) : جيد لأني لا أحب الساحرات كذلك

(غادة) باسمة : سيكون العمل معك شيقاً ..

عاد (نادر) لمكانه بعد ما أغلق الخط وقال : لدينا مهمة مستعجلة الآن

(غادة) بخليط من الحماسة والبهجة : حقًّا؟! .. ومتى سنخرج؟!

(نادر) رافعاً هاتفه مجددًا : بعد ما نستدعي بعض الأعضاء

(غادة) متوسلة : أرجوك لا تستدعِ (عادل) فسوف يحول ليلتي لجحيم بتعليقاته السخيفة

(نادر) خلال انتظاره الرد على اتصاله : وجود الشيخ مهم لهذه المهمة

(غادة) زافرة بخيبة : أكره ذلك الغول!

(المذيع) بتهكم : وأنا بدأت أحبه

(غادة) بعصبية : اخرس أنت!

(نادر) رافعًا يده طالبًا بعض الهدوء للرد على المكالمة : أهلاً سيد (حاتم) .. المعذرة على الاتصال في هذا الوقت المتأخر لكننا بحاجة لـ(ناجي) .. نعم .. شكراً .. سنكون عندك بعد نصف ساعة .. أنا ممتن

(غادة) : (ناجي) فتى طيب ..

(نادر) مجرياً اتصالاً آخر : صباح الخير يا شيخ (عادل) .. كرماً لا أمراً نحتاجك بعد نصف ساعة في المركز

نهضت (غادة) من مكانها وهي تقول : سوف أخبر السائق بأن يذهب لإحضار (ناجي)

(نادر) رافعاً ساعة يده أمام وجهه : صلاة الفجر لم يحن وقتها بعد يا شيخ ولن تتعارض مع حضورك .. تعال وصل هنا .. رجاءً لا تتأخر

أغلق (نادر) الخط وهم بإجراء اتصالٍ ثالث لكن المذيع استوقفه وقال : «ما هي المهمة التي وترتك بهذا الشكل؟»

(نادر) واضعاً الهاتف عند أذنه : قضية قديمة لم نتمكن من حلها واستجدت بعض الأمور

(المذيع) : قضية ماذا؟

(نادر) وعينه على المذيع وهو ينتظر إجابة المتصل: «العنكبوت ..»

لم يكمل المذيع سؤاله لأن (نادر) نهض مجددًا عندما أجابه المتصل وسار بخطوات بطيئة مبتعداً عنه خلال حديثه معه ..

عادت (غادة) وجلست أمامه وقالت: ألم ينتهِ؟

(المذيع) مشعلاً سيجارة: لا .. يبدو أن هذه القضية تشغل باله ..

(غادة) تمد يدها محرِكة أصابعها طالبة سيجارة: قضية ماذا؟

(المذيع) وهو يناولها سيجارته المشعلة ويراقبها تأخذ نفساً منها: قضية «العنكبوت» كما قال ..

ارتجفت يد (غادة) الممسكة بالسيجارة وقالت وهي تخرج سحابة من الدخان بوجه مرعوب وملامح مشبعة بالرهبة والجزع: ماذا قلت؟ .. هل قلت «العنكبوت»؟

(المذيع) مخرجاً سيجارة أخرى: نعم هذا ما قاله لي قبل قليل

حركت غادة وجهها جانباً وسرحت بأعين امتلأت حيرة وتفكيراً ..

(المذيع) نافخاً بعض الدخان من أنفه: ما بكِ .. من «العنكبوت» هذه؟

(غادة) لا تزال سارحة: العنكبوت .. الساحرة الكبرى ..

(المذيع) بتهكم: تبدين خائفة منها

(غادة) ملتفتة إليه : جميعنا يجب أن نخاف منها ..

(المذيع) بلا مبالاة : السحرة مهما بلغت قوتهم يبقون ضعفاء

(غادة) : ليس هي .. هذه المرأة ليست كالبقية

(المذيع) ضارباً رأس السيجارة بسبابته : كلكم سواء ..

(غادة) وهي تطفئ سيجارتها في راحة يدها : .. سنرى يا صاحب القرين المحرر ..

تجهم المذيع لكنه لم يعلق ..

عاد (نادر) وجلس قائلاً : لقد اكتمل الفريق وسنتحرك جميعاً بعد وصولهم

(المذيع) : بمن اتصلت؟

(نادر) : بـ (بكر) .. سوف يلتقي بنا في الموقع مع جزء من فريقه

(غادة) : هل صحيح أننا سنخرج في أثر العنكبوت؟

(نادر) : نعم .. أخبرني (إياد) بأنهم تلقوا بلاغاً بمواصفاتها في حي قديم وهي تقوم ببيع بعض الأعمال السحرية

(المذيع) : ألا تجد أن ساحرة بسيطة مثلها لا تستحق كل هذا؟

(نادر) : أخبرتك بأننا لا نتعامل مع القضايا الاعتيادية

(المذيع) : لم أرَ شيئاً غير اعتيادي حتى الآن

(نادر) : وأتمنى ألا نرى وأن نتمكن من السيطرة عليها بأسرع وقت وأقل خسائر

عناكب الساعة



بعد أقل من ساعة كان الجميع موجودين عند مدخل المركز واستقلوا سيارتين كبيرتين بنوافذ معتمة. السيارة الأولى ضمت (نادر) في مقعد السائق و(غادة) بجانبه وفي صف المقاعد الخلفية جلس المذيع و(ناجي) يتوسطهما الشيخ (عادل) والسيارة الثانية قادها (بكر) وخمسة من رجاله المسلحين. انطلقت السيارتان للتوجه للموقع الذي زودهم به (إياد) وكان الوقت قد شارف على الخامسة صباحاً وخلال سيرهم التفت الشيخ (عادل) على المذيع وقال محدثاً (نادر):

«هل هذا هو العضو الجديد؟ .. مقدم البرامج ..»

(المذيع): مذيع وليس مقدماً ..

(عادل) : جميعكم مهرجون

(غادة) متمتمة لنفسها : «ها قد بدأنا ..»

(عادل) مستأنفاً حديثه ناظراً أمامه : اليوم كانت أول مرة أستمع فيها لبرنامجك وستكون آخر مرة ..

(المذيع) : يسعدني سماع ذلك

(عادل) : ألا تريد معرفة السبب؟

(المذيع) : في الحقيقة لا يهمني

(عادل) : سأخبرك إذاً .. برنامجك مليء بالسموم المدسوسة حتى وإن كانت بعض القصص حقيقية لكنك تتعمد تضليل مستمعيك

(المذيع) : حسناً ..

(عادل) : حسناً ماذا؟

(المذيع) بنبرة متهكمة : حسناً سأتوقف عن تضليلهم

(عادل) : هل تسخر مني ؟

(المذيع) : ماذا تريد مني الآن؟

(عادل) : أريدك أن تحترم من يتحدث معك

(المذيع) : الاحترام لا يطلب بل يُكسب .. وأنت حتى الآن خاسر الكثير من النقاط

(عادل) : من تظن نفسك؟

(غادة) ملتفتة للمقعد الخلفي بوجه عابس : اتركه وشأنه يا كتلة الهم!

(عادل) باسماً : كيف حالك يا حيزبون؟

(غادة) بتجهم : بخير يا شيخ التعاسة!

(ناجي) رافعاً الكرة التي كانت في حضنه فوق رأسه ضاحكاً : شيخ السعادة!

(غادة) لـ (ناجي) وعيناها على (عادل) الباسم : عن أي سعادة تتحدث يا (ناجي)؟ .. هذا الكائن مصدر غني بالهم والضيق اللذين يقطران من لسانه المسموم فلا تخلط الأمور

(ناجي) بإصرار : شيخ السعادة! .. شيخ السعادة!

(عادل) واضعاً كفه على رأس (ناجي) : بارك الله فيك يا صبي وحفظك من أشباهها

(غادة) رافعة قبضتها في الهواء ملوحة بها وكأنها ستوجهها له : أشباهي خير من أمثالك!

(عادل) ببرود : ألستِ تملكين القدرة على إخفاء نفسكِ؟ .. لِمَ تجبريننا

على النظر لوجهك طيلة الوقت؟ .. بثي سموم سحرك علينا وغطي ملامحكِ المزعجة عنا حتى نصل

تجهمت (غادة) وهمت بالرد لكن (نادر) أشار لها بالصمت تجنباً للدخول في حوار قد لا ينتهي فأعادت نظرها للأمام وعقدت أذرعها وحاجبيها ورطمت بظهرها المقعد وحدقت بالطريق بوجهٍ عابس.

(نادر) موجهاً حديثه للجميع : «هدفنا اليوم هي «العنكبوت» .. ولا أحتاج أن أعطي مقدمة عنها لأن هذه ليست أول مرة نحاول القبض عليها وجميعنا تعاملنا معها في السابق وملمون بكل جوانب قضيتها وكدنا نوقع بها أكثر من مرة لكنها تنجح دوماً في التملص من قبضتنا لذا كونوا مستعدين لأي شيء ..»

(عادل) : آخر مرة واجهنا فيها الشمطاء كنا على وشك الإمساك بها لولا تخاذل أحد الأعضاء

(المذيع) : من تقصد؟

(غادة) : يقصدني أنا ..

(نادر) : (غادة) لم تتخاذل لقد بذلت كل ما بوسعها لكن تلك الساحرة قوية وخبيثة

(عادل) بتهكم : كل ما بوسعها؟ .. لقد تلاعبت بها وكأنها دمية مطاطية بين يديها وأعادت ترميم الجدران بجسدها وتركتها بين الحياة والموت .. لا أفهم لَمَ استدعيتها هذه المرة فمن الواضح أنها عاجزة أمامها ولا أستبعد أن تكون متعاونة معها سرّاً

(نادر) : كفى يا شيخ هذا الحديث لا فائدة منه

(عادل) : لو كنا أحضرنا (عائشة) لكان ذلك أفضل فهي متمكنة من عملها ولم تقصر فيه قط

(ناجي) بحماس : خالتي عائشة تصنع كعكاً لذيذاً!

(نادر) وهو يدير مقود السيارة للدخول في حي شعبي قديم : مجال تخصص (عائشة) لا يفيد في المواجهات المباشرة

(عادل) : على الأقل وجودها مريح للنفس فهي امرأة خلوقٌ ومحتشمة وتنتقي ألفاظها

(غادة) بغيظ مكظوم : وإذا لم تنتقِ ألفاظك أنت فسوف ..

(عادل) مقاطعاً بنبرة مهددة : سوف ماذا؟ .. ماذا ستفعلين يا زنديقة؟

(المذيع) : هل كل مهامكم مشحونة بمثل هذه الحوارات العقيمة؟

(عادل) : حواراتنا أكثر فائدة من تلك التي تخوضها في برنامجك

(ناجي) : «هذا ما حدث معي!»

حرك (المذيع) رأسه وكأنه ينصت لشيء ثم قال بأعين مغمضة : هل سبب وقاحتك إحساسك بالذنب؟

(عادل) متجهماً : الذنب من ماذا يا مهرج؟!

(المذيع) فاتحاً عينيه : ما حدث في مصر .. تسببك في موت ..

(عادل) مقاطعاً بغضب : من أخبرك بهذا؟!

(المذيع) باسماً : هل لا يزال (ديموس) يطاردك؟ .. هل هذا سبب مرارتك؟

(غادة) ساخرة : ما الذي حدث في مصر يا شيخ؟ .. أخبرنا

(عادل) لـ (نادر) بعصبية : هل أنت من أخبره؟!

(نادر) وهو يوقف السيارة عند أحد البيوت الطينية في حي مظلم :

«لست أنا من يهمس في أذنيه ..هيا لقد وصلنا ..»

ترجل الجميع من السيارة ووقفوا خلف (نادر) الذي وقف أمام منزلٍ ببابٍ حديدي صدئ وتبعهم نزول (بكر) وفريقه من مركبته فاستدار نحوه وقال :

«حاصر المنزل يا (بكر) وأي شخص يخرج منه قم بإلقاء القبض عليه دون سؤال وإذا لم يستجبْ لك فأطلق عليه دون تردد ..»

(المذيع) : ماذا لو كان هناك أبرياء في الداخل؟

(بكر) واضعاً كفه على سلاح في حزامه : طلقاتنا مخدرة فقط والذخيرة الحية لا نستخدمها إلا مع الهدف الموثوق

أعاد (نادر) نظره لباب المنزل وقال : «غالباً لن يكون في الداخل سواها .. هل أنتم مستعدون؟»

(ناجي) رامياً بالكرة للأعلى : أنا مستعد!

(عادل) : توكلنا على الله

(المذيع) : لا يمكن أن أستعد لشيء أجهله لكن في كل الأحوال سنرى ..

(نادر) : ماذا عنكِ يا (غادة)؟ .. هل أنتِ جاهزة ومتأهبة؟

(غادة) بشيء من التردد : نـ .. نعم بالطبع

(عادل) : الحيزبون ترتجف .. أقترح أن تبقى في السيارة فالنساء ينهرن وقت الشدائد وأنا لست مستعدّاً لتعريض حياتي للخطر بسبب قصورها

(غادة) مستجمعة نفسها متجاهلة تعليق الشيخ : أنا جاهزة لا تقلق يا سيد (نادر)

(نادر) وهو يشير لـ (بكر) بكسر الباب : هيا بنا إذاً ..

كسر الفريق المسلح الباب الحديدي الصغير وتراجعوا بعدها للخلف وتمركزوا في أماكنهم بينما دخل البقية تباعاً لوسط البيت ..

بعد عدة خطوات وضع البعض كفوفهم على أنوفهم لصد رائحة قوية هبت عليهم ..

(عادل) بوجه مشمئز : ما هذه الرائحة البشعة؟

(المذيع) : تشبه ..

(ناجي) بسعادة : روث الخيل!

(نادر) وهو يتقدم أكثر : وصف دقيق يا (ناجي) ..

(غادة) وهي تجول بنظرها حولها بخليط من الخوف والحذر : إنها هنا .. أشعر بها ..

أمضى المجموعة ما يقارب عشر دقائق بالبحث في جميع أرجاء المنزل ولم يتركوا غرفة أو شقاً إلا وبحثوا فيها لكنهم لم يجدوا شيئاً فاجتمعوا وسط المنزل وهم في حيرة من أمرهم.

(نادر) : هل وجد أحدكم شيئاً يستحق الذكر؟

(غادة) : لا ..

(المذيع) : لم يلفت انتباهي شيء خارج المألوف

(عادل) : لم يثر انتباهي سوى ماكينة خياطة قديمة

(المذيع) : وما الذي أثار انتباهك فيها؟

(عادل) سائرًا تجاه إحدى الغرف : تعالوا لأريكم

دخل الجميع الغرفة التي أشار إليها الشيخ ووجدوا أنها فارغة عدا بعض المخدات الحمراء المصفوفة حول الجدران ..

(غادة) : أعتقد أن هذه غرفة استقبال الضيوف

(نادر) : أين ماكينة الخياطة التي تحدثت عنها؟

(عادل) مشيراً بسبابته للأعلى : هناك ..

رفع الجميع رؤوسهم عدا (ناجي) الذي رمى بكرته وبدأ يركلها ويلعب بها في المكان وشاهدوا ماكينة خياطة سوداء بخطوط مذهبة معلقة بالسقف الطيني وبدا أن جزءاً منها مغروس فيه ومثبت بقوة.

(المذيع) : ما معنى هذا؟

(عادل) وهو ممعن بالماكينة المعلقة : أليست هذه التي قيل إنها تحتوي على الزئبق الأحمر؟ .. أذكر أن أخي حاول بيع واحدة منها بثمنٍ باهظ

(المذيع) : بلى .. لكنها كانت مجرد إشاعة صدقها الناس

(غادة) لـ (عادل) : يبدو أن الذكاء وراثة في عائلتكم

(ناجي) راكلاً كرته بقوة في الجدار : «زئبق أحمر!»

(غادة) رافعة رأسها مجدداً للأعلى بفمٍ مفتوح : تثبيتها بهذا الشكل يتطلب قدرة عالية

(نادر) لـ (غادة) : هل لديكِ تفسير لما نراه؟

(غادة) منزلة رأسها : لا .. ربما .. لا أعرف

(عادل) : شكراً على هذه المعلومة القيمة لقد حلت القضية الآن ويمكننا العودة

تقدم المذيع بضع خطوات لوسط الغرفة وبدأ يتفحص جوانبها متفكراً ..

(نادر) محدثاً نفسه بصوت مسموع للبقية : هل يعقل أنها هربت قبل أن نصل؟ .. كيف علمت بقدومنا؟

(عادل) ونظره على (غادة) : لعلها حصلت على بعض المساعدة فخدمها كثير ..

(غادة) وهي سارحة في إحدى الوسادات الحمراء : لا .. هي لا تزال هنا .. أشعر بوجودها بالقرب منا

(المذيع) : وأنا كذلك .. هناك طاقة سلبية قوية في المكان

(نادر) باسطاً يديه في حيرة من أمره : والعمل؟

في تلك اللحظة بدأ (ناجي) يردد عبارة بصوت عالٍ وهو يرمي بالكرة نحو الجدار بشكل متكرر: «العناكب متوقفة! .. العناكب متوقفة!»

سار المذيع ووقف خلفه قائلاً: عن أي عناكب تتحدث يا صغير؟

استمر (ناجي) فيما كان يقوم به مردداً العبارة نفسها بينما انضمت (غادة) لهما تراقبه بصمت حتى انتبهت لساعة حائط قديمة معلقة على الجدار أمامهما حيث كانت الكرة ترتطم أسفلها وقالت لـ (المذيع): «ساعة غريبة ..»

(المذيع) موجهاً نظره للساعة: وما الغريب فيها؟

(نادر) وهو يقترب منهما: عقاربها متوقفة ..

(المذيع): نعم صحيح .. عند الساعة الثالثة ونصف الدقيقة تماماً

(عادل) جالساً على الأرض مسنداً ظهره لإحدى الوسائد الحمراء: لنرحل .. لا يوجد شيء هنا

(ناجي) وحماسه يزداد وصوته يرتفع: «العناكب متوقفة! .. العناكب متوقفة!»

(غادة): عن أي عناكب تتحدث يا (ناجي)؟!

(عادل) بتهكم: ربما يتحدث عن حاجبيك النحيلين كأرجل العناكب ..

(غادة) زافرة متجاهلة تعليقه واضعة كفيها على أكتاف الصبي المتحمس المستمر بالقفز ورمي الكرة على الجدار: أخبرني يا (ناجي).. عن أي عناكب تتحدث؟

(المذيع) رافعاً سبابته نحو الساعة وكأنه اكتشف شيئاً: «العناكب توقفت.. يقصد عقارب الساعة..»

(نادر): وماذا يعني ذلك؟

سحبت (غادة) الصبي للخلف وضمته لصدرها بقلق: إنها قريبة جدّاً كما أخبرتكم.. وفي هذه الغرفة تحديداً.. أنا واثقة من ذلك

(عادل) بخليط من الغضب والسخرية: موجودة أين يا حيزبون؟!.. هل ترين شيئاً هنا عدا تلك الماكينة المعلقة؟!

(المذيع) لـ (غادة) وعينه على عقارب الساعة المتوقفة:

«صححي لي معلومتي إن كنت مخطئاً.. الساحرات المتمكنات يُجِدن التشكل في وقت سريع عندما يضطررن لذلك بالاستعانة بالخَدم لكن ذلك يتطلب منهنّ استهلاك طاقة كبيرة تترك أثرها في المكان الذي يتشكلن فيه..»

(غادة): نعم صحيح.. وأنا بالرغم من تقدم علمي لم أصل لهذه المرحلة بعد.. التشكل من هذا النوع لا يجيده إلا المشعوذات من درجة معينة وهنّ نادرات

في تلك اللحظة وبسرعة خاطفة التقط المذيع الكرة وركلها بكل قوته للأعلى تجاه الماكينة المرتكزة بالسقف وما أن ضربها حتى صدرت صرخة قوية تبعها سحابة من الدخان غطت السقف بالكامل وبعدما انقشعت سقطت الماكينة كاشفة عن تجويف صغير أطلت منه قطة سوداء برأسها قبل أن تحط بأقدامها على الأرض ليقفز على أثرها الشيخ (عادل) مفزوعاً وهو يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..»

ما لبثت القطة أن تحولت لامرأة تجاوزت الخمسين في العمر وسمينة بعض الشيء محجبة بحجاب أبيض حدقت بالجميع بحدة وتجهم وظهرها مدار للشيخ (عادل) الذي قال: «إنها الشمطاء!»

حركت المرأة كفها للخلف تجاه (عادل) دون الالتفاف نحوه ودفعته بقوة تجاه الجدار ليرتطم به ويفقد الوعي مباشرة..

(غادة) وهي مصدومة مخبئة (ناجي) خلف ظهرها: العنكبوت!

بدأت المرأة تفح كالأفاعي وسوادا عينيها تحركا نحو جانبي محجريهما إلى أن اختفيا تاركين إياهما أبيضين بالكامل..

(المذيع) لـ (نادر) وقد أصابه بعض التوتر: ما الخطة الآن؟

(نادر) صارخاً في (غادة): ماذا تنتظرين؟!

اندفعت الشابة تجاه المرأة وهي تتمتم ببعض الطلاسم لكن وقبل أن تصل إليها حركت العنكبوت أناملها ورمت بها عرض الحائط ..

(المذيع) وعيناه مرتكزتان على المرأة المحجبة التي أخذت بالسير نحوهم: «ما الخطة «ب» يا سيد (نادر)؟»

(نادر) بتوتر وهو يشاركه النظر إليها: لا يوجد خطة «ب»..

قبضت المرأة على عنق المذيع ورفعته للأعلى وقبل أن تقوم بشيء أخرج (نادر) مسدساً من جيبه ووجهه صوبها صارخاً فيها: اتركيه وإلا أرديتك قتيلة حيث تقفين!

وجهت العنكبوت عينيها البيضاوين نحو المحقق المتوتر ثم تبسمت ورمت بالمذيع جانباً بعنف وبدأت تسير تجاهه وهو يطلق عليها عدة طلقات حتى نفد الرصاص دون أن تبدي هي أي تأثر أو اهتمام وقبل أن تلحق به أي أذى انتفض جسدها وتغيرت معالم وجهها وبدا عليها الغضب والاستياء من شيء ضربها من الخلف فاستدارت لترى (غادة) وقد وجهت لها طلسماً ما أصاب رأسها وحل جزءاً من حجابها فتجهمت وتمتمت ثم نفخت عليها فبدأ جسدها يؤلمها بشدة وخارت قواها ونزلت على ركبتيها لتعيد المرأة انتباهها للمحقق الذي باغتها بضربة بعقب مسدسه الفارغ على جبينها جعلتها تترنح لبضع خطوات للوراء ليستقبلها المذيع بشد

حجابها وخلعه بالكامل مما أثار حنقها وغضبها لتصفعه بظهر يدها وتسقطه في الحال.

في ذلك الوقت فقدت العنكبوت برودها وأخذت تحرك أناملها رافعة (نادر) و(غادة) للأعلى قائلة: «الموت يدق بابكما فهل من مجيب ..؟»

سار (ناجي) بهدوء وبطء ووقف بجانبها وقال: كيف ستقتلينهما؟

تبسمت العنكبوت متأملة بأعينها الميتة المتقلبين في الهواء أمامها وقالت للصبي:

«ماذا تقترح يا صغير ..؟ .. أن أحطم عظامهما أو أمزق لحومهما؟ ..»

(ناجي) وهو يلاعب ويراقب كرته ويرمي بها للأعلى والأسفل: أقترح أن تنتبهي لـ «دجام» ..

«ماذا تقصد؟» .. قالتها العنكبوت وهي توجه نظرها إليه ..

تعرضت المرأة لدفعة قوية رمت بها لأقصى الغرفة سقط على أثرها الاثنان المعلقان أرضاً وراقبوها تصارع شيئاً خفياً لا يمكن رؤيته وكان ذلك الشيء يكيل لها العديد من الضربات التي أرهقتها في البداية لكنها تمكنت بطريقة ما من التفلت منه والجري لوسط الغرفة وهي تصرخ: «من هنا؟!»

(المذيع) ناهضاً من على الأرض وعيناه تحولتا للسواد التام محدثاً (ناجي):

«ماذا تقترح يا صغير ..؟ أن نحطم عظامها أو نمزق لحمها؟ ..»

(ناجي) محتضناً كرته باسماً: كما يحلو لك يا «دجام» ..

قبل أن يقوم (المذيع) بشيء جرت (غادة) وحاولت توجيه ضربة للمرأة لكنها وقعت تحت تأثير صرخة صرختها بوجهها أتبعتها العنكبوت بالإطباق على أذني (غادة) بكفيها وتحريك إبهاميها ووضعهما على عينيها وهمت بفقئهما لكن وقبل أن تتمكن من ذلك نزلت على رأسها ماكينة الخياطة وأسقطتها أرضاً مغشيّاً عليها والشيخ (عادل) يقف فوقها يتنفس بثقل قائلاً: «نامي يا بقرة!»

(نادر) وهو يقف ويسير لمنتصف الغرفة: أحسنت يا شيخ .. أحسنتم جميعاً

(المذيع) وعيناه تعودان لطبيعتهما: ماذا حدث؟

(نادر) متصلاً بـ(بكر): لقد سيطرنا على الهدف .. تحركوا للاحتواء

اجتمع الخمسة حول جسد المرأة المغمى عليها يراقبونها بصمت ..

(نادر): شكراً يا شيخ لقد أنقذتنا

(عادل): الشكر لله فقط أنا مجرد سبب .. ثم إن المذيع الغريب الأطوار كان مفيداً أيضاً

(غادة) وهي تجثو عند رأس العنكبوت متفحصة إصابتها : لقد استعان بقرينه ..

(عادل) : أعوذ بالله .. استعان بشيطان؟

(المذيع) : قريني أسلم منذ مدة طويلة

(عادل) متهكماً : ومن لقنه الشهادة؟ .. أنت؟

(ناجي) مشيراً لرأس المرأة : «زئبق أحمر!! .. زئبق أحمر!»

(المذيع) : إنها تنزف .. هل ماتت؟

(غادة) واضعة سبابتها عند أنف العنكبوت : لا .. لا تزال تتنفس

(نادر) : أبطلي قدرتها قبل أن ينقلها (بكر) للمركز

(غادة) مخرجة إبرة وقنينة صغيرة من جيبها : حاضر

(المذيع) : ما الذي ستفعله؟

(نادر) : ستشمها برمزٍ يجردها من قدراتها كي لا تتمكن من الهرب

(عادل) : هناك طرق أخرى غير هذا الرجس الذي تمارسونه .. لو كان (خالد) هنا لأخبركم بذلك

(غادة) وهي تجرح خد المرأة وجبينها بالإبرة بعد ما غطستها في سائل القنينة : لكنه ليس موجوداً .. لذا لا تكثر الكلام

سار (عادل) نحو باب الخروج وهو يقول: «سأكون في السيارة .. لن أكون حاضراً لمثل هذه البدع والشركيات التي تمارسونها ..»

(نادر) للبقية: هيا بنا لنرحل نحن أيضاً .. الحقي بنا يا (غادة) بعد ما تنتهين

خلال طريق العودة لم يتحدث أحد ولم يكن يسمع سوى صوت (ناجي) حين تصدر منه بعض العبارات العشوائية من وقتٍ لآخر وهو يحرك كرته في حجره وقبل أن يصلوا للمركز بعشر دقائق تقريباً تحدث (عادل) وقال: «لدي سؤال يشغل بالي ..»

(نادر) ناظراً من المرآة للمقاعد الخلفية: سؤال ماذا يا شيخ؟

(عادل): أليست العنكبوت من ضمن أكثر الساحرات خبثاً ونجاسة من بين الذين نتعقبهم ونبحث عنهم؟

(نادر): بلى .. هي من أسوأ الساحرات بقائمتنا .. ما الذي تريد قوله؟

(عادل) وعيناه تتحركان نحو (غادة) الجالسة في مقعد الراكب الأمامي:

«كنت أتساءل .. لمَ وبالرغم من أنها ساحرة حقيرة وخبيثة لتلك الدرجة إلا أنها لم تتخلَّ عن حجابها فما الذي يمنع ساحرتنا من الحجاب؟ .. هل وصلت لمرحلة أخبث منها؟»

وضعت (غادة) كفها على وجهها وبنبرة متحسرة : يا إلهي ..

تبسم (نادر) وقال متجاهلاً تساؤل الشيخ : لقد أبليتم بلاءً حسناً اليوم

(ناجي) بحماس : حتى أنا؟!

(نادر) : حتى أنت يا (ناجي)

(المذيع) : ما الذي سيحل بها؟

(نادر) : ستحاكم بالطبع

(عادل) : القصاص ينتظرها بإذن الله

(المذيع) : هل سيسيطر ذلك الوشم على قدراتها حقّاً؟

(غادة) : لقد فقدت كل قدراتها وهي ليست الآن سوى امرأة عادية ..

(عادل) : لا تتكلوا كثيراً على ذلك

(غادة) بعصبية : لا تفتِ في شيء لا تفقه فيه!

(عادل) ببرود : الحمد لله أني لا أفقه في هذا العلم الفاسد يا فاسدة

(غادة) : ليتك تركتها تقتلني كي أرتاح منك ولا أسمع صوتك مرة أخرى!

(عادل) : لا تستعجلي الفرصة قادمة في المستقبل يا حيزبون وأنا شخصيّاً من سيقوم بتغسيلك ..

(غادة) ضاحكة بسخرية : هذا طموحك إذاً يا شيخ الغفلة!

(ناجي) بصوت مرتفع : «شيخ الغفلة!»

(المذيع) متهكماً : هذا يعني أنك تبطن نية الزواج منها يا شيخ

تجهم (عادل) قائلاً : اخرسوا يا فسقة!

تبسم (نادر) وقاد سيارته عائداً لمركز الهيئة ..



مكالمة فائتة



بعد تلك الليلة الحافلة تفرق الجميع وعاد كل واحد منهم لحياته الخاصة ومارسوها بشكل طبيعي إلى أن يتم استدعاؤهم مجدداً ومن ضمنهم المذيع الذي مارس مهام إدارة المحطة نهاراً في انتظار حلول يوم الجمعة ليقدم برنامجه الأسبوعي المعتاد وقبلها بليلة خرج مع صديقه (جمال) لتناول العشاء واستذكار الأيام الخوالي لأنه لم يلتقِ به منذ خروجه من السجن وبعد ما عاد لمنزله ترجل من سيارة صاحبه وقال له :

«شكراً على العشاء يا (جمال) ..»

(جمال) ضاحكاً : اشكرني برد هذه العزيمة لي في المطعم الذي سأختاره . .سيكون مكاناً باهظ الثمن!

(المذيع) باسماً : حسناً اتفقنا

دخل المذيع منزله وبدل ملابسه استعداداً للنوم لكن قبل أن يتوجه لغرفته أخرج هاتفه الذي كان على الوضع الصامت لأنه لم يُرد استقبال أي مكالمات خلال جلوسه مع صديقه وفوجئ بمكالمة فائتة من رقمٍ غريب لم يتعرف عليه فتجاهله وخلد للفراش لكن وقبل أن يغمض عينيه رن الهاتف بذلك الرقم نفسه فتردد بالإجابة لبرهة لكنه أجاب وقال : «نعم..؟»

أجابه صوت أنثوي تعرف عليه في الحال قائلاً : كيف حالك ..؟

(المذيع) بتعجب : (نور)؟ .. أنا .. أنا بخير .. كيف حالكِ أنتِ؟

(نور) : بخير كذلك .. أعيش حياة لا أريدها ولم أخترْها .. لكني ما زلت مستمرة

صمت المذيع ولم يتحدث فأكملت (نور) وقالت : أعرف أن اتصالي غريب خاصة في هذا الوقت ..

(المذيع) : في الحقيقة نعم ..

(نور) : أعتذر عن ذلك وأعتذر عما بدر مني في الماضي تجاهك .. كنت شابة متحمسة .. سامحني ..

(المذيع) : لا تعتذري عن شيء فأنتِ لم تخطئي ..

(نور) : كنت مخطئة .. وممتنة لقبولك اعتذاري

(المذيع) : أين تعملين الآن؟

(نور) : أعمل في شركة مالية

(المذيع) مستنداً لظهر السرير : هل هجرتِ أحلامكِ الإعلامية؟

(نور) باسمة بحزن : لا ولكن الظروف أجبرتني

(المذيع) : ما رأيكِ أن تعودي لعملكِ السابق؟

(نور) : حقّاً؟ .. هل ترغب حقّاً بعودتي؟

(المذيع) : نعم .. لم أحب طاعة الجميع لكل أوامري .. افتقدت مناكفاتكِ

تبسمت (نور) وقالت : معدة بسيطة لن تجرؤ على مناكفة مدير المحطة

(المذيع) : أنا لن أكون مدير المحطة بل أنتِ ..

(نور) بتعجب : أنا؟

(المذيع) : نعم .. أنا لا أملك الوقت ولا المزاج لأدير مقبض بابي للخروج من المنزل فما بالكِ بمحطة كاملة؟ .. لا رغبة لي سوى بالحضور مرة في الأسبوع لإقامة البرنامج فقط كما كنت في السابق .. ما قولكِ؟

(نور) : لكن ..

(المذيع) مقاطعاً : موافقتكِ ستكون معروفاً لن أنساه .. أنا بحاجتكِ

(نور) : هل يمكنني التفكير على الأقل؟

(المذيع) : لا .. أريد أن أنام الليلة وأنا مطمئن إلى أني لست ملزماً بالذهاب للمحطة غداً .. وسأعطيكِ ضعفي ما تأخذينه في شركة الأغذية هذه

(نور) ضاحكة : شركة مالية وليست شركة أغذية

(المذيع) : أيّاً كانت .. سوف أرسل رسالة لنائبي الآن بأن المديرة الجديدة سوف تكون حاضرة غدًا لاستلام مهامي وأنا سأكون موجوداً في وقت البرنامج غداً ليلاً كالمعتاد

(نور) : حاضر يا سيدي

(المذيع) : ناديني بالمذيع .. المذيع فقط ..

(نور) باسمة : أمركِ يا سيد مذيع .. وشكراً

(المذيع) : شكراً لك أنتِ .. تصبحين على خير

(نور) : هل تسمح لي بسؤال أخير قبل أن تغلق الخط؟ .. اعتبرني أحد المتصلين على برنامجك ..

(المذيع) باسماً : تفضلي .. أنا منصت ..



(نور): ما الذي حدث معك ..؟ .. ما الشيء الذي أخافك بحق ..؟

سكت المذيع ولم يجب ..

استدركت (نور) وقالت: لست مضطراً للإجا..

(المذيع) مقاطعاً: «حياتي .. حياتي هي ما حدث معي وهي أرعب شيء عشته وسأعيشه حتى أتخلص منها بموتي ..»

(نور): هل فكرت بإيذاء نفسك من قبل؟

(المذيع): «إيذاء نفسك قبل أن تسنح الفرصة لغيرك يستلزم شجاعة .. وأضعافها حماقة ..»

(نور): فهمت .. تصبح على خير

أغلق المذيع الخط وبقي سارحاً أمامه حتى انقطع ذلك السرحان برنين هاتفه برقم مسجل تحت اسم «رقم غريب ١» فقال محدثاً نفسه بعجب: «متى قمت بتخزين هذا الرقم؟»

جلس المذيع على طرف سريره محدقاً بشاشة هاتفه وهو متردد بالرد لكنه في النهاية قام بفتح الخط قائلاً: «نعم ..»

- جيد أنك مستيقظ

(المذيع): من معي؟

- ماذا تعني من معك؟ .. أنا (نادر) .. احفظ رقمي عندك كي لا ندخل في هذا الحوار كل مرة

(المذيع) : وماذا تريد مني في هذه الساعة؟

(نادر) : أن تحضر حالاً للمركز

(المذيع) : الآن؟ .. في هذا الوقت المتأخر؟

(نادر) : لا يوجد شيء في عملنا اسمه وقت متأخر .. هيا الفريق في الطريق

استلقى المذيع على سريره محدقاً بالسقف وقال بنبرة متهكمة : «ومن سنصطاد هذه المرة؟»

(نادر) : (هاجر) .. هل تذكرها؟

اعتدل المذيع في جلسته وقال بوجه مصفر وبصوتٍ خالطه الصدمة والتوتر : «تقصد ..»

(نادر) : نعم هي بعينها .. زميلتك السابقة ..

(المذيع) ناهضاً من مكانه على عجالة قبل أن يغلق الخط : سأكون هناك في الحال ..

(نادر) ناظراً لهاتفه بعد ما أنهى المكالمة :

«أعرف ..

أعرف أنك لن تفوت فرصة الانتقام لمعلمك منها ..

سنكون بانتظارك ..»

